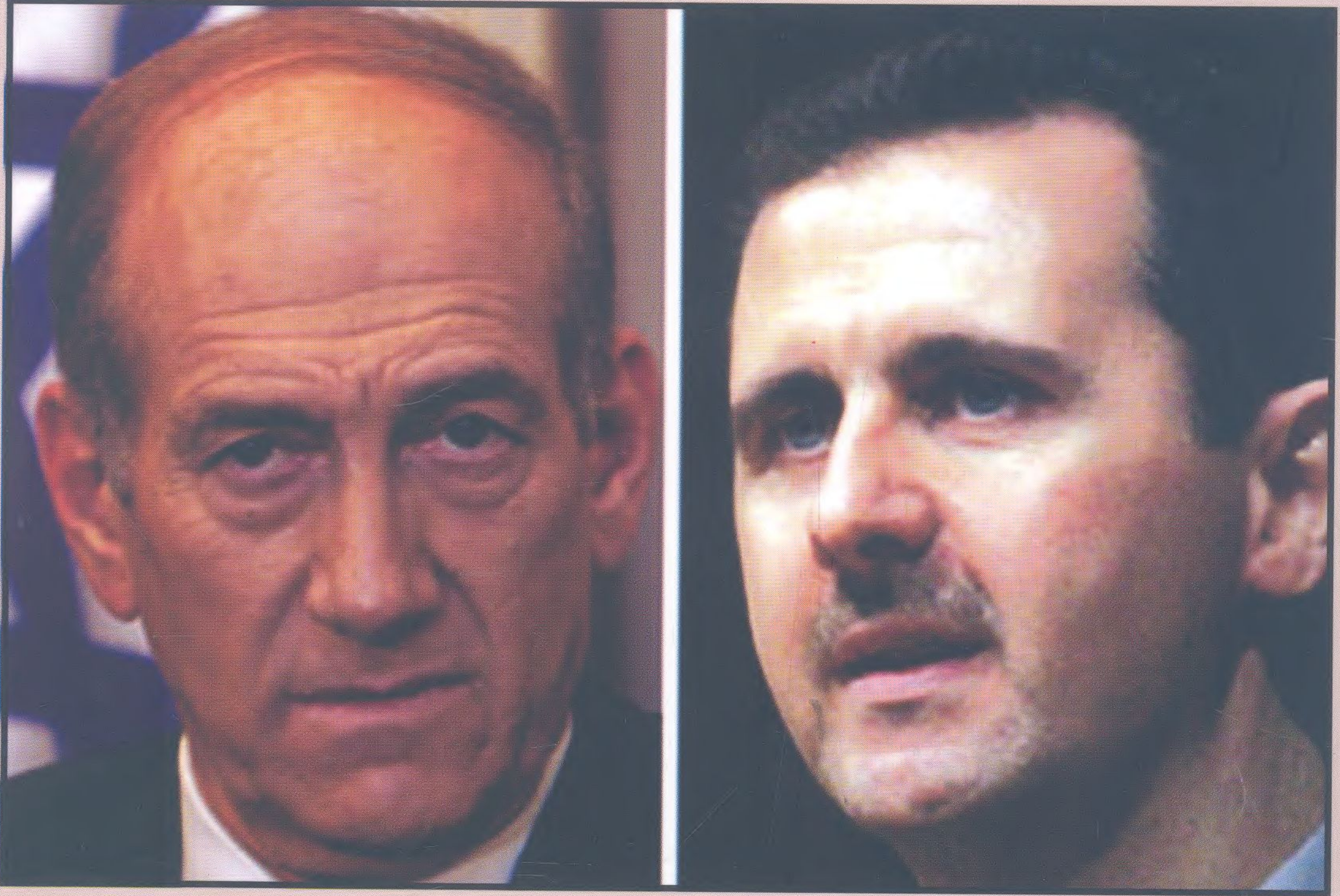


مخنارات الإسرائيلية



Oct . 2007

السنة الثالثة عشرة - العدد ١٥٤ أكتوبر ٢٠٠٧



ترجمات عبرية

أبعاد ظاهرة "النازيون الجدد" في إسرائيل
أسرار وتفصيل العملية الإسرائيلية في سوريا
خيارات إسرائيل في التعامل مع قطاع غزة
برغم زيادة حوافز التجنيد: تراجع الثقة في الجيش الإسرائيلي

رؤية عربية

خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية

مخنارات السرائيلية

مجله شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
العدد ١٥٤ - أكتوبر ٢٠٠٧

رئيس مجلس الإدارة	رئيس التحرير	مدير المركز
مرسى عطا الله	أسامة سرايا	د. عبد المنعم سعيد
رئيس التحرير		
د. عماد جاد		
مدير التحرير		
أيمن السيد عبد الوهاب		
وحدة الترجمة		
د. يحيى عبد الله	د. أشرف الشرقاوي	عادل مصطفى
محب شريف	منير محمود	محمد اسماعيل
شريف حامد	كمال أحمد	مدحت الغريبواوي
محمود صبري		
المستشار الفني	المدير الفني	سكرتارية التحرير الفنية
السيد عزمي	حامد العويضي	مصطفى علوان

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠ / ٥٧٨٦١٠٠ / ٥٧٨٦٢٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٢٢

المحتويات

٤	المقدمة..... د. عماد جاد
	♦ أولاً : الدراسات
٥	١ - كتاب الاستخبارات الإسرائيلية وعرب إسرائيل (الفصل الخامس-٣)..... د. هليل كوهين
١٤	٢ - كتاب "اليهود العرب.. الانتماء القومي والديني والعربي" (الفصل الأول-٢)..... يهودا شنهاف
٣١	٣ - وحدة شاكيد (الفصل الثامن)..... أوري ميلشتاين ودوف دورون
	♦ ثانياً: الوثائق
٣٨	تقرير فينوجراد (الباب الثالث- الفصل الخامس)..... ترجمة: د. أشرف الشرقاوي
	♦ ثالثاً: الشهادات
٥١	مذكرات قائد أمريكي لا يحب إسرائيل..... أمير أورين
٥٥	♦ رابعاً: افتتاحيات الصحف..... إعداد: وحدة الترجمة
	♦ خامساً: الترجمات العبرية
	■ إسرائيل - سوريا:
٦٤	١ - ينبغي الاستعداد لاتخاذ قرار من الآن..... د. روني برت
٦٥	٢ - إيران للأسد: "ستساعد طالما تطلب الأمر"..... يوآف شتيرن
٦٦	٣ - بيريس يدير مفاوضات سرية مع سوريا..... عומר كرمون
٦٧	٤ - نتياهو هنا أولمرت على العملية في سوريا..... هيئة تحرير معاريف
٦٧	٥ - حول العملية الإسرائيلية في سوريا..... د. حنان رايج
	■ الشأن الفلسطيني:
٦٩	١ - خمسة أطفال في أسبوع..... افتتاحية هاآرتس
٧٠	٢ - مطلوب لوثر كينج فلسطيني..... مولى بيلج
٧١	٣ - إزاء سديروت وغزة..... افتتاحية هاآرتس
٧٢	٤ - كيف نتصرف إزاء ما يحدث في غزة؟..... د. تشلو روزنبرج
٧٣	٥ - حكم حماس..... يوني بن مناحم
٧٤	٦ - يوهان.. رجل السلام..... عكيفا إدار
٧٥	٧ - مكتب رئيس الوزراء مهتم بوثيقة "بيلين- أبو مازن"..... ألوف بن وآفي يسخروف
٧٧	٨ - حزب كاديما الفلسطيني يشق طريقه..... يهوناتان داحوچ هاليفي
٧٧	٩ - مبادرة: تعويضات لمستعمري الضفة الغربية مقابل ترك منازلهم..... جاي فارون
٧٨	١٠- بان كي مون: "قطع الخدمات عن غزة يتعارض مع القانون الدولي"..... باراك رافيد
٧٩	١١- أدباء إسرائيليون يدعون لإجراء مفاوضات مع حركة حماس..... شارون نوفيك
٨٠	١٢- بلا مشاكسة وبلا تفتير..... افتتاحية هاآرتس

■ تقرير الفقر نصف السنوى فى إسرائيل:

- ٨١ - ١ - الفقر "استقر" والفجوة اتسعت.....ياغيل برنوفسكي
- ٨٢ - ٢ - كثرة المواليد تعنى الحصول على مزيد من المخصصات.....دروور عزرا
- ٨٤ - ٣ - العرب أكثر فقراً.....سيفر بلوتسك

■ علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية:

- ٨٥ - ١ - قدرتنا على مهاجمة إيران محدودة.....إيتسيك وولف
- ٨٦ - ٢ - إهانة ملكية.....افتتاحية هآرتس
- ٨٦ - ٣ - تركيا: "اختراق إسرائيل للمجال الجوى السوري عمل غير مقبول".....يوآف شتيرن وباراك رافيد
- ٨٧ - ٤ - "محور الشر" .. عزلة، كراهية وأسلحة دمار شامل.....يتسحاق بن يسرائيل
- ٨٨ - ٥ - تعاون بين إسرائيل وإيران.....هيدر فريز
- ٨٩ - ٦ - كوندراليات على الطريق: العراق، سوريا وإيران.....موطى أشكنازي
- ٩٠ - ٧ - حركة ناطورى كارتا: "نجاد محب للسلام وودود".....هيئة تحرير يديعوت أحرونوت

■ المجتمع الإسرائيلي:

- ٩١ - ١ - الأمر يتوقف على الحاخامات.....افتتاحية هآرتس
- ٩٢ - ٢ - يشاي يقترح سحب الجنسية من النازيين الجدد.....رونين ليفوفيتش
- ٩٣ - ٣ - لتغير قانون العودة.....بامبي شيلج
- ٩٤ - ٤ - الشمس تشرق علينا جميعاً.....افتتاحية هآرتس

■ حوارات:

- ٩٥ - ١ - حوار مع وزير المالية "رونى بار أون".....أجرى الحوار: سيفر بلوتسك
- ٩٩ - ٢ - حوار مع "عباس صوان" كابتن فريق أبناء سخنين سابقاً.....أجرى الحوار: يوناتان جور

■ استطلاعات:

- ١٠٢ - ١ - مقياس السلام لشهر أغسطس ٢٠٠٧.....إفرايم ياعر وتمار هيرمان
- ١٠٤ - ٢ - مقياس التهديدات الأمنية لشهر سبتمبر ٢٠٠٧.....د. جاى بيخور
- ١٠٦ - ٣ - تزايد الحافز للتجنيد وتراجع الثقة فى الجيش الإسرائيلي.....يوفال أزولاي وأور كشتي
- ١٠٧ - ٤ - لا تزول بالغسيل.....يوئيل ماركوس
- ١٠٩ - ٥ - تضاعف نسبة تعاطى المخدرات بين شباب مهاجرى الاتحاد السوفيتى سابقاً.....روتى سيناى
- ١١٠ - ٦ - ساريد أم حولدائي.. معركة شرسة على رئاسة بلدية تل أبيب.....إيلي سينور

■ شخصية العدد:

- ١١١ - الممثل الإسرائيلى "يجال ناؤور".....ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعي

◆ سادساً: رؤية عربية

- ١١٢ - خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية.....لواء أ.ح متقاعد/ حسام سويلم

- ١١٨ - سابعاً: مصطلحات عبرية.....إعداد: وحدة الترجمة

◆ مقدمة ◆

قبل الذهاب إلى واشنطن

يجري الحديث، بلا انقطاع، عن القمة أو اللقاء الذي سيعقد في واشنطن في منتصف نوفمبر القادم، بدعوة من الرئيس الأمريكي "جورج بوش" وبتدبير من رأس الدبلوماسية الأمريكية "كونداليزا رايس" .. والملاحظ أن الجدل حول القمة يدور في عواصم المنطقة المختلفة، ففي الدول العربية، مثلما هو الحال في إسرائيل، تنقسم المواقف ما بين مؤيد ومعارض لانعقاد هذه القمة وفق شروط محددة.. وبينما ترغب السلطة الوطنية الفلسطينية، ومعها العواصم العربية الرئيسية، في قمة حقيقية، يُداول فيها اتفاق محدد كإطار عام للمفاوضات، وجدول زمني بضمان الرباعية الدولية وفي القلب منها واشنطن، يرغب التيار الرئيسي في الحكومة الإسرائيلية في مجرد لقاء لا يتناول القضايا الجوهرية ويكرس لتقديم الدعم الاقتصادي والأمني للسلطة الوطنية الفلسطينية، على أن تترك باقي التفاصيل "الجوهرية" للمسار الثنائي وإلى أن تتضح الظروف حسب الرؤية الإسرائيلية.. أما واشنطن فيبدو إجمالاً أنها ترغب في انعقاد القمة في حد ذاتها، فالقمة تعني اهتمام واشنطن بالعملية السلمية في المنطقة، ويجري التعامل معها باعتبارها إنجازاً للإدارة المأزومة في الشرق الأوسط.

يكشف مسار الصراع العربي - الإسرائيلي، بمنعطفاته المختلفة، عن أن المشكلة الجوهرية، في كل المحاولات التي جرت للتسوية، تمثلت بالأساس في المراوغات الإسرائيلية، وعدم الجدية الأمريكية، إضافة إلى غياب الرؤية الواقعية لدى أطراف عربية.. وكانت المحصلة دائماً فشل متواصل للجهود، مع نجاح إسرائيل، وبدعم أمريكي، في تحميل الطرف العربي المسؤولية عن الفشل.. فقد كشفت التجارب السابقة عن استعداد إسرائيل الجيد للقاءات أو القمم أو المؤتمرات، بما في ذلك صياغة الرواية التي ستقدم للإعلام بعد فشل اللقاء، والتي تحمل الجانب العربي المسؤولية عما جرى. وقد بدا ذلك واضحاً في مفاوضات "كامب ديفيد الثانية"، التي جرت في الفترة من ١١ إلى ٢٥ يوليو من عام ٢٠٠٠، لذا، أعتقد أن الجانب العربي مطالب بدراسة تجربة مفاوضات كامب ديفيد الثانية واستلهام الدروس منها ووضع الضمانات الكفيلة بعدم تكرار التجربة التي قادت بعد ذلك إلى إعادة احتلال إسرائيل لما كان تحت سيطرة السلطة من أراض في المنطقتين (أ) و(ب).

ويبدو مهماً للغاية هنا التأكيد على أن حضور قمة أو لقاء واشنطن، في ظل ضبابية الأسس وهلامية الإطار الزمني، سيُنتج "كامب ديفيد ثالثة"، بكل ما يمكن أن يترتب عليها: إما سلطة وطنية معادية لشعبها وحقوقه، أو سلطة لم تعد شريكاً للسلام.

لكل ذلك، لا بد من التأكيد على ضرورة التوافق بين الدول العربية الرئيسية، وفي مقدمتها مصر والسعودية والأردن، على دعم مطالب السلطة الوطنية، المتمثلة في: إعلان مبادئ بأسس التسوية وفق حدود ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧؛ دولة فلسطينية مترابطة الأجزاء عاصمتها القدس الشرقية؛ حل عادل لقضية اللاجئين.. على أن يوضع جدول زمني محدد للانتهاء من العملية برمتها لا يتجاوز العام، بحيث تنتهي قبل مغادرة بوش البيت الأبيض، وأن تضمن الرباعية، وفي مقدمتها واشنطن، هذه الأسس وتتعهد باحترامها وتلتزم بتطبيقها. وأن يصدر إعلان أمريكي بهذه الأسس توافق عليه الأطراف المختلفة قبل الذهاب إلى واشنطن.

ما لم تتحقق هذه المطالب المشروعة، فالأفضل للسلطة الوطنية والأطراف العربية المدعوة الاعتذار عن عدم الاشتراك في قمة جديدة، أو فخ جديد، فمهما كانت الخسائر المتوقعة من المقاطعة، فإنها لن تقارن بما سترتب على المشاركة، وفق الشروط الإسرائيلية، من خسائر للجميع.

د. عماد جاد

♦ دراسات ♦

١

كتاب عرب طيبون الاستخبارات الإسرائيلية وعرب إسرائيل؛ عملاء ونشطاء، متعاونون ومتمردون، أهداف ووسائل (الفصل الخامس - ٣): تحالف الدم

تأليف: د. هليل كوهين

في صباح أحد أيام شهر فبراير عام ١٩٥٦ توجه العريف موشيه يافت، من قبل الإدارة العسكرية، بصحبة الشيخ مرزوق سعيد معدي، لتوزيع أوامر التجنيد على شباب القرية. وصل الاثنان إلى منزل سليمان سرحان طريف، وسألاه إذا كان ابنه في سن التجنيد للخدمة العسكرية. صرخ طريف في وجهيهما: "أنا لا أوافق أصلاً على تجنيد ابني. من هو ابن العاهرة هذا الذي وافق على إلزام الدروز بالتجنيد في صفوف الجيش الإسرائيلي". وبعد ذلك توجه إلى المختار وقال له: "إذا تعرض ولدي للإصابة على الحدود المصرية أو السورية سأذبحك في عرض الشارع". وقدمت شكوى إلى الشرطة بهذا الخصوص. بعد مضي شهر وفي ساعة متأخرة من الليل كان كامل سلمان طريف أحد سكان قرية جوليس، البالغ من العمر ثلاثين عاماً، عائداً إلى منزله بالقرية. انقض عليه سبعة أشخاص كانوا قد كمنوا له بالقرب من منزله، وأسقطوه أرضاً، وعصبوا عينيه بكوفية، وفي غضون ذلك قالوا له: "سنرى كيف ستوقع عنا بعد ذلك وترسلنا للجيش". كان طريف قد أبلغ قائد كتيبة الأقليات في اليوم السابق بأسماء بعض الشبان الدروز المفروض تجنيدهم، واعتبر هذا هو سبب تعرضه للهجوم.

لم تكن هاتين الحادثتين استثناءً كما أنهما تجسدان موقف غالبية المجتمع الدرزي بالتجنيد الإجباري الذي فرض عليه، بدءاً من الخدمة في الاحتياط (عام ١٩٥٣) وبعد ذلك في الخدمة النظامية (بدءاً من عام ١٩٥٦). كذلك فإن الحادثتين تشيران إلى الخلاف في الرأي بين العائلات تجاه قضية التجنيد: فكما هو الحال في عائلات أخرى كان هناك بين عائلة طريف نفسها مؤيدين ومعارضين للتجنيد. وهناك بيانات قسم التجنيد بإدارة القوى البشرية: فمن بين ١٩٧ مطلوب تجنيدهم من قرى الجليل الذين تم استدعاؤهم للخدمة في مستهل عام ١٩٥٦ امتثل طواعية ٥١ فرداً فقط؛ ومن بين ١١٧ مطلوب تجنيدهم من قرى الكرمل امتثل ٣٢ فقط. وهو ما يقل كثيراً عن الربع.

على خلاف التصور الشائع، وبما يتنافى مع الادعاء بأن الدروز هم الذين طلبوا تطبيق قانون التجنيد الإلزامي عليهم، يتضح أن حماس الدروز لمسألة التجنيد في صفوف الجيش الإسرائيلي كان محدوداً، وبلغه أخرى (حتى بين الزعامات هناك قليلون فقط - وعلى رأسهم أعضاء الكنيست جبر معدي وصلاح خنيفس ولييب أبو ركن - أعربوا عن تأييد قوى للتجنيد). حتى استعدادهم لعقد "تحالف دم" مع الجيش الإسرائيلي كان محدود الضمان. وكما فهمت الجهات الأمنية كان الاعتراض يرجع لأسباب مختلفة، بعضها شخصية (عدم الرغبة بشكل طبيعي للخدمة في الجيش)، وبعضها مرتبط بالسياسة الداخلية الدرزية (خلافات بين تيارات داخل الطائفة) وبعضها سياسية عامة (التوافق مع القومية العربية أو عدم الرغبة في الإضرار بعلاقة الدروز مع الدول العربية). واعتبر القائمون على شؤون الدروز في ماباي وفي وزارات الحكومة أن ذلك يمثل فشلاً لزعماء الطائفة، الذين لم يقوموا بالإعداد الكافي بين الشباب. في المرحلة الأولى من المناقشات عُرضت فكرة إلغاء وحدة الأقليات ودمج الدروز في وحدات عادية. غير أن

قائد الوحدة يعقوف تساييا عارض ذلك وأوضح: "هذه القوة البشرية تعاني من شعور بالنقص والشك لا يمكن التغلب عليه لمجرد وجودها ضمن وحدة واحدة مع جنود يهود"، وأضاف: "واعتقد أنه أيضاً لأسباب أمنية يُفضل أن يكونوا في وحدة منفصلة حتى تجدى مراقبتهم نفعاً". وبناءً على ذلك قررت الأجهزة الأمنية الإبقاء على تلك الكتيبة، مع النظر في القضايا ذات الصلة والقضاء على معارضة التجنيد من خلال العمل على مستويين مُتوازيين: الإقناع والإغراء (مثلاً عن طريق منح تصاريح بحمل السلاح لنشطاء في مجال التجنيد)، واستخدام القوة. كانت وسيلة استخدام القوة يسيرة التنفيذ: فقد أرسل مكتب التجنيد إلى الشرطة قائمة لرافضي التجنيد، فقامت الشرطة بحملة اعتقالات ووجهت لهم اتهامات جنائية، ولم تفرج المحكمة عنهم إلا بعد أن أعلنوا عن رغبتهم في التجنيد في صفوف الجيش الإسرائيلي. في الوقت نفسه فرضت الشرطة حظراً على معارضي التجنيد تشكيل أي تجمعات احتجاجية لأسباب إدارية.

وقد نال المعارضون كل التأييد من جانب زعماء الدروز في الدول المجاورة، وعلى رأسهم سلطان الأطرش، زعيم الدروز في سوريا. وفي مقابلة مع راديو دمشق أوضح الأطرش للمستمعين أن إسرائيل تستخدم طرقاً مُلتوية وبث الفرقة من أجل تجنيد الدروز، وأن المشايخ الذين يوافقون على التجنيد تدفعهم مصالح شخصية وهم لا يُمثلون الطائفة الدرزية. وقد وعد عرب إسرائيل ومن بينهم الدروز، قائلًا: "إننا نبني قوة في كل الدول العربية لكي نحركم من الاستعمار"، ودعاهم إلى عدم الانخداع بالدعاية الإسرائيلية. وفي نداء صدر في بيان شارك فيه ثلاثة زعماء للطائفة في سوريا ولبنان أعلن الأطرش أن الهدف من وراء التجنيد الإجباري هو الإساءة إلى الدروز وإفساد علاقاتهم ببقية العرب. وادعى أن إسرائيل لن تمنح أبداً الدروز حقوقاً متساوية وستعتبرهم دائماً خونة (سواء لشعبهم أو لدولة إسرائيل). وختم البيان بالآتي... "جبر دهش (مُعدى)، وصلاح خنيفس ولييب أبو ركن وآخرون أساءوا إلى سمعتهم الطيبة. فلتراجعوا أنفسهم، انظروا إلى مصيركم واعلموا أن إسرائيل تلعب بكم وتورطكم. ساندوا إخوانكم العرب في صراع البقاء لأن يوم النصر ليس ببعيد. (..) النصر للعرب والموت للحكم الصهيوني وللمتعاونين معه".

وللتغلب على المعارضة الداخلية والخارجية وسعت الشرطة من عمليات اعتقال الرافضين. في مستهل عام ١٩٥٧ جرت عملية لمحاكمة الرافضين للتجنيد في فريتي دالية الكرمل وعُصفياً. وأرسلت قوة من الشرطة إلى كل قرية ومعهم قائمة بأبناء القرية من رافضي التجنيد ومارسوا نشاطاً علنياً مناهضاً للتجنيد. نجح رجال الشرطة في عُصفياً في اعتقال اثني عشر منهم، رغم مظاهر الاعتراض غير العنيف من جانب أقربائهم. بينما كان الأمر في دالية الكرمل أكثر تعقيداً. فقد رفض رئيس المجلس المحلي مرافقة رجال الشرطة بسبب الانتخابات البلدية الوشيكة، وانضم لقوة من شببية الكشافة التابعة للمجلس. في الوقت نفسه وُجه تحذير إلى المعنيين بالأمر بأن الشرطة في الطريق، ولم ينجح رجال الشرطة في تطويق سوى ثلاثة، تم اعتقالهم وإحضارهم إلى مقر المجلس. وبسرعة كبيرة تجمع غالبية سكان القرية حول المبنى وأعلنوا أنهم لن يسمحوا بخروج المعتقلين من مقر المجلس المحلي ولو بالقوة. تشاور ضابط الشرطة مع قائده، الذي سمح له بإطلاق سراحهم على شرط أن يمثلوا للحضور غداً في معسكر الشرطة. امتثل الثلاثة وحضروا (ووافقوا في النهاية على الالتحاق بالخدمة العسكرية الجبرية) غير أن بقية أقرانهم استمروا في رفضهم.

قام عشرة مشايخ من شفا عمرو وما حولها بكتابة أسباب رفض التجنيد في صفوف الجيش الإسرائيلي بالتفصيل في خطاب أرسلوه إلى رئيس الوزراء ووزير الدفاع، جاء فيه:

١- نظراً للظروف التوقيت الصعبة والحساسية التي نعيش فيها، فإننا نرفض بشكل نهائي وتام طلب الانخراط في عمل إلزامي في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي.

٢- نحن عرب إسرائيل ونتحمل ما يفرضه علينا القانون المدني كدفع الضرائب المقررة علينا. ولكن من الأهمية بمكان إدراك أننا قبل كل شيء عرب ولن يقاتل عربي أخاه العربي تحت أية ظروف وفي أي مكان.

٣- إن احتياج إسرائيل لخدماتنا نحن الدروز في الجيش ليس حيويًا. ونحن الدروز يمكننا أن نخدم إسرائيل في شتى المجالات الأخرى "المدنية" (..).

٤- يجب التعامل مع الدروز في إسرائيل كما يتم التعامل مع كل العرب القاطنين فيها. فالجهة التي طلبت تجنيد الدروز إلزامياً في الجيش، بالتأكيد لا تمثل الدروز.

كانت مبررات مُعارضي التجنيد لها قيمتها وقد وقّع عشرات المئات من الدروز (حوالي ١٥٠٠، حسب مصدر واحد) على عرائض بنفس المعنى. وأعربوا ضمناً عن خوفهم من أن التجنيد الإلزامي لن يضر فقط بمصالح الطائفة في إسرائيل، بل سيُسيء إلى الدروز أيضاً في الدول القريبة. وكان هناك من أعربوا وفي حدة شديدة عن معارضتهم للتجنيد، مثل الشيخ فرهود قاسم فرهود من قرية راما الذي قال إنه "يجب تصفية المشايخ الذين وقعوا تأييد تجنيد شباب الدروز" - ذلك على الأقل ما أفاد به تقرير أحد الوشاة وأرسلته الشرطة في ملف تم إعداده في مارس ١٩٥٧ في قرية ياسيف.

على مدى عدة شهور بدا أن المعارضة الحاشدة يمكن أن تضع وزارة الدفاع أمام اختبار لموقفها، غير أن الأمور لم تمض بهذا الاتجاه. فلم تتمسك حركة الرفض بموقفها لوقت طويل في مواجهة عمليات الإقناع والاعتقالات. فالقاعدة الجماهيرية للرافضين خاصة في القطاع الخلفي لزعامة الطائفة أخذت تفتر، وتوقف الاحتجاج بالتدريج. وفي غضون شهرين كان بمقدور إدارة العمليات في القيادة العامة أن تبلغ وزارة الدفاع بأنه في أعقاب ما بذلته الإدارة العسكرية والشرطة من جهد توقف 'التحريض' ضد التجنيد، و"أصبح الموضوع برمته جزءاً من الماضي".

لماذا تمسكت المؤسسة الإسرائيلية بتجنيد الدروز ولم تتخل عن استخدام القوة في سبيل ذلك؟ لقد أعطى مستشار شؤون العرب، زئيف ديفون، إشارة واحدة في جلسة لجنة برلمانية معنية بشؤون الأقليات برئاسة رئيس الكنيسة يوسف شفریتسك. وبدأ يجال ألون، النقاش الذي أسماه "صيد المتقاعسين". وقال ديفون: "في البداية تشكلت الوحدة الدرزية من المتطوعين فقط. ولكن عندما تعذر وجود متطوعين بما فيه الكفاية انتقلوا - تطبيقاً لمشورة زعمائهم - إلى التجنيد الإلزامي". هذا هو التبرير الموضوعي. وقد عانت وحدة الأقليات من نقص في القوة البشرية. في البداية حاول الجيش توسيع معدل التجنيد عن طريق الدعاية والإقناع، ثم اقترح بعد ذلك منع تصاريح التنقل عن الدروز الذين لا يخدمون في الاحتياط والتضييق عليهم بأشكال أخرى، ولكن دون جدوى. من هنا ظهرت فكرة التجنيد الإلزامي.

منطقياً يعتبر هذا التفسير مقبول. ولكن لا ننسى أن الجيش الإسرائيلي كان أمامه خيار إغلاق الوحدة، التي لم تكن أصلاً ذات تأثير في قوات الجيش الإسرائيلي، غير أن هذا الخيار رُفض. المسؤولون عن الموضوع، مثل ديفون حرصوا طوال الوقت على تأكيد أنه تقرر استمرار نشاط هذه الوحدة، ولو في إطار تجنيد إلزامي، بناءً على طلب زعماء الطائفة. حتى بن جوريون نفسه الذي اهتم بالقضية مع تطبيق القانون على الدروز قال: "لم أوافق على إصدار أمر بشأن تجنيد الدروز بعد أن وعدني بأن كل هؤلاء المتحدثين باسم الدروز، وجميع السلطات المدنية والدينية بكل الطوائف يوافقون على وتلقيت وعوداً بأنهم تحدثوا مع كل هؤلاء وهم موافقون. ولكن يبدو أن هناك قطاع من الشباب يرفضون الخدمة في الجيش، وكذلك بعض الزعماء. إنها طائفة في غاية الخطورة".

لم يكن مطلب زعماء الطائفة إلا حُجة فحسب. أما أسباب التعت الإسرائيلية فيجب البحث عنها أولاً وقبل أي شيء في المستوى السياسي. لقد كان الأطرش على حق إلى حد بعيد عندما قال إن هدف التجنيد كان عزل الدروز عن بقية العرب. كما أن المغزى من تجنيد الدروز في صفوف الجيش الإسرائيلي كان وما يزال حتى الآن يرجع إلى مكانتهم كمقاتلين. ففي وثيقة تعود إلى كتيبة الأقليات ذكر هذا الأمر صراحة: "كان الأثر المباشر لوحدة الأقليات هو الطائفة الدرزية وربطها بنا، وإفساد العلاقات بين الدروز والمسلمين في إسرائيل وزعزعة الثقة بالدروز بالخارج". ولم تكن إسرائيل لتتنازل عن هذا الإنجاز. وفي منتصف الخمسينات سعت إسرائيل إلى مزيد من استغلال الدروز، واقترح قائد كتبة الأقليات استخدامهم في عمليات الأمن الداخلي والاستخبارات: "انخرطهم في أنشطة التعليم والإعلام سيُقرب جيل الشباب من مشكلات إسرائيل وسيُضعف إخلاصهم، وربما أمكن الاستعانة بالكثيرين منهم في مجال الأمن الداخلي، والكشف عن العملاء لأطراف خارجية، والمتسللين والمهربين وما شابه. وهناك أشخاص مُحددون يتم اختيارهم بدقة ليكونوا همزة وصل مهمة في العلاقات بالخارج في مجال الاستخبارات وسياسياً بصفة خاصة".

كانت تلك، إن صحّت، هي الأسباب الأهم للتمسك بتجنيد الدروز. وهذا أيضاً هو السبب الذي جعل التبرير الرئيسي للمعارضين - كونهم عرباً ويرغبون في الحفاظ على علاقاتهم بالعرب داخل إسرائيل وخارجها - لا يجد أذناً مُصغية: فعزلهم عن العالم العربي كان هدفاً أساسياً للتجنيد، وليس نتيجة ثانوية (١).

دفعة مؤثرة أخرى لتجنيد الدروز خلقها التنافس بين شخصيات إسرائيلية في التأثير على الطائفة واحتياج شخصيات في الطائفة لإيجاد داعمين لهم في المؤسسة الرسمية. وأبرز الشخصيات التي كانت مشاركة في أنشطة بين الدروز حتى منذ فترة الانتداب - شخصيات مثل رئيس بلدية حيفا، أبا حوشي، من ناحية، ويهوشع فلمون من ناحية أخرى - أيدوا التجنيد. في المقابل، في منتصف الخمسينات جاءت شخصيات من كل المعسكرات في الطائفة لتعترف بأنها لن تتجح في جمع قوة لها وزنها بدون تأييد المؤسسة الرسمية الإسرائيلية أو ممثلين كبار لها. وللحصول على تأييدها كان على زعماء الطائفة تأكيد إخلاصهم للدولة وموافقتهم على تجنيد شباب الدروز. وكان هؤلاء الذين انخرطوا في عضوية الحركة الصهيونية منذ فترة الانتداب - أعيان عائلة أبي ركن من عوسفيا وصالح خنيفس من شفا عمرو، غير المنتمين إلى كبار الزعامات - قد أيدوا التجنيد بصورة مُطلقة. وكشف البيان الذي أصدره لبيب أبو ركن عام ١٩٥٥ عن موقفه دون أي لبس. ودعا قائلاً: "تجنّدوا بأعداد كبيرة يا أبناء طائفتي ساهموا في الدفاع عن الوطن، استعد أيها الشاب الدرزي للقتال وواصل جهدك للزود عن وطنك الحر، إسرائيل الزاهرة. لا تتردد في القيام بواجبك تجاه وطنك العزيز... عاشت الحرية، عاشت إسرائيل عاش استقلال إسرائيل". وبالفعل، نال أبو ركن وخنيفس

تأييد قائد كتيبة الأقليات أمنون ينאי، ومستشار رئيس الوزراء يهوشع فلمون. وقد عُيِّن أبو ركن رئيساً للمجلس المحلي في عوسفيا، وبعدها قاضياً في المحكمة الشرعية الدرزية، وحظي خنيفس بتأييدهم في حملاته الانتخابية للكنيست. بالمقابل وقف الشيخ أمين طريف، الذي تحفظ على التجنيد لأنه أراد الحيلولة دون الإضرار بالعلاقات بين الطائفة الدرزية في إسرائيل والتجمعات الدرزية في الدول المجاورة، ولأنه خشي من المساس بالقيم الأخلاقية للشباب الدرزي. إلا أن موقفه هذا كان وبالاً عليه. لقد انشغل منذ قيام الدولة بتدعيم وضعه كرئيس للطائفة في الوقت الذي كان معارضوه يُناوشونه بسبب غياب الشفافية فيما يتعلق بإدارة أموال وقف النبي شعيب، أحد أهم مصادر الدخل للطائفة، ويستغلون تحفظه على تجنيد الدروز للإساءة إلى وضعه لدى السلطات. وبالفعل، أثار موقفه المعارض لتجنيد الدروز خلال حرب ١٩٤٨ ضغينة الأسر التي أرسلت أبنائها للقتال ضده (٢). وكان الشيخ صلاح على أبو ركن، أحد المكلومين في أبنائهم خلال معركة قرية يانوح (التي قتل فيها في أكتوبر ٤٨ عشرة جنود دروز من وحدة الأقليات بنيران المدافعين عن القرية) قد قال لمسئول وزارة الأديان يعقوف يهوشع: "لقد فرض الشيخ أمين طريف مقاطعة سرية على المنتسبين لجيش إسرائيل (أثناء حرب ٤٨) ولهذا السبب لم نستطع إحضار شهداء وحدة الأقليات في معركة يانوح لدفنها، وتحولت جثامينهم طعاماً للطيور الجارحة". وعندما طرح موضوع تجنيد الدروز في خدمة الاحتياط عام ١٩٥٢، عقد معارضو الشيخ أمين طريف مؤتمراً صحفياً شرحوا فيه بالتفصيل موقفه السلبي الراض للاستيطان قبل حرب ٤٨ وأثناءها، وأرجعوا معارضته للتجنيد لأسباب عربية قومية.

أدرك سلمان طريف، شقيق الشيخ، أن مثل هذا الوضع يمكن أن يعرقل جهود أمين ليصبح زعيماً معترفاً به للطائفة وتكون له كامل السلطة على أملاكها مع صلاحيات التصرف فيها. ولذلك، عقد على الفور مؤتمراً صحفياً مضاداً لدحض الادعاءات المناهضة لشقيقه وتخفيف الانتقاد الموجه لمعارضته للتجنيد. وخلال المؤتمر أبدى أقطاب عائلة طريف موافقتهم على التجنيد بشرط أن يتم تغيير قادة كتيبة الأقليات، الذين تورطوا على حد قولهم في الفساد، بآخرين. وبذلك نجحوا ليس فقط في تخفيف الانتقادات الموجهة إليهم، بل أيضاً في توجيه علامات استفهام لقائد كتيبة الأقليات أمنون ينאי والمستشار يهوشع فلمون، اللذين أيدا معارضتهم، لبيب أبو ركن وصالح خنيفس. وختاماً لهذه الحملة اتصل طريف برئيس بلدية حيفا، أبا حوشي، من رواد الاتصال بالدروز في الثلاثينيات بينما كان آنذاك سكرتير مجلس عمال حيفا. وساعد هذا التضامن الطرفين: عائلة طريف وجدت لها نصيراً قوياً، ووجد حوشي وسيلة لاستعادة تأثيره بين الدروز. قام بدعم طريف، وكذلك عضو الكنيست جبر مَعدي، الذي ساعد هو أيضاً القوات اليهودية في الحرب لكنه كان مُحفظاً على التجنيد، وبدأ العمل لتغيير رأيهم بشأن التجنيد.

توقف الشيخ أمين وشقيقه سلمان عن إطلاق تصريحات معارضة للتجنيد بعد اتصالهما بحوشي وبعد مقابلة جرت بينهما وبين موشيه شيريت (التي لم تعرف تفاصيلها الكاملة). وتبنى سلمان بشكل مفاجئ موقفاً جديداً، مفاده أنه سيكون من السهل على الدروز الالتحاق بالخدمة العسكرية إذا طبق عليهم قانون التجنيد الإلزامي، نظراً لأن التحاقهم بالخدمة كمتطوعين يُظهرهم في صورة سلبية أمام المجتمع. كان هذا بمثابة تسويغاً سمح لممثلي الدولة بالالتفاف حوله، الدروز المؤيدين للالتحاق بالخدمة العسكرية والدروز الذين قرروا أن الوقت قد حان لتأييد التجنيد الإلزامي. حتى الشيخ أمين تخلى عن معارضته، على شرط - قبلته وزارة الدفاع - أن يُعفى من التجنيد الطلاب المنخرطين في الدراسات الدينية ورجال الدين. وبالتالي تم تحييد موقف عائلة طريف المعارض للتجنيد، وبرز وضع لم يعد فيه زعيم كبير رافضاً لتطبيق القانون على الدروز. وبات الطريق لتجنيد إلزامي للدروز - وثبت مكانة الشيخ أمين كرئيس للطائفة - ممهداً.

وبعد سنوات من تطبيق التجنيد الإلزامي على الدروز، ظهر مشروع الفصل بين الدروز وبقية العرب في الدولة. في عام ١٩٥٧ عُرف الدروز كطائفة دينية مختلفة (خلال فترة الانتداب كانوا يخضعون للمحاكم الشرعية الإسلامية، وهناك من اعتبروهم مذهباً إسلامياً وليس ديناً بذاته). في عام ١٩٦١ تمكنت الطائفة من الحصول على وضع قانوني لمجلس ديني يخصصهم، وبعد ذلك بعام تم التصديق على قانون المحاكم الدرزية وأقيم نظام قضائي درزي مستقل. وتحولت الاحتفالات الخاصة بالنبي شعيب، التي كانت في الماضي تقتصر على رجال الدين، إلى احتفالات جماهيرية. وقام الطلاب الدروز بإعداد كراسات عن النبي شعيب وأثره، وفي المكان تم تنظيم مظاهر احتفالية من قبل جماعات الكشافة الدرزية، وأصبح القبر مكاناً لأداء اليمين للمستجدين الدروز بعد تجنيدهم.

ووسط كل هذه التطورات، لا شك أن التجنيد في صفوف الجيش الإسرائيلي هو "الذي فاقم أزمة الثقة بين الدروز وبين أبناء الطوائف الأخرى"، حسب تقديرات نائب مستشار رئيس الوزراء لشؤون العرب، أهارون ليش. وبخلاف التجنيد في حد ذاته، كان الاستخدام المتعمد لوحدة الأقليات في عمليات التمشيط داخل القرى المهجورة وفي طرد اللاجئين المتسللين إلى ديارهم كفيلاً بزيادة التوتر بين الطوائف.

خلال الستينات لاحظ ليش وبقية المسئولين عن الملف الدرزي في المؤسسة الإسرائيلية استياء الكثير من الدروز، وبخاصة الشباب، الأمر الذي جعلهم يخشون من أن يعكس ذلك فيما بعد رفضاً للتجنيد أو مظاهر قومية عربية. كان السبب المهم لتدميرهم هو شعورهم المبرر بعدم المساواة رغم خدمتهم العسكرية. وكان هناك سبب آخر وهو "تصنيف قسماً من المثقفين الدروز مع الحركة القومية العربية". وكان هذا دليلاً دامغاً على أن مسألة عربوية الدروز لم تتوارى، وعلى وجود توتر داخلي في الطائفة حول قضية الهوية.

لم تكن حقبة الستينات ينقصها التوتر داخل الطائفة الدرزية. بعضهم ظهروا على الساحة في لقاءات شخصية، والبعض في الصحافة. وقد نشر أحد الدروز من قرية حوربيش في مارس ١٩٦٤ خطاباً في صحيفة "الاتحاد" اتهم فيه الشيخ أمين طريف بمحاولة التفريق بين الدروز والعرب. بعدها وفي نفس الشهر كتب صلاح شويان من شفا عمرو أن الحكومة تحاول بث الخلافات بين الدروز والعرب، لكنهم في الواقع شعب واحد. وأضاف درزي من بقعين في مقال بقلمه أن "الدروز هم فرع من الشجرة الإسلامية، ويتم استخدامهم كأداة في الطريقة التي تعتمد عليها السلطات فرق تسد، بينما يعانون من الظلم كبقية العرب. وتعبيراً عن هذا الموقف بشكل واضح، قدم قبطان عزام حلبى من دالية الكرمل التماساً إلى محكمة العدل العليا مطالباً بتغيير البيان المسجل بخيانة القومية في بطاقة هويته من درزي إلى عربي.

سمح رد فعل ديوان رئيس الوزراء بالعودة إلى طريقة عمل الجهاز في مواجهة الدروز. فقد أعد مسئول قسم الإعلام بالديوان، ميثير ميثير، خطاباً مقابلاً لتصرف حلبى - وأرسل إلى مستشار شؤون العرب يطلب منه تحديد درزي ملائم للتوقيع على الخطاب. وتضمن الخطاب المفبرك سياقاً درزياً يتماشى مع التوجه الصهيونى لميثير ويستحق التحليل المفصل (لاحظ أن الإضافات الموجودة بين الأقواس كتبتها أنا):

اسمح لى بتقديم نفسى كدرزي فخور بأصولى كأحد أبناء معروف (التعريف الشخصى للدروز، حيث يستخدم الكاتب اليهودى إشارات محلية لإكساب الخطاب مصداقية) وكأحد أبناء الطائفة التى وبعد قمع متواصل من جانب جيراننا العرب (الحديث عن قمع على يد العرب هو أمر محل خلاف بين الدروز. إذ تتبناه إسرائيل بهدف تشكيل تاريخ درزي له خصوصية، "مناهض للعرب") حظيت الآن بالتقدم على طريق وجود طائفتى مستقل - لصالح كل أبناء الطائفة (تقديم خصوصية الطائفة ليس باعتماد طريقة فرق تسد بل كإجراء فى صالح الطائفة)... وهاهو ينتشر كالنار فى الهشيم بين قرى الدروز ما أقدم عليه أحد أعيان الطائفة الذى ناضل لسنوات طويلة من أجل حقوقها (قبطان حلبى كان من زعماء الطائفة فى دالية الكرمل) والآن تتوق نفسه إلى منصب لم يحظ به بالسرعة المطلوبة. ربما كان يستحق المنصب، وربما - عفواً لو خائنى التعبير - لا يستحق (أراد حلبى أن يتم تعيينه قاضياً؛ كاتب الخطاب يحاول إظهار مُعارضى السلطة على أنهم يعملون لمصالحهم الشخصية، وربما يفكر مؤيدو السلطات فى مصلحة الطائفة فقط)... وأتصور أن الطائفة جميعها يجب أن تستنكر هذا التقلب (محاولة لحشد كل الطائفة ضد المنحازين للقومية العربية). الخطاب الذى أرسله ميثير إلى ممثل مستشار شؤون العرب فى حيفا، نسيم توكتالى، أكمل الصورة. وكتب فيه: "يبدو لنا أنه كان أمراً جيداً أن يتعرض المذكور (حلبى) للهجوم من الدروز، فعندما يُنشر الخطاب (باسم درزي مناسب) يمكننا القيام بحملة تشهير موازية فى الصحافة العبرية".

جاء هذا الخطاب فى إطار الجهود التى بُذلت لبلورة وعى درزى إسرائيلى خاص وتحريض أبناء الطائفة الذين تبناوا فكر القومية العربية. وكان واضحاً بالنسبة لميثير أنه لن يجد صعوبة فى إيجاد شخصاً درزياً مناسباً للتوقيع على الخطاب. كان هناك دروز أيدوا نظرية الانفصال على أساسى فهمهم للتاريخ الدرزي، ولعبوا دوراً فى إعادة تشكيل وعى درزى مستقل (مستخدمين سلسلة من قضايا تهم الدروز تنشر فى جريدة "اليوم" الحكومية العمالية). فالكثير من الدروز أيدوا المسلك الذى اعتمدته وزارة التعليم، باستبدال المعلمين المسلمين والمسيحيين فى المدارس الدرزية بمعلمين من أبناء الطائفة. ومع ذلك، فإن درجة الارتباط بالإسلام ظلت محل خلاف. فعندما قال الشيخ طريف عام ١٩٦٤، باعتباره الزعيم الروحى للرسمى للطائفة، إن عليه التشاور مع وزارة الأديان إذا ما كان شهر رمضان مناسبة درزية، هاجمه أولئك الذين كان يعتبرون الدروز عرباً مسلمين بمعنى الكلمة. تلقت الصحف خطابات غاضبة من تدخل وزارة الأديان (التي خدعت الدروز ومنعتهم من الاحتفال بعيد الفطر)، وهناك من قالوا لو أن الشيخ أمين لا يستطيع أن يُقرر بمفرده ما هى المناسبات والأعياد التى تخص الدروز، فعليه أن يستقيل من منصبه.

كان النقاش حول عيد الفطر قد بدأ قبل أكثر من عشر سنوات. ففي عام ١٩٥٢ طالب المعلمون الدروز القيام بإجازة بمناسبة العيد. وانضم هذا الطلب إلى الرغبة التى أعلنوها فى التوقف عن العمل أيام الجمع كإجازة أسبوعية. واستشعر يهوشع فلمون أن هذه المطالب تحمل بذور الميل "للعودة إلى التقرب من جيرانهم المسلمين كما كان الحال أيام الانتداب". وكان تحليله أن التيارين الانفصالي والإسلامي قد تعايشا جنباً إلى جنب داخل الطائفة الدرزية فى

إسرائيل. التيار الإسلامي تزعمه الشيخ أمين طريف، وهو الذي كان يقود وقتها أيضاً المعارضة ضد التجنيد. وكتب فلمون لجهاز الأمن العام (الشاباك) "للأسف الشديد لم تتهم الجهات الحكومية بتدعيم الفصيل الدرزي المتحفظ على المسلمين، بل بالعكس". ولكن مع مرور السنين نجح طريف في تثبيت زعامته، ونسج شبكة علاقات مع شخصيات مهمة في السياسة الإسرائيلية، ومنذ أن وافق على تجنيد شباب الدروز التزم بخط درزي انفصالي نسبياً (بما يتفق مع السياسة الإسرائيلية الرسمية)، وتعلم أن يتحرك بين جميع التيارات في الطائفة وبين أروقة السلطة في آن واحد. ولم تحظ الدعوات التي طالبت باستقالة أمين طريف عام ١٩٦٤ بتأييد كبير، نظراً لنجاحه في التصرف والمناورة مع القوى المختلفة داخل الطائفة. كما أحسن التصرف بحذر مع مؤسسات الدولة، وبخاصة في القضايا الحساسة مثل أراضي الدروز المصادرة. كانت قد صودرت خلال السنوات الخمس التي تلت قيام الدولة في الجليل حوالي ثلاثين ألف دونم، الأمر الذي ألحق ضرراً بالغاً بمصدر رزقهم الرئيسي حتى ذلك الحين. ولم يشفع لهم الاستعداد للخدمة في الجيش الإسرائيلي لرفع الظلم الذي وقع عليهم نتيجة هذه المصادرات، وعملوا دفعتهم هذه المصادرات إلى البحث عن فرصة عمل في صفوف الجيش الإسرائيلي، والشرطة، وسلاح حرس الحدود، وفي مصلحة السجون، وبالتالي كان من نصيب مؤسسات الدولة فائدة مزدوجة من جراء المصادرات. أما مكاسب الدروز، في مقابل ذلك، فكانت محل خلاف. ومع ذلك، فإن زعماء الطائفة ومن بينهم الشيخ طريف لم يفعلوا شيئاً تقريباً للحفاظ على الأراضي. على أية حال كتبت العرائض ضد المصادرات وانضم الدروز إلى الاحتجاج العام للسكان العرب، غير أن الزعماء الكبار حافظوا على الهدوء. وكانوا يتوسطون أحياناً بين الدولة وبين أصحاب الأراضي بل ساعدوا الدولة أحياناً في تملك الأرض التي كانت تثير اهتمامها، وأقنعوا الفلاحين بقبول التعويض (أموال أو أرض بديلة). كان صمتهم مثيراً للدهشة خاصة في قضية أراضي قرية موجار الخيط.

أراضي موجار الخيط، التي تعرف أيضاً بموجار الدروز، عند السفوح الشرقية لجبال صفد، كانت قبل قيام الدولة في ملكية سكان قرية بيت جن (٣)، وهي أكبر قرية درزية تقع على جبل ميرون. تضم أرضاً خصبة وسخية الإنتاج، تبلغ أكثر من ستة آلاف دونم، بعضها صالح للزراعة والبعض الآخر صخري. وقد استخدمت المغارات الموجودة بالمنطقة كمأوى للزراعة، ومساكن للخراف ومخازن لحفظ أدوات الزراعة. وكانت الأراضي تتم زراعتها بمشاركة سكان القرية (بطريقة المشاع). ومع قيام الدولة أغلقت المنطقة أمام سكان بيت جن وأعلنت منطقة عسكرية مغلقة. وفيما بعد ذلك تم تخصيص المنطقة للاستيطان اليهودي. طالب الدروز باستعادة أراضيهم، لكن طلبهم قبل بالرفض. وفي أغسطس ١٩٥٩ حاولت مجموعة منهم دخول المنطقة بالقوة. وصرح أحد ضباط الشرطة بأنه "تم إلقاء القبض على مثيري الشغب وأحببت محاولة الخروج بمظاهرة كبرى". وطوال هذه الفترة ضغطت كل مؤسسات الدولة على الدروز للقبول بتعويضات مقابل المصادرة، لكنهم كانوا متحدين في رفضهم. في مطلع ١٩٦٠ بدأت الجبهة الموحدة تتهار، ووافقت عائلة واحدة على القبول بتعويض مالي. وشيئاً فشيئاً اتخذت أسر أخرى نفس القرار. وبدأ يسود التوتر قرية بيت جن بين الموافقين على الحصول على تعويضات والمعارضين. وأعلن سكان الحي الشرقي، وخاصة أبناء عائلة قبلان التي قادت الصراع، أنهم لن يسمحوا "للخونة"، هؤلاء الذين تنازلوا عن الأرض، بالمرور من حبيهم. وتعرض الحاصلون على تعويضات لاعتداءات لفظية وجسدية. وفي أغسطس ١٩٦٠ اندلعت في القرية مشاجرة حاشدة بين مؤيدي التعويضات ومعارضيه. ووصلت الشرطة إلى المكان بقوات كبيرة، ونجحت في وقف الاضطرابات واعتقلت عدداً متساوياً من كل فريق للتحقيق.

كانت الأجواء في القرية غير مستقرة. توجه معارضو التعويضات إلى رجال الدين وطالبوهم بمقاطعة بائعي الأراضي وإعلانهم كخونة وكفرة. ودعماً للبعد الشرعي لحملة المعارضة، قالوا إن رجال الدين في بيت جن أقسموا بالخلو (المسجد الدرزي) المحلية على عدم التنازل عن أراضيهم، وبالتالي فإن من ينتهك هذا القسم يرتكب خطيئة دينية. بالمقابل، وفي ١٥ أغسطس ١٩٦٠ اجتمع 'العُقلاء' (علماء الدين) الدروز، وعلى رأسهم الشيخ أمين طريف، وقرروا أنه ليست هناك أي مشكلة دينية أو شرعية في التنازل عن الأرض، وكل شخص بمقدوره التصرف كما يشاء. هذه الفتوى تتعارض تماماً مع الفتاوى الإسلامية التي أعلنها الحاج أمين الحسيني وغيره في فترة الانتداب، كما تتعارض مع الفتوى المسيحية التي أعلنت بالتوازي ومع الموقف الدرزي الأخلاقي. وبالتالي لم يكن ذلك مفاجئاً، بطبيعة الحال، في ضوء رغبة الزعامة الدينية في عزل نفسها عن الإسلام (وبالتأكيد عن خطه السياسي)، مع الأخذ في الاعتبار رغبتها في الحفاظ على علاقات جيدة مع مؤسسات الرسمية الحاكمة. غير أنها وجدت نفسها تعمل ضد مصلحة الطائفة. فقط - عندما تأججت المشاعر في أواخر نفس العام حول مشروع قانون حصر الأراضي الزراعية (الذي كان من شأنه إحداث تغييرات في ملكية الأرض، وخاف مواطنو إسرائيل العرب أن يُستغل ضدهم)، وانضم كثير من الدروز لأعمال الاحتجاج، قال الشيخ طريف بلغة واهنة إنه يعتزم الاجتماع مع المشايخ من جميع قرى الجليل

لمناقشة الخطوات الواجب اتخاذها، وربما أيضاً التوجه إلى الدبلوماسيين الأجانب ليطلب تدخلهم. وكما هو معروف هذا الاجتماع لم يتم (حُفظ مشروع القانون من تلقاء نفسه).

وبناءً على ما تقدم، فقد التزمت الزعامة الدرزية خطأً مُتماشياً مع سلطات الدولة حتى في القضية الأراضي الحساسة. وعند التآرجح بين الحاجة لإرضاء مؤسسات الدولة وبين الرغبة في التكاتف مع أهل الجوار من مسيحيين ومسلمين، اختارت الخيار الأول. وهو ما حدث أيضاً عند التصويت في الكنيست على إلغاء الحكم العسكري في عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٣، وقتها صوت عضو الكنيست جبر مُعدى ضد الإلغاء، وفي مقابل ذلك أعلن رئيس الوزراء بن جوريون عن منح تسهيلات للدروز في مناطق الإدارة العسكرية. لقد أخذت الفجوة بين الدروز وبقية العرب في الاتساع، ومعها هويتهم المغايرة من ناحية، وتطابق مواقفهم مع الدولة في القضايا الأساسية في الأمن والأراضي من ناحية أخرى (٤). إنها حالة تقليدية من التقاء المصالح بين أقلية داخل أقلية (التي تخاف من سيطرة جماعة الأقلية الكبيرة) وبين جماعة الأغلبية (التي تعتبر أيضاً الأقلية الكبيرة تهديداً). وهي أيضاً حالة تمثل ليونة الهوية الوطنية: وفي موقف سياسي مختلف تماماً كان الدروز في الجليل والكرمل، كإخوانهم في سوريا ولبنان، يعتبرون أنفسهم جزءاً من الأمة العربية.

وبدرجة ما يمكن اعتبار تطور الهوية الدرزية ذات الخصوصية إنجازاً للمعنيين بشؤون العرب. إلا أنهم اعتبروا ذلك إنجازاً مشروطاً. وبدءاً من منتصف الستينات أجرت الجهات الأمنية مناقشات محمومة حول مستقبل العلاقات مع الدروز. وفي جلسة اللجنة المركزية لشؤون العرب عام ١٩٦٦ قال ممثل الشرطة أهارون شلوش إنه ليس مطلوباً إعطاء الدروز مساواة كاملة في الحقوق، لأن ذلك سيؤدي إلى مواجهة بين الدروز واليهود. واقترح رئيس القسم العربي في جهاز الأمن العام (الشاباك)، إبراهيم أحيطوف (رئيس الشاباك فيما بعد) "الاستمرار في جهود توسيع نطاق الخصوصية الدرزية وفصلها، خاصة عند جيل الشباب، عن العرب". لكنه كان يعلم تماماً أنه "رغم بياناتنا السياسية فإنهم سيقولون أبناء أقليات وستتباينهم مشاعر الظلم والتمييز". وكان توقعه أنه "لا مجال لمنع عملية انجراف الدروز في التيار القومي". وبعد مرور أربعين عاماً منذ ذلك التاريخ، فالدروز الشباب عندما يُسألون عن هويتهم، وإن كانوا لا يتجاهلون العنصر العربي في هذه الهوية، فإنهم ليسوا بأى حال من الأحوال قوميين. بمفهوم الشاباك، ولكن القليل جداً منهم يعتبرون أنفسهم فلسطينيين - مختلفين عن قطاع كبير من عرب إسرائيل.

♦ طوائف في مأزق:

بدأ المجلس المركزي لشؤون العرب الذي تشكل بموجب قرار الحكومة عام ١٩٥٢ (وضم ممثلي الأجهزة الأمنية ووزارات الحكومة المعنية بالأمر)، بدأ أعماله بمناقشات حول العلاقة بالطوائف المختلفة. ورقة العمل التي أعدت لهذا الغرض، في صيف ذلك العام، ميزت بين خمسة كتل كبرى مُتباينة من الناحية الدينية أو القومية بين السكان غير اليهود في إسرائيل: مسيحيون عرب (بمختلف طوائفهم)، مسيحيون غير عرب (أرمن ويونان)، مسلمون عرب (طائفة الأغلبية)، مسلمون غير عرب (الشركس) وعرب غير مسلمون (الدروز). والفكرة الرئيسية لهذه الوثيقة، التي حظيت بموافقة وزير الخارجية موشيه شاريت، هي أن البريطانيين قد حاولوا خلق شعب واحد من هذا الخليط من الطوائف: "كما هو معروف كان في أرض إسرائيل مع بداية الانتداب البريطاني طوائف وجماعات قومية ودينية مختلفة، عاش كل منها حياته وتمسك بمبادئه وقيمه الدينية والاجتماعية الخاصة. وقد فعلت حكومة الانتداب الكثير، بوسائل مختلفة وبطرق غير تقليدية إلى حد كبير، من أجل إلغاء خصوصية كل طائفة، ودمجها جميعاً كشعب عربي واحد، لتحقيق هدف واضح تسيطر بموجبه الطائفة المسلمة على الطوائف الأخرى. هذه الغاية وتلك الممارسات كانت تثير تدمير الكثير من السكان بسبب غياب الرغبة الحرة في هذا التوحيد وبسبب القمع الذي تعرضوا له نتيجة هذه الممارسات.

وغنى عن البيان أن دولة إسرائيل لا يعنىها استمرار سياسة حكومة الانتداب بهذه الطريقة. فالحق مكفول لكل جماعة في أن تعتنق، بكامل الحرية والإرادة ما يتلاءم مع قيمها الدينية والقومية والاجتماعية. وعلى الحكومة من جانبها أن تساعد وتعاون وتعطي الفرص ليتطور الوضع في هذا الاتجاه".

يقول واضح هذه الوثيقة إن القومية العربية - الفلسطينية ليست أصيلة بل هي نتاج ظروف ومبادرة خارجية - وهو أمر لا يتناقض تماماً مع الواقع لكنه ينطبق أيضاً على حركات قومية كثيرة أخرى - وأضاف أن السلطات البريطانية هي التي وقفت وراء إقامة الحركة القومية ووضع أساسها. وكان واضحاً أن منح الاستقلال الذاتي للطوائف الدينية مع اختلاف العلاقة بكل واحدة منها، الذي بدا وكأنه خطوة تحررية، هو بمثابة إصلاح معيب يستلزم الحيلولة دون وضع تستغل فيه طائفة الأغلبية، المسلمة، قوتها وتسيطر على بقية الطوائف. تلك هي النظرة التي شكلت أساساً للتعبير الدارج 'ابن أقليات': وهي النظرة إلى العرب في إسرائيل ليس كوحدة واحدة - صحيح متنوعة لكن ذات هوية قومية

مشاركة - بل جمهور من الأقليات المتباينة. وكنتيجة لذلك، أدارت كل طائفة شؤونها مع الدولة بشكل مستقل، وكان من السهل على الدولة نسبياً أن تحقق الكثير من الإنجازات بهذه الطريقة مثل إقناع الزعامة الدرزية بتأييد تجنيد الشبان الدروز، وعدم معارضة الحكم العسكري والسماح ببيع الأراضي.

إن مُعضلة تحديد موقعهم في منظومة العلاقات بين اليهود والعرب في الدولة لم تشغل فقط الدروز. لقد وجد الشركس أنفسهم أيضاً بين شقى الرحى العرب - المسلمين، أكبر أقلية، وبين الدولة. هم أيضاً اختاروا الالتحاق بالخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، بالتطوع في بادئ الأمر، ثم بعد ذلك طبقاً لقانون التجنيد، وكان أملهم كذلك أن يمنحهم وضعهم كجنود أدوا الخدمة العسكرية حقوقاً أكثر، كما حاولوا، في الغالب، عزل أنفسهم عن العرب من حولهم - بتأييد الدولة. والطريقة التي فعلوا بها ذلك، والكيفية التي فسروا بها لأنفسهم ولمجتمعهم من يكونون، تتضح من القصة القصيرة التالية.

صالح حسن حكو، شركسى من قرية كاما بالجليل الأسفل (وتبلغ مساحتها الإدارية عشرة آلاف دونم وأعلن عن مجلسها المحلي عام ١٩٥٠ سكانها من الشركس الذي وفدوا من القوقاز إلى تركيا ومنها إلى إسرائيل)، فكر عام ١٩٥٧ في مغادرة البلاد والهجرة إلى تركيا. كان يمتلك حوالي ١٤٠ دونماً في القرية، وسعيًا للسفر تفاوض مع أحد البدو من قبيلة عرب الصبيح المجاورة، كانت لديه النية لشراء الأرض. وثارت في القرية موجة اعتراض قوية على البيع. وتوجه المجلس المحلي لقرية كاما ومنظمة الجنود المسرحين في القرية بخطاب إلى قائد وحدة الأقليات وطلبوا منه التدخل لوقف هذه الصفقة: فكتبوا: "لا يمكن للجنود المسرحين أن يسمحوا لهؤلاء العرب بالدخول إلى القرية وأن يبنوا فيها أوكاراً جديدة للمتسللين. فعرب الصبيح معروفون جيداً للسلطات بموقفهم المعادي للدولة". ويبقى سؤال هنا بلا إجابة: إلى من كان سيتوجه الجنود الشركس المسرحون بطلبهم لو حاول حكو بيع الأرض لليهود؟

وكما هو الحال في خطابات أخرى سبق ورأيناها، فإن المبرر الوطني يُستخدم كنوع من فواتح الشهية الهدف منه تحريض المؤسسات الرسمية على ممارسة نشاطها. لقد عارض سكان القرية منح عرب الصبيح موطأ قدم في أراضيهم ليس بالتحديد لخوفهم من دخول عناصر معادية للدولة إلى قريتهم، بل في الأساس بسبب العلاقات المتوترة بين الطائفتين التي ترجع إلى بداية الاستيطان الشركسى في الجليل في القرن التاسع عشر. وقد كان تقربهم من المستوطنين اليهود في الجليل الأسفل قبل قيام الدولة، وموافقتهم على التجنيد في الجيش الإسرائيلي عند قيامها، نابعاً أيضاً من إحساسهم بأنهم أقلية في محيط عربي مسلم. إنها مسيرة من العلاقات حرص الطرفان على الخروج منها رابحين. إذ تطلع سكان قرية كاما إلى تدعيم مركزهم لدى السلطات والحصول على المزايا التي ترتبط عادة بالتقرب من دوائر صنع القرار. والدولة من ناحيتها، كان من شأنها أن تريح سواء ثقة الأقلية الشركسية، أو تعميق انقسام المجتمع غير اليهودي في إسرائيل، وهو أحد ركائز النظام الحاكم في الدولة.

كان التجنيد في صفوف الجيش الإسرائيلي عاملاً مهماً في التأسيس للتمييز بين الشركس والعرب، سواء في نظر أنفسهم أو حتى في نظر البيئة المحيطة بهم. وعندما طلبت الجمعية التعاونية الزراعية للجنود المسرحين في قرية كاما الحصول على تمويل لشراء جرار، توجهت إلى رئيس الدولة يتسحاق بن تسافي، وذكره أعضاؤها قائلين "لقد قاتلنا يداً بيد مع قوات جيش الدفاع الإسرائيلي ضد قوات الشر وضد الدول العربية، بوعى كامل وبإخلاص وتفان حتى نحقق مرادنا وهو مصدر رزق مضمون في بلدتنا قرية كاما تحت حكم دولة إسرائيل الديمقراطية الحرة". كذلك ذكروا أن لهم أفضلية على أقليات أخرى في الدولة، لأننا، "فعلنا الكثير وسنفعل الكثير من أجل إسرائيل ليس بالكلام ولكن بالأفعال". وكان خوفهم في ذلك الوقت أنه بسبب "وجود الكثير من العرب وأننا مجرد أقلية"، فإن المؤسسات الرسمية ستعطي الأفضلية للعرب.

لم تكن تعلية الحاجز بين الشركس وجيرانهم العرب مهمة صعبة: فالشركس في الأصل ليسوا عرباً ولغتهم الأم هي اللغة الشركسية وليست العربية (بخلاف الدروز)، وبالتالي ما من صلات تربطهم بالقومية العربية بأي حال من الأحوال. فالتوترات بينهم وبين بعض جيرانهم العرب كفيلة بتقوية هويتهم المختلفة. من ناحية أخرى، هناك عنصر أيضاً يربطهم بالقرى والقبائل المحيطة - وهو كونهم مسلمين سنة. وبالفعل، مع بداية الستينات كان واضحاً للمسؤولين أنهم يأخذون في الاندماج بين السكان المسلمين. ورداً على ذلك بدأت الدولة في دعم مظاهر الثقافة الشركسية. فطبعت كتب دراسية باللغة الشركسية ("نشر فكرة دعم الأقلية الشركسية المندمجة بين جيرانها المسلمين في البلاد"، توجيهات من ديوان رئيس الوزراء) وأعدت برامج للموسيقى الشركسية في راديو إسرائيل (والمبرر "إننا نريد تقوية الوعي القومي لديهم"). نفس المنطق الذي استخدم مع الدروز استخدم أيضاً معهم.

والشركس أقلية صغيرة. يصل عددهم اليوم إلى حوالي ثلاثة آلاف نسمة. وبخلاف قرية كاما في الجليل الأسفل، التي يعيش فيها ثلثا الطائفة تقريباً، يوجد في إسرائيل قرية شركسية أخرى، هي ريجانية (٥) الواقعة في الجليل

الأعلى الشرقي، بالقرب من الحدود مع لبنان (وكانت خطة الجيش الإسرائيلي التي أيدها بن جوريون لطرد سكان القرية إلى أنحاء أخرى من البلاد - مع سكان قرى أخرى - قد توقفت عام ١٩٤٩ بقرار من موشيه شاريت). وكانت العلاقات بين هذه القرية وبين السلطات مُلتبسة إلى حد كبير. فقرب القرية من الحدود، وحقيقة أن جزءاً من أبناء القرية أصبحوا لاجئين أثناء الحرب ونشاطات ضباط الاستخبارات السوريين - الشركس في المنطقة، جعل بعض السكان يساعدون الاستخبارات السورية. على الجانب الآخر، كان أحد زعماء القرية، الحاج محمد عمر قيس الذي كان يعمل معلماً، وانخرط في عمليات البلماح (كوماندوز إسرائيلي) في سوريا ولبنان، كان قد احتفظ بعلاقات مع موشيه ديان ومسؤولين كبار آخرين في إسرائيل. وهكذا تشكل في القرية معسكران مُتآحزان، الأول يتعاون مع السلطات، والثاني لا يميل إلى مثل هذا التعاون، كما أشارت إلى ذلك المحكمة العليا. في عام ١٩٥٢ قتل الحاج العميل، وقادت آثار القتل إلى ما وراء الحدود مع لبنان. واعتبرت الشرطة أن عملية القتل تمت بتحريض من معارضي السلطة في القرية فاعتقلت ستة من سكانها، ولكن أطلق سراحهم لعدم كفاية الأدلة. في غضون ذلك أصدر الحاكم العسكري للجليل بحق أحد المشتبه بهم، وهو إسماعيل علي، أمر إبعاد خارج القرية لمدة عام. وتقدم إسماعيل بالتماس إلى المحكمة لكنه رُفض. وفي السنوات التالية خفت حدة التوتر في الريحانية. ويبدو أن شيوع خبر أن إسرائيل لا تعتزم العودة إلى حدود التقسيم أضعف المعارضة للدولة.

هوامش:

١- تجدر الإشارة إلى ازدياد التوتر بين الطوائف حتى أثناء حرب سيناء، في أكتوبر ١٩٥٦. فقد أبلغ بعض طلاب المرحلة الثانوية في قرية ياسيف الشرطة أن معلّم مسلم تبادل الحديث مع طلاب الفصل حول نجاحات المصريين في المعارك، وانطلقت صيحات الطلاب يعيش جمال عبد الناصر. كما جاء أيضاً في بلاغهم لقائد شرطة عكا، في ٢١ أكتوبر ١٩٥٦، القضية ٧٨/١١. "أبلغنا مدير المدرسة مطانس مطانس (وهو مسيحي) الذي كان رده على الطلاب الدروز إنكم لستم حكام عسكريين، ولا شأن لكم بهذا الموضوع وكل شخص له الحق في التحدث كيفما شاء... وقام الطلاب بسبب أقرانهم الدروز بسبب تطوعهم للخدمة في الجيش الإسرائيلي وتعاونهم مع الحكومة... ومن منطلق كوننا شباناً دروز وجنوداً في الجيش الإسرائيلي كان لزاماً علينا إبلاغكم بهذه الممارسات". يتضح أن الطلاب الدروز أيضاً اعتبروا أنفسهم جزءاً من جهاز الرقابة، كما أنهم شعروا بأنهم مُعرضون للخطر عندما رفض زملائهم الامتثال لأوامرهم.

٢- كان هناك بين أوساط الدروز في إسرائيل أثناء فترة الانتداب، وفي نهايتها، من اعتبروا أنفسهم جزءاً من الحركة القومية العربية (الفلسطينية)، وكان هناك أيضاً من نادوا بخصوصية الدروز. وهناك بين الفريق الأخير من أيدوا الحركة الصهيونية. وبناءً على ذلك، كان هناك أثناء حرب ١٩٤٨ دروز عملوا في صفوف القوات اليهودية، ودروز انخرطوا في القوات العربية وكثيرون آخرون التزموا الحياد. وتوسط الدروز الذين تعاونوا مع الهاجاناه والجيش الإسرائيلي بين قادة الهاجاناه وقادة الكتيبة الدرزية التي عادت من سوريا، ونجحوا في التوصل إلى اعتبار قسماً من ضباط ومقاتلي هذه الكتيبة فارين من الخدمة. وشكل هؤلاء الفارين من الخدمة مع مجموعة من دروز الكرمل، بذرة السرية الدرزية في كتيبة الأقليات، التي تأسست من المتطوعين فقط. وخلال عمليات ١٩٤٨ احتلت قوات الجيش الإسرائيلي الجليل الأعلى والأوسط والغربي، بما فيها من فرى درزية. وتم التوصل إلى اتفاق في غالبية القرى الدرزية مع السكان المحليين قبل الاحتلال لوقف القتال. ولسبب ما لم يُبرم مثل هذا الاتفاق في قرية يانوح، ونشب قتال بين دروز مُنتسبين للجيش الإسرائيلي والدروز من سكان القرية.

٣- بيت جَن هي قرية درزية على جبال الجليل الأعلى إلى الغرب من جبل ميرون، وتقع القرية على ارتفاع ٩٤٠ متراً عن سطح البحر. القرية لها مجلس محلي ضمن القطاع الشمالي من إسرائيل. تبلغ مساحتها الإدارية ٤٦٥٠ دونم وتم إعلان مجلسها المحلي عام ١٩٦٤.

٤- أيضاً عضو الكنيست دياب عبيد، باعتباره مسلماً من قرية طَيْبَه، صوّت مع بقاء الإدارة العسكرية، لكنه بخلاف مُعدي فعل ذلك على خلفية التزامه الحزبي مع ماهاي، دون أن يكون بمقدوره أن يتباهى بإنجاز ما أمام الجمهور الذي انتخبه ودون أن يؤثر الأمر على العلاقات بين طوائف الأقلية.

٥- تأسست هذه القرية عام ١٨٧٣، ولكن الأسر الشركسية بدأت في الوصول إليها عام ١٨٧٨ قادمة في الأساس من القوقاز. وكان السكان الشركس قد وصلوا إلى إسرائيل وبقية دول الشرق الأوسط بعد استيلاء الجيش الروسي على أراضيهم في نهاية القرن التاسع عشر.

♦ دراسات ♦

٢

اليهود العرب.. الانتماء القومى والدينى والعرقى (الفصل الأول - ٢): نقطة الصفر

بقلم: يهودا شنهاف

٢- وقفة نظرية: مشروع عبدان كمعمل لتهجين الهويات العرقية

كما أوضحت حتى الآن يعكس مشروع عبدان اختلاف طبيعة النشاط الصهيونى فى المنطقة العربية. ولا شك أن هذا المشروع قد بدأ بناءً على موافقة مؤسسات الاستيطان اليهودى فى فلسطين/ أرض إسرائيل واللجنة التنفيذية للهستدروت والوكالة اليهودية، وبتشجيع من الحكومة البريطانية. فقد كانت مجموعة سوليل بونيه فى عبدان هيئة رسمية تمثل الدولة الاستعمارية، التى أضفت على نشاطها الشرعية. وفى نفس الوقت فإن المشروع يعكس التوجه القومى ويعبر عن رغبات قومية مستقلة. ولابد من دراسة التوجهين الاستعماري والقومى بنفس القدر من أجل فهم أساليب العمل المختلفة لأعضاء هذه المجموعة، وبالطبع من أجل فهم العلاقات المتبادلة بين الطرفين والتوترات والتناقضات التى ظهرت فى المشروع. ومن الممكن أن نعتبر أن تصرفات أعضاء مجموعة عبدان تحمل رسائل تختلف باختلاف المصالح والشركاء والظروف التى يعملون فيها.

يزعم عالم الأنثروبولوجى جون كوماروف أن المشاريع الاستعمارية الكلاسيكية تسعى لتحقيق أربعة أهداف كبرى: الأول هو اكتشاف الإقليم واحتلال الأرض، وهو ما يوصف بمصطلحات مثل "تحقيق الخلاص" و"نشر الحداثة"، والثانى هو استغلال الصناعة والتجارة والموارد المحلية لخدمة الأهداف الرأسمالية، والثالث إضفاء الطابع العقلانى على النظام الإدارى وعلى المؤسسات البيروقراطية السياسية، والرابع هو دراسة الثقافة المحلية وتهدة الثورات التى من المحتمل أن يقوم بها السكان الأصليون عن طريق خلق انقسامات عرقية. (Comaroff 1998).

ويظهر فى مشروع عبدان هدفان من هذه الأهداف الأربعة وهما احتلال الأرض وخلق الانقسامات العرقية. ويصف أنتسو سيرانى كيف تمكن بالاستعانة بمسؤولى شركة سوليل بونيه من اكتشاف المنطقة الجديدة التى تقع "وراء بحر الظلمات"، وفتحها أمام ما يجب أدائه من مهام قومية، وذلك على النحو التالى:

"منذ بضع شهور، عندما بدأنا العمل فى العراق، كانت كأنها دولة تقع "وراء بحر الظلمات"، لا نعرف عنها شيئاً ولا نعرف عنا شيئاً. فباستثناء قلة قليلة ممن قاموا بزيارة أرض النهرين فى مناسبات مختلفة، لم يكن هناك من يفدون من أرض إسرائيل لهذه المنطقة، وفى الآونة الأخيرة كانت زيارات العراقيين لبلادنا أيضاً قليلة. لذلك كنا نضطر لتحسس طريقنا فى الظلام والبحث عن شيء نستند إليه مبدئياً فى العمل مع جماعة من الناس كان من الصعب أن نقف على طبيعتها، وكان أبنائها أغراباً بالنسبة لنا ولقضيئتنا من عدة نواح. وقد تغلبنا الآن على هذه الصعوبات وأصبحنا فى بغداد كأننا أصحاب البيت. وأصبحنا نعرف أبناءها بمحاسنهم ومساوئهم، وأصبحت لنا دراية بالعلاقات بين الطبقات والفئات المختلفة. والآن أصبحت الظروف مواتية لمزيد من النشاط الواعى المثمر".

تؤكد كلمات أنتسو سيرانى أهمية نقطة الصفر التى سبق أن أشرنا إليها فى موضع سابق من هذا الفصل.

ويوضح سيراني كيف وصل المبعوثون في نقطة الصفر إلى منطقة جديدة "وراء بحر الظلمات"، وجعلوها منطقتهم، حيث أصبحوا "أصحاب بيت"، وكيف التقوا مع أناس كانوا أغراباً عنهم، لا يعرفونهم ولا يعرفون شيئاً عن قضيتهم وحولهم إلى معارف. وبمعنى آخر فإن الشيء المميز الذي جعلنا نقدم على وصف مشروع عبدان بأنه نقطة الصفر ليس حجم البعثة الصهيونية القومية التي ذهبت إلى هناك وحده رغم أنها كانت بعثة كبيرة، وإنما أن هذا المشروع كان بمثابة موقع حدث فيه لقاء أسفر عن احتلال استعماري جديد لمكان وزمان معينين، وأفرز وعياً عرقياً جديداً. وأود الآن أن أدلى ببضع الملاحظات عن مشكلتي المكان والهوية العرقية وسوف أحاول الوقوف على الصلة بين هاتين المشكلتين حتى تتضح للقاري حقيقة هذا الأمر في الجزء الباقي من هذا الفصل.

◆ المكان:

يؤكد فوكو أن الموضع الجغرافي لو كان دائماً وعاءاً للقوة والسيطرة فإن إعادة تنظيمه هي إعادة تنظيم للإطار الذي يعبر عن القوة. لقد تم تنفيذ مشروع عبدان في مناخ مختلط لا يمكن تمييز ما إذا كان بريطانياً أم صهيونياً، فكان كفعاة صهيونية تتحرك في منطقة مستعمرة تحت رعاية بريطانيا العظمى، التي قدمت للمشروع مظلة قطعت بها الامتداد الإقليمي والثقافي والعرقى في المنطقة وأعادت تنظيمه من جديد. ومن هذا المنطلق فقد أفرز المشروع إمكانيات جديدة للقوة الاجتماعية ووسائل جديدة للتعبير عنها. وإذا شئنا استخدام مصطلحات ديروز وجواتاري فإن مشروع عبدان هو مشروع يتناقض مع الهوية الإقليمية ويقطع امتداداً كان متجانساً ظاهرياً ويعيد صياغته من جديد. وقد كان هذا التقسيم للإقليم هو أحد سمات نقطة الصفر. حيث تعبر نقطة الصفر عن نقطة انقطاع الامتداد، فهي نقطة بدايات جديدة، ويمكن منها إعادة بناء الماضي. وبذلك فقد أدى وجود عمال سويليل بونيه في المنطقة إلى تنظيم الإقليم فيها - بغض النظر عن الناحية الجغرافية - من خلال طمس التقسيمات الجغرافية المعروفة (مثل تقسيم العالم إلى أرض إسرائيل والشتات).

اقترح فوكو تسمية هذا الإقليم باسم "هتروتوبيا" (ويقصد به مدينة غير مثالية). فعلى عكس اليوتوبيا (المدينة الفاضلة أو المدينة المثالية) التي تعد فكرة نظرية لم يتم تنفيذها في مكان محدد، ولذلك فإنها تعبر عن الكمال ولكن دون تنفيذها على أرض الواقع، فإن الهتروتوبيا هي مكان محدد هناك تناقضات بين العناصر التي تمثلها، أو مكان به عدة مواقع لا تتاسق بينها. وفي حالة مشروع عبدان نشأت الهتروتوبيا بواسطة خلق موقع صهيوني في قلب موقع عربي. بهذه الطريقة نشأ موقع لا صلة له بالمكان، كما هو الحال بالنسبة لدار المحفوظات أو المتحف أو المسرح. ويرى فوكو أن الهتروتوبيا لا تحطم مفهوم الموقع فحسب وإنما تحطم تواصل الزمان، وتؤلف في نفس الوقت بين مقاطع زمنية مختلفة يصفها بأنها تفتقر للتواصل الزمني (heterochronics). وقد كان مشروع عبدان سبباً في تلاقى أزمنة متناقضة مثل الزمن الأوروبي والزمن المحلي أو الزمن الصهيوني والزمن الاستعماري في مكان واحد. وقد زعم فوكو أن المناطق المستعمرة - مثل منطقة عبدان - هي نماذج كلاسيكية للهتروتوبيا. فهي تسلب المكان نظامه الطبيعي "وتفرز موقعاً مختلفاً حقيقياً يتسم بالكمال التام والمثالية لدرجة تجعلنا نعتبر موقعنا غير مستقر أو غير مرتب أو تسوده فوضى... وهذا الموقع الاستعماري هو مكان بلا مكان، يقوم بذاته ويرمز لذاته... وينطوى على قدر هائل من الخيال". (المرجع السابق ص ٢٣).

سوف تظهر الجوانب المشوشة للموقع الهتروتوبي في موضع لاحق عندما نتناول بالتحليل ظاهرة الاستعمار. وسوف يقوم التحليل على مناقشة المبعوثين الذين حاولوا في عبدان تحديد مكان إقامتهم ونظرتهم إلى الإقليم المحيط. تسمح لنا ظاهرة الاستعمار بالابتعاد عن الوصف التحليلي المعتاد في مجال التحليل السياسي والتاريخي لوضع الحركة الصهيونية كحركة استعمارية (راجع على سبيل المثال: شابير ١٩٩٣)، وأن نطرح إلى جانب هذا التحليل (ولكن ليس بدلاً منه) تحليلاً تصاعدياً يعكس الواقع الاستعماري لمجموعة العاملين نفسها. حيث تعكس النظرة الظاهرية للوعي الاستعماري واقعاً مليئاً بالمتناقضات. فقد أقيم في عبدان مجلس عمالي يهودي، كان الوحيد من نوعه خارج حدود فلسطين/ أرض إسرائيل. وتتيح لنا المناقشات المثيرة بشأن إقامة مجلس عمالي معرفة ممارسات تتعلق بالاندماج في الإقليم ثم الانسلاخ عنه، كما تتيح لنا معرفة أنه حتى بعد إقامة المجلس لم يكن لدى المبعوثين مصطلحات واضحة تسمح لهم بالإشارة إلى الوضع الإقليمي لعبدان التي يقيمون فيها والعلاقة بينها وبين العاصمة، أو اتخاذ قرار حاسم يحدد ما إذا كان هذا الإقليم سيُعتبر من الشتات أم سيُعتبر جزءاً من أرض إسرائيل. كما كانت هناك مناقشات مستفيضة ومليئة بالمتناقضات بين المبعوثين بشأن الهدف من البقاء في تلك المنطقة. وعلى سبيل المثال فقد كان بعض المبعوثين غاضبين من وجود يهود يعملون في عبدان دون أن يفهموا مدى أهمية المهمة القومية التي يعملون فيها ويقيمون البقاء في تلك المنطقة على أساس اقتصادي بحت. والأدهى من ذلك أنهم أشاروا إلى وجود عمال لم يكتفوا بالاعتراض على المشروع القومي بل وقاوموه.

♦ الهوية العرقية:

أدى التوسع الاستعماري الغربي - الذي بدأ على أيدي إسبانيا والبرتغال ثم استمر ببريطانيا وفرنسا وهولندا - إلى نشأة أنظمة جديدة قائمة على رأس المال الأوروبي وعلى الأموال والمصالح الأوروبية التي كان لها قصب السبق في تشكيل ملامح النظام العالمي الحديث في حينه. وكان التوسع الاستعماري يطمس الحدود القائمة ويضع بدلاً منها حدوداً جديدة عن طريق الأطلس وخرائط الطرق وإعادة تسمية أماكن كبيرة وصغيرة. وإلى جانب هذا الرصد والتغيير الجغرافي تم رصد وتشكيل ملامح هويات عرقية قائمة وتبنى هويات جديدة مستحدثة إلى جانبها. ويتعبير آخر فإن المشروعات الاستعمارية كان لها نتائج ثانوية ليس على المستوى السياسي والعسكري فحسب وإنما أيضاً على مستوى الهويات العرقية. وحتى لو لم نوافق تماماً على الزعم الراديكالي بأن الهوية العرقية هي نتاج أفرزه الاحتلال الاستعماري فسيظل في استطاعتنا أن نزعّم أن الاستعمار الغربي أدى إلى إعادة تشييط الخيال العرقي في مناطق الهيتروتوبيا وإعادة انتشار هذه الهويات فيها.

اقترح عالم الأنثروبولوجي أرجون أبادوراى إقامة وحدة تحليل إقليمية تتسم بالمرونة لبحث هذا النتاج العرقي الذي يصفه بأنه نتاج عرقي محلي. ويعكس هذا النتاج العرقي مشهد موقع تتعدد فيه الهويات العرقية نتيجة للتقلات التي تفتقر إلى المساواة في العالم الذي نعيش فيه. ويشارك في هذه التقلات مهاجرون ولاجئون ونازحون ومنفيون ومهاجرون من أجل العمل وسياح، وهم أناس يتحركون من مكان لآخر ويؤثرون بقوة غير مسبقة على السياسة الداخلية في الدول القومية وعلى العلاقات السياسية بين الدول (Appadurai 1996). ويتسبب هذا النتاج في تحويل الملامح العرقية الأصلية كاللغة ولون البشرة والقرابة العشائرية ومشاعر الارتباط الأولية إلى مشكلات سياسية مرنة. وفي ظل هذا النتاج تعقد صفقات ثقافية وبذلك أيضاً تتغير الطريقة التي يجرى بها تخليق الهويات الاجتماعية. كان المنطلق الذي بدأ منه أبادوراى بحثه يتحرك من وجهة نظر عالمية بهدف بحث الطريقة التي يتم بها التعامل مع الهويات الكثيرة التي ظهرت في عصر ما بعد الهويات القومية ويزعم أن مجموعة الهويات المذكورة تتسم بالمرونة وسهولة الاختراق وأنها تتحرك في اتجاهات كثيرة وغير متوقعة.

يؤكد هذا الموقف النظري على اعتبار الهوية مزيجاً من الانقسام والتعددية ومزيجاً من القوة والسياسة، وهذا المزيج مليء بالمتناقضات والحوارات وتبادل الألعاب المتعلقة بالمكانة السياسية والاقتصاد السياسي ووجود إمكانية دائمة للمساومة بين الهويات المتقاربة والمتباعدة. ووفقاً لهذا الموقف فإن الهوية هي نوع من اللغة ونوع من الوسيلة لوضع جماعة نفيت أو أقصى من دائرة الاهتمام العام داخل دائرة الضوء، وتسجيل أو إعادة تسجيل العلاقة بين أفراد الجماعة أو بينها وبين الجماعات الأخرى.

إذا اعتبرنا أساس التحليل الذي وضعه أبادوراى إطاراً تحليلياً واعتبرنا "ما بعد القومية" تصنيفاً تحليلياً وليس زمنياً فسيكون في استطاعتنا أن نتحدث عن تمييع الهويات وإعادة تشكيلها ولا سيما في عصر ما بعد الهوية القومية القوية. ورغم هذا تعد الهوية القومية القوية بحكم طبيعتها عنصراً أساسياً في إعادة تشكيل الهويات العرقية، كما تعد هي نفسها نتاجاً لهويات عرقية ونتاجاً لمنع حدوث تهجين عرقي ولتمثيل عدة هويات مترابطة. والخيال القومي الذي تحدث عنه بنديكت أندرسون هو نوع من الممارسة الاجتماعية التي تفرز الهوية العرقية الموحدة وفي نفس الوقت تفكك وتشوش وتهجن الهويات العرقية القائمة. ويسمح لنا استخدام مصطلح ما بعد الهوية القومية بأن نتناول الهويات العرقية التي لا ارتباط لها بالأساطير القومية (إذا شئنا استخدام مصطلحات أولريخ بك) بمعنى أنها ليست خاضعة للهوية القومية السائدة ولمنطقها.

♦ الهوية العرقية في إسرائيل:

عندما استخدم أبادوراى تعبير البدائية المخلفة الذي ينطوي على تناقض كان يسعى إلى طمس الفارق الواضح بين الهوية العرقية كظاهرة بدائية ذات مكونات أساسية وبين الهوية العرقية كظاهرة يمكن تخيلها وتفهمها على المستوى الاجتماعي (Appadurai 1996: Hall 1996a). وينطبق هذا التمييز أيضاً على الطريقة التي سعت بها البحوث في إسرائيل إلى تشكيل ملامح الهوية الشرقية، واصفة إياها بأنها تتأرجح بين نظريتين واضحتي التناقض.

في إطار النظرية الأولى - وهي النظرية التكوينية التي تتناول تكوين الهوية - جرت العادة على النظر إلى الهوية على أنها تصنيف يتمتع بعمق تاريخي، وبالتالي فقد تركزت المساعي على البحث عن أصولها البدائية والتاريخية في الماضي السحيق. وفي حالة الشرقيين كان هذا الماضي يرجع للفترة السابقة على هجرة يهود الدول الإسلامية إلى إسرائيل. ويسعى الباحثون للبحث في الدول التي جاء منها المهاجرون عن المصادر المختلفة للهوية الشرقية (التي يجرى تقييمها دائماً من خلال مقارنتها بالهوية الإشكنازية) ويؤكدون أن هذه المصادر نشأت نتيجة للحياة في الدول العربية لفترة طويلة، وكذلك نتيجة للقاء مع الاستعمار في الدول الأصلية التي جاء منها المهاجرون. وعلى سبيل المثال فقد كتب شلومو ديشن وموشيه شوكيد في مقدمة كتابهما "يهود الشرق" الذي صدر عام ١٩٨٤ ما يلي:

"من الناحية الإثنوجرافية نحن نسعى إلى إلقاء الضوء على المناطق المختلفة التي شهدت وجود ثقافة يهودية... ونحن نقترح بشكل حذر وتجريبي التمييز بين سبع مناطق ثقافية يهودية أساسية في الشرق... فإذا بدأنا في رصد جماعات السكان اليهود وفقاً للتوزيع من الغرب إلى الشرق فس نجد لدى يهود المغرب خطوطاً تنظيمية واضحة وبارزة ولا سيما في مجالات القيادة الداخلية والنشاط الديني. وبالتالي فإن يهود المغرب يمثلون منطقة ثقافية مستقلة. وتتمتع المنطقة الشرقية من شمال إفريقيا- وأعني بها "المغرب الخارجي" وليس "المغرب الداخلي" الذي يتركز في تونس- بألوان مختلفة تماماً من التطورات الاجتماعية والثقافية اليهودية. ولذلك فإننا نعتبر هذه المنطقة منطقة ثقافية منفصلة. بينما تمثل اليمن منطقة ثقافية ثالثة، ويمثل يهود تركيا منطقة ثقافية لها لغتها الخاصة وتضم غرب تركيا المعاصرة وبلغاريا واليونان، حيث تمثل هذه المناطق الثلاث منطقة ثقافية رابعة. وتمثل الطائفة اليهودية في منطقة الهلال الخصيب التي تضم الطوائف اليهودية في بغداد وحلب والطوائف الأخرى الأصغر نسبياً في أرض إسرائيل وسوريا منطقة ثقافية يهودية خامسة. فيما يمثل يهود إيران الذين كانت لهم طوائف تابعة لهم في وسط آسيا ووصلت هذه الطوائف إلى الصين في العصور الوسطى منطقة ثقافية سادسة. وأخيراً فإن يهود الهند يمثلون منطقة ثقافية سابعة. (نفس المرجع ١٩٨٤ ص ٢٣).

وقد تجلّى الموقف المبدئي في التمييز بين المناطق الثقافية المختلفة من ناحية وتصنيفها العلمي "الإثنوجرافي" في قائمة واحدة تضم يهود الشرق من ناحية أخرى. كما يلاحظ ديشن وشوكيد أن "المهاجرين من الدول الإسلامية جلبوا معهم عادات في مجالات مختلفة لا تتماشى مطلقاً مع ما اعتاده قدامى المهاجرين في البلاد من عادات... وهناك رغبة في الكشف عن الجذور الثقافية الخاصة للمهاجرين من الدول الشرقية" (نفس المرجع ص ١٤).

في مقابل ذلك فإن النظرية الثانية وهي النظرية الاجتماعية تعتبر الهوية ثمرة تصور وتكوين اجتماعي. وهذه النظرية ترفض التصور السابق للهوية، وتؤكد بالنسبة للحالة الإسرائيلية أن هوية الشرقيين في إسرائيل ليست نتاجاً لثقافتهم التقليدية السابقة على الحداثة، وإنما ترجع إلى طبيعة الارتباط الذي نشأ بين المهاجرين والمجتمع الذي استوعبهم في إسرائيل والتي تتسم بالتبعية. وقد ظهر هذا التوجه بشكل واضح في الكتاب الذي نشره سفيرسكي عام ١٩٨١ تحت عنوان "ليسو متخلفين وإنما مخلفين"، وكذلك في الكتاب الذي نشره سفيرسكي وبرنشتاين عام ١٩٨٠/١٩٩٢ تحت عنوان "من عمل ماذا، لمن وبكم؟". ويرجع الباحثون من أنصار هذه النظرية السبب في نقل صورة من العنصرية وإقصاء الشرقيين وخلق أنماط من عدم المساواة للمجتمع الإسرائيلي إلى مؤسسات الدولة، كالجيش والمؤسسات التعليمية ووزارة الإسكان والمؤسسات المسؤولة عن التوطين. وقد وجدوا أمثلة صارخة تدل على نشاط هذه المؤسسات في المدن النامية التي بلغت نسبة اليهود الذين ترجع أصولهم إلى الدول الإسلامية ٧٠٪ من سكانها، حيث تم توجيههم إليها مع وفودهم إلى إسرائيل. غير أن المدن النامية تحولت إلى مدن صناعية مليئة بفرص العمل، فيما فرض على الشرقيين تجربة حياة مشتركة شكلت منهم مجتمعاً افتراضياً واحداً. ووفقاً لنظرية تكوين المجتمع فإن إسرائيل لم تستقبل مهاجرين شرقيين وإشكناز وإنما أفرزت هذه الفئات. ولا بد أن نضيف هنا أن هذا التوجه في البحوث الإسرائيلية يتسم بصيغة ماركسية جديدة أكسبته حساسية خاصة تجاه المواقف الاستعمارية. وقد ظهر هذا في تحليل مشكلة الشرقيين على أنها ذات صلة بمفاهيم "التبعية الطبقية" و"الاستعمار الداخلي" داخل الدولة (Hechter 1975).

رغم أن الموقف الذي يعتبر الهوية الشرقية تصنيفاً ثقافياً واقتصادياً بديهياً يوجه نقداً صارخاً إلى المجتمع الطبقي في إسرائيل وإلى خلق طبقة عرقية شرقية إلا أن أصحابه لم يلتفتوا إلى التاريخ العربي والتاريخ اليهودي لليهود العرب. فقد غاب عنهم جانب العمق الثقافي، والأدهى من ذلك أنهم لم يلتفتوا إلى قصة الهجرة. تنظر نظرية التكوين الاجتماعي إلى الشرقيين على أنهم "جاءوا من فراغ". أما النظرية المضادة فإنها تعتبر الهوية شيئاً ثابتاً لا يتغير، وتنظر إليها على أنها سمة لا تتغير سابقة على التفاصيل التي تحملها وتحد من المساحة المتروكة لتأثير هذه التفاصيل. وتشوب كلا النظريتين عيوب واضحة فالأولى تفرض على اليهود هوية ثقافية لا تاريخية، وتتغاضى عن سلسلة طويلة من الفوارق بين الجماعات والمناطق الجغرافية والسياقات الزمنية التاريخية التي لا تنطبق عليها القواعد الموحدة للهوية. أما الثانية فتتجاهل تماماً فترات تاريخية محددة في تاريخ اليهود العرب، وتفرض عليهم هوية إسرائيلية مطلقة ورؤية للعالم قائمة على أساس عرقي طبقي. فالنظرية الأولى لا تلتفت إلى واقع ما بعد الاستعمار في إسرائيل، والثانية لا تلتفت إلى التاريخ الاستعماري.

تسعى قلة من الباحثين إلى الجمع بين النظريتين السابقتين. وعلى سبيل المثال فقد سعى وينجروود إلى الابتعاد عن التأثير بزعم النظريتين أن الهوية العرقية مرنة (Weingrod 1979). وأوضح أن الشعور بالهوية الطائفية لدى اليهود ذوي الأصول الأوروبية يتناقض في إسرائيل، لتظهر بدلاً منه طبقة إسرائيلية إشكنازية مهيمنة. وفي مقابل ذلك

يظهر لدى اليهود المهاجرين من الدول الشرقية نظام طبقى جديد لا تزال الهوية الطائفية تحظى فى إطاره بمكانة ثقافية واضحة حيث هناك فوارق طائفية داخلية فى طبقة العمال الشرقية. كما قامت "كزوم" بطمس التناقض الواضح بين الهوية كمصطلح يعبر عن البدائية وبين الهوية كنتاج ثقافى افتراضى (كزوم ١٩٩٩). حيث زعمت أن سلسلة الهويات اليهودية فى إسرائيل وخارجها قد تعرضت للقبولة نتيجة لنشاط الاستشراق أو نتيجة لقيام إحدى الجماعات الاجتماعية باستخدام التناقض بين مصطلحي شرقى وغربى لتصوير الجماعة الأخرى على أنها ذات مستوى أدنى (وفى هذا الصدد راجع أيضاً: (Schroeter 1994). أما هرتسوج فقد طرحت فى بحثها عن "الهوية الطائفية السياسية" وجهة نظر بناءة، بموجبها لم تكن الهوية الطائفية أمراً بديهياً وإنما كانت ثمرة لتطورات ثقافية وسياسية. وأشارت هرتسوج إلى وجود مفاوضات طويلة بين الجماعات المختلفة فى المجتمع الإسرائيلى بشأن مفهوم "الهوية الطائفية". وبعبارة التوجهات المتخلفة فى بحوث الهوية الطائفية- التى كانت سائدة فى ذلك الحين والتى افترضت مسبقاً وجود هوية طائفية- تقترح هرتسوج النظر إلى الهوية الطائفية على أنها ظاهرة متنامية ومتغيرة. لم تضع هرتسوج افتراضاً مسبقاً لمفهوم الهوية الشرقية، واعتبرتها نتاجاً لما جرى فى الميدان الاقتصادى والسياسى والثقافى على حد سواء، حيث كتبت تقول: "لا توجد حدود واضحة للجماعات الطائفية كما لا يوجد معنى ثابت للهوية الطائفية كعنصر مؤثر فى تحديد الجماعة وجوهرها. فهذه الأشياء تتحدد أثناء المنافسة فى الساحة الاقتصادية والثقافية والسياسية" (هرتسوج ١٩٨٦: ١١٠). وعلى سبيل المثال فإن متابعة الانتقال التدريجى من صفة "السفاراديم" إلى صفة "طوائف الشرق" ثم "الشرقيين" يمكن أن يجعلنا نعرف الكثير عن مفهوم الطائفية فى إسرائيل (راجع على سبيل المثال: بن دور ١٩٩٩).

تقدم لنا حالة عبدان إمكانيات خاصة للتحليل لا تخضع للتعارض الشديد بين نظريتي الهوية التكوينية والاجتماعية. وقد يرجع ذلك إلى كون الهوية العرقية "الشرقية" ليست سلعة مكتملة قادمة من الدولة المصنعة لها، وإلى جانب ذلك فمن الواضح أنها لا تخضع لمنطق الدولة التى لم تكن قد أقيمت بعد. إن حكاية عبدان هى حكاية إقامة هوية عرقية فى "أجواء وسط" بين هذا وذاك (أو فى أجواء تعتبر "in-between-ness" على حد وصف هومى بابا 1994). ولم تكن هذه الهوية مغلقة وإنما كانت مفهوماً مرناً تم تشكيله فى فضاء مختلف قبل عشر سنوات من بداية الهجرة الكبرى لليهود العرب إلى إسرائيل. وقد كان لهذه الهوية حدودها المعروفة كوسيلة للتفاهم بين جهتين مسيطرتين إحداهما قومية والأخرى استعمارية. وقد كان من بين العناصر الهامة فى تشكيل هذه الهوية التى تتأرجح بين النزعة القومية والنزعة الاستعمارية قصة الهوية العربية لليهود العرب. فقد كان لهذا العنصر تأثيره فى المباحثات التى أجراها مبعوثوا شركة سوليل بونيه وغيرهم مع أطراف أخرى بخصوص السكان المحليين. ومع هجرة اليهود العرب إلى إسرائيل فى أواخر العقد الرابع وأوائل العقد الخامس من القرن العشرين حكمت النزعة القومية على هذا العنصر بالفناء وتسبب السعى إلى تهويدهم وإكسابهم ثقافة صهيونية فى جعل الحديث عن هذا العنصر من المحظورات. وقد كان من قبيل المفارقة أن تسببت الممارسات التى جرت مع اليهود العرب فى إسرائيل - بهدف جعلهم ينسلخون من هويتهم العربية - فى دعم هذه الهوية، وذلك لأن تمتع اليهود العرب بهوية عربية كان هو الافتراض المسبق الذى بناء عليه جرت محاولات لجعلهم ينسلخون من هذه الهوية.

يتيح لنا لقاء عبدان تقييم الحديث عن الهوية العربية فى السياق الاستعماري السابق على الهجرة الكبرى، نظراً لأنه كان لقاء بين "شرقيين" و"إشكناز" جرى فى سياق قومى وسياق استعماري فى نفس الوقت. وكما سبق أن ذكرت ففى الفضاء الثالث الواقع بين الفضاء القومى والفضاء الاستعماري تشكلت الهوية العرقية لدى اليهود الشرقيين وتشكلت فضلاً عنها أيضاً هوية المبعوثين الساعين إلى تثقيفهم. وسوف أحاول الآن شرح عناصر هذه الهوية من خلال ما أصفه بظاهرة الاستعمار المزدوج.

٤- ظاهرة الاستعمار المزدوج:

"أردت الحديث عن مهمة قومية فوجدت للمستعمرة اليهودية رائحة إمبريالية". كانت المهمة الثقافية المزودة بالمبادئ المسيحية والأفكار الأوروبية المرتبطة بالثقافة الراقية والتقدمية تمثل جزءاً هاماً من الحكم الاستعماري الأوروبي، يوفر له الشرعية (Mitchell 1988, cohen 1996). وقد أصبح رعايا الاستعمار خاضعين له من خلال خلق نظام منضبط وتشكيل ملامحهم ليمثلوا "الآخر" (راجع على سبيل المثال: Mitchell 1988). وكان ذهاب مجموعة سوليل بونيه إلى عبدان محفوفاً برغبة استعمارية تتمثل فى السعي لنشر التحضر أو ملأ الفراغ. وعلى سبيل المثال يحكى أحد مبعوثي سوليل بونيه عن زيارة قام بها لنهر الفرات قائلاً: "كنا نحلم بتحويل مثل هذا النهر إلى أرض إسرائيل". أو كما أوضح يتسحاق بنكلشتاين (أو "يتسحاق عيلام" حسب الاسم الذى اتخذه لنفسه، وقد أصبح مديراً عاماً لشركة "سوليل بونيه" فى وقت لاحق): "لم يكن هذا المكان مجرد موضع يتم فيه

استبدال العمال حسب فترات العمل، وإنما كان نقطة نريد أن نرى فيها فرصاً من منظور أكثر رحابة... كانت هذه مهمة قام بها الرواد لخدمة أهداف بعيدة الأمد".

ولكن كما ذكرت في موضع سابق، فإن الجوانب الاستعمارية لمشاركة شركة سوليل بونيه في احتلال المنطقة تتركز بشكل أساسي في ثقافة المحليين وخلق فواصل عرقية جديدة بينهم. فقد كان المبعوثون إلى عبدان يسعون بشكل دائم إلى تثقيف اليهود العرب وإكسابهم الطابع الأوروبي، وكذلك إلى إعادة تقييم الهوية اليهودية لليهود العرب وفصل العنصر اليهودي عن العنصر العربي فيها... ولكن لم يكن المستهدفون بهذه البعثة هم المحليون وحدهم؛ حيث لم يكن في استطاعة المبعوثين أيضاً الهروب من تأثير المهمة الثقافية التي شاركوا فيها. فقد كان الاستعمار الكلاسيكي يصف "الآخر" بحيث يكون نقيضاً له باستخدام سلسلة من عناصر التقييم المادية مثل العرق أو الملامح الجسدية أو اللون (Fannon 1963 - 1967). وكانت قدرة القوة الاستعمارية تعتمد على جعل عناصر التقييم المذكورة غير قابلة لنقدها أو للاعتراض عليها. وهكذا كان الأبيض يصف لون الشخص الأسود، وكان الأوروبي المتحضر يصف تخلف القبيلة البدائية، وكان المبشرون الأفارقة المتخلفين (Comarrof 1991)، وكان الوصف في كافة الأحوال يصف الذات كما يصف الآخر. فقد كان الخاضع للاستعمار هو "الآخر" الخطير الذي تواجهه الذات الاستعمارية.

أدى اللقاء مع اليهود العرب (باعتبارهم الآخر المختلف) ووجودهم في منطقة مليئة بالمتناقضات إلى زيادة فهم اليهود الأوروبيين لأنفسهم مما ساعدهم في بلورة وعى ذاتي، وقد تجلى هذا بوضوح في أساليب حديثهم والمصطلحات التي استخدموها في وصف تجاربهم وسرد انطباعاتهم. ولهذا فإنني هنا لا أكتب قصة اليهود العرب فحسب، وإنما أكتب أيضاً قصة المبعوثين الذين تعرفوا إلى أنفسهم من خلال لقاءهم مع "الآخر". وبالتالي فإن النظرة هنا ترتد إلى المبعوثين في محاولة لتفكيك العناصر الخاصة بتقييمهم لأنفسهم من أجل فهم التجربة الاستعمارية باعتبارها تاريخ خاص يختلف عن التاريخ الذي يكتبه مثقفوا الصهيونية. وتعتمد هذه الخطوة على النقد الذي وجهه هومي بابا إلى تأثير الخطاب الاستعماري على إدوارد سعيد. فقد كان هومي بابا يسعى لتوضيح أن الخطاب الاستعماري ليس خطاباً موحداً ولا يتسم بقدر كبير من الثقة بالنفس على النحو الذي يبدو من النظرة الأولى، بل ولا يتحرك بناءً على الخطة التي وضعها لنفسه مسبقاً (bhabha 1994).

ينطوى تحليل مشروع عبدان على فائدة هامة فيما يتعلق بتوسيع الإطار النظري للحركة الصهيونية. فقد كانت مناقشة الجانب الاستعماري في الحركة الصهيونية تركز بصفة عامة على الاستيلاء على الأرض (احتلال الأرض) أو على فرص العمل (احتلال العمل) داخل حدود فلسطين/ أرض إسرائيل. وفي هذا السياق أيضاً تم وضع معيار للاستعمار الذي تمارسه الحركة الصهيونية بما يتفق مع خصائص تحليلية بعيدة عن الموقف التاريخي المحدد. ومن هذا المنطلق فإن شايبير على سبيل المثال يضع النشاط الصهيوني على خريطة مكونة من أربع نماذج للمستعمرات، وهي: المستعمرة العسكرية والمستعمرة المختلطة والمستعمرة الزراعية والمستعمرة الاستيطانية البحتة (شايبير ١٩٩٣). ومع كل الأهمية التي ينطوى عليها تحويل الاهتمام التاريخي والاجتماعي من المصطلحات التي تتناول الصهيونية كإطار قومي إلى إطار فكري أكثر عالمية، فإن النظرية التي يضعها شايبير تستند إلى إطار فكري غير تاريخي بل ومصطنع في بعض الأحيان.

توفر لنا حالة عبدان إطاراً بحثياً من منظور ما بعد الاستعمار. وتسمح لنا بالعودة إلى طرح جانين جديدين كانا غائبين عن البحوث التي جرت حتى الآن. الجانب الأول هو إطار التحليل الظاهري للحالة الاستعمارية. ويتضمن وصف الحياة اليومية للمبعوثين وتحليل وعيهم حسبما تجلى من يومياتهم ومن الشهادات التي وردت بشأن تلك الفترة والتي تتيح لنا إدخال أصواتهم إلى حلبة النقاش وكتابة تاريخ التجربة الاستعمارية من أسفل (أي من خلال ما كتبه النشطاء الميدانيين وليس القيادات). فقد كان المبعوثون مدركون للأمور المتعلقة بلون البشرة وكانوا ينظرون إلى من حولهم ويتحدثون عن أنفسهم باعتبارهم أوروبيين ذوي بشرة بيضاء وليس فقط باعتبارهم صهاينة. وكانوا يقيمون- في ظروف سكن لا يحظى بها سوى بيض البشرة- في تلك المدينة التي كانت تعاني من تخلف شديد. وكانوا يحصلون على أفضلية في ظروف العمل لا يحصل عليها سوى ذوي البشرة البيضاء. وللتدليل على ذلك إليكم ما كتبه عن العمل في عبدان أحد هؤلاء المبعوثين:

"كان العمل يجري بالطريقة الإنجليزية في استخدام العمالة اليدوية. فالعامل الأوروبي هناك لم يكن يعرف كيف يقوم برفع مطرقة ثقيلة أو سيخ حديد، فكان يقف وينتظر إلى أن يتقدم إليه أحد القائمين بالأعمال اليدوية ويقوم بالعمل الثقيل. وبنفس الطريقة فعندما كان أحدنا يدخل إلى القاعة كان أحد هؤلاء العمال (أو الصبية) يقوم بخدمته. وفي المساء بعد انتهاء يوم العمل كان يقوم بتلميع أحذيتنا ويرتب السرير ويفرش الناموسية في الخارج. وفي صباح اليوم التالي كان يعود ويللم الناموسية ويدخلها إلى الغرفة. وهكذا دواليك. ومن هذا المنطلق فقد كانت الحياة هناك سهلة. وسرعان ما اعتاد رفاقنا على هذه الطريقة في العمل وفي الحياة."

بالطبع هناك علاقة بين الكلام السابق وبين الخرافة القومية المتعلقة بإنتاجية اليهودي التي تحدث عنها أنتسو سيراني في موضع سابق. فكما سبق أن ذكرت كان للحرفي- أو لمن يمارس عملاً يدوياً- مكانة هامة في المشروع القومي، غير أنه كان يعاني من الدونية في سياق العمل في المستعمرات. ومن هذا المنطلق فقد أدى لقاء المبعوثين مع اليهود العرب إلى طمس بعض المفاهيم التي كانت لديهم. فقد كان المبعوثون ينظرون إلى اليهود العرب على أنهم لا يصلحون للعمل اليدوي، وكان هذا هو السبب في اعتقادهم أنهم لا يصلحون للمشروع الصهيوني. كذلك فمن وجهة نظرهم الصهيونية كان من المفترض أن يتولوا هم بأنفسهم العمل اليدوي، وأدى امتناعهم عن القيام به إلى خلق شعور واضح بعدم الارتياح لديهم. كان المبعوثون الصهاينة واليهود العرب على حد سواء لا يقومون بالعمل اليدوي، غير أن تقييم ذلك كان مختلفاً في الحالتين. وهذا الاختلاف يعبر عن التقاطع بين وجهة النظر الصهيونية ووجهة النظر الاستعمارية. كان النقد الموجه إلى الامتناع عن العمل اليدوي في الحالتين نابعا من وجهة النظر القومية، غير أنه في حالة اليهود العرب كان من الممكن استكمال الصورة من خلال الخطاب القومي. ففي حالة المبعوث الصهيوني كان الامتناع عن القيام بالعمل اليدوي ظاهرة لا يمكن قبولها سوى من المنظور الاستعماري. أما في حالة اليهودي العربي فقد كان الامتناع عن العمل اليدوي يجعله في مصاف المرشحين للتأهيل فيما يعطى المشروع القومي الفرصة لتحويل الكسالى إلى منتجين. وهذا هو السر في التناقض في الخطاب القومي لدى المبعوثين الصهاينة بشأن النظرة الاستعمارية من جانب المبعوث إلى اليهودي المحلي.

كما سبق أن أشرت هناك جانب آخر يتيح لنا توسيع إطار تحليل الحركة الصهيونية بأدوات ما بعد الاستعمار، وهذا الجانب هو النظرة إلى المستعمرة التي تقع على بعد نحو ألف وخمسمائة كيلومترا من تل أبيب، أي خارج حدود ما يطلق عليه اسم "أرض إسرائيل التاريخية". وتدلل هذه النظرة على أن الاستعمار لا يكتفى بحدود محددة وأنه قابل دائماً للتوسع والانتشار. لقد تمت السيطرة على المنطقة عن طريق الاستعمار البريطاني، وهو ما أكد حسبما ذكرت في موضع سابق أن الفهم الكامل للمشروع الصهيوني يتطلب تناول نوعي الاستعمار البريطاني والصهيوني بالبحث بمصطلحات موحدة. يصف بن آري- وكان من بين المبعوثين- الجانب المشترك بين نوعي الاستعمار والذي عبر عنه بقاء مجموعة "سوليل بونيه" في عبدان على النحو التالي:

"لقد كانت المجموعة الموجودة هنا تريد توضيح الروح الطيبة التي تسود في العمل الجماعي، غير أن هذا الأمر لا بد أن يصبح العنصر الرئيسي في تصرفاتهم، ليس في العمل فحسب وإنما خارجه أيضاً بحيث يتركوا لدى الآخرين- سواء من اليهود المحليين أو من البريطانيين أو من جنود جيوش الحلفاء أو من رعايا الدولة التي نحن فيها- انطباعاً بأن هذه مستعمرة عبرية. لا أعتقد أن في استطاعتنا التأثير على المواطن الإيراني في اللقاء الأول، ولكننا بمضي الوقت سوف ننجح في هذا. وهذا هو الأسلوب الذي كنا نتبعه في الماضي في التأثير على الشعوب الأخرى من خلال تعليمها معايير السلوك. إن تأثيرنا على الناس لا يقتصر على النواحي الفكرية أو الدبلوماسية، وهذا هو السبب في أننا نريد من المجموعة أن تظهر بالشكل المناسب. فالعائد من العمل ليس مسألة أجر يوم واحد، وعلى هذا فيجب أن ننظر إلى هذا الأمر على أنه نظام قائم، أو على أنه أول مستعمرة عبرية، وبذلك لا بد أن نولي هذا الموضوع أهمية كبرى."

ترتبط مهمة المستعمرة بالوجود اليهودي في الموقع ولكن هناك مجال لمقارنتها بالاستعمار البريطاني أيضاً، ويتضح ذلك من الفقرة التالية:

"توجد في بغداد طائفة يهودية كبيرة يبلغ تعدادها ١٢٠ ألف نسمة. وبالإضافة إلى ذلك لا بد من رفع شأن اليهود في إيران. ونحن نظهر في صورة المجددين بالاستعانة بالإنجليز الذين يتسمون باختلاف طرق عملهم وتوجهاتهم، ومن الأهمية بمكان أن نفكر في أن يكون لنا أسلوبنا الخاص. ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه مثل هذه المستعمرة في مكان كهذا؟ أعتقد أن أول شيء يمكن أن تفعله هو اختيار الخامة الإنسانية... وأعتقد أن أفضل ما يفعله أعضاء المجموعة الموجودة هنا هو أن يوضحوا للناس الشروط المطلوبة في العناصر المناسبة لإقامة مستعمرة قابلة للاستمرار في أرض إسرائيل... إن الإمبراطورية البريطانية أيضاً عندما ترسل مبعوثين تملئ عليهم الطريقة التي لا بد أن يتصرفوا بها. وبالطبع فإنني لا أريد أن أنسى السلوكيات التي تعلمتها من المستعمرات الإنجليزية، غير أنني أريد أن نبلور قواعد سلوك تصلح لمستعمرة يهودية."

من الممكن أن نعرف عن تعقيد الحياة في عبدان كموقع استعماري أيضاً من وصف أحداث الحياة اليومية للمبعوثين. يقدم لنا عمال عبدان ومبعوثوا الحركة الصهيونية فيها وصفاً تفصيلياً للحوادث التي تعرضوا لها والمقابلات التي أجروها مع رؤسائهم أو مع المحليين أو مع زملائهم الإنجليز أثناء العمل، ومن خلال هذا الوصف تتضح لنا علاقات التجاذب والرغبة والرفض التي كانت تراودهم في نفس الوقت. من الشهادات المثيرة في هذا

الصدد شهادة ناتان بليزوفسكي، وهو مبعوث صهيوني كان من المستعمرين في كيبوتس أوفيك، وأقام في عبدان متظاهراً بأنه من عمال سوليل بونيه. ولد بليزوفسكي في بولندا، وهاجر إلى فلسطين/ أرض إسرائيل في عام ١٩٤١، حيث استوطن في كيبوتس مشمار يام. وبعد أن أمضى بضع شهور في الكيبوتس تم تجنيده عضواً في "مجموعة المبعوثين التي كان من المقرر أن تتسلل إلى أرض العدو". وبعد مقابلة تمهيدية مع يتسحاق تفنكين اجتاز بليزوفسكي دورة تأهيلية. وكان من بين معلميه شاعول أفيجادور وموشيه كرميل الذي كان قائد فرقة ضباط في منظمة الهاجاناه قبل قيام الدولة. وقد أدرك بليزوفسكي حسب شهادته أن الهدف من الدورة التأهيلية هو إعادته إلى أوروبا الشرقية وإعداد اليهود هناك للدفاع والحرب. ولكن بعد نهاية الدورة جاءه موشيه كرميل وأبلغه أنه سيسافر إلى عبدان. ويصف بليزوفسكي التفضيل الذي يحظى به اليهودي- كعامل أبيض في إطار المشروع الاستعماري البريطاني- على النحو التالي:

"حكى لنا (موشيه كرميل) عن عبدان، وعن قيام مؤسسة سوليل بونيه بتجهيز مئات العمال لإقامة معامل جديدة لتكرير البترول في عبدان. وقال إننا سنسافر معهم كعمال... وقد وضعونا في مساكن مثل سائر العمال. ولم يكن هناك من يعرف شيئاً عنا سوى المدير العام. أما باقي المديرين فلم يكن لديهم علم بأي شيء. والتحقنا بالعمل في الصباح التالي. ذهبنا إلى العمل في الرابعة فجراً، وكنت أنا المسئول عن تركيب النوافذ في معامل التكرير. وكان عملي يقضى بأن أكون مشرفاً على العمال الفنيين الهنود. وبالطبع فقد تحولت من عامل مهني إلى صبي أحمل الأدوات، لأن هذا لم يكن تخصصي على الإطلاق. في وقت معين مر المسئول البريطاني، ولم يستطع أن يتحمل مشاهدة شخص أبيض يجهد يديه بعمل يدوي، فقام بإبلاغ مدير شركتنا بهذا الأمر. وفي اليوم التالي غيروا عملي وجعلوني مشرفاً على صب الأسقف. وعندئذ فهمت المقصود. فقامت بالإشراف على العمال الحرفيين... وكانوا من الإيرانيين. هنا تكشف لي الصورة الرهيبة للظروف التي يعمل فيها العامل الإيراني في ظل النظام الاستعماري البريطاني. وربما يكون هذا ما جعلني أصبح إشتراكياً هنا، في هذه الدولة بالذات. فقد شاهدت البعض هنا يموتون من الجوع، وشاهدت شخصاً كل ما يتلقاه في يومه أربع لقيمات وفنجان شاي، هي كل أجره. هنا رأيت جثث الموتى تلقى في الشوارع. هنا رأيت الإذلال، المتمثل في عدم اختلاط الإنسان الأبيض بالآخرين. فهو يتنقل وحده ولا يختلط بأحد، مما جعلني أفكر كثيراً في مشكلات العالم وفيما يحدث لنا".

غير أن هذا الإنسان الأبيض كان هو الذي يساعد المبعوثين الصهاينة في مواجهة الآخر في ذلك المكان. وعلى سبيل المثال يحكى أحد العمال عن حادث وصفه فيه أحدهم بأنه فلسطيني ملعون (bloody Palestinian) بينما يحكى آخر عن مشادة مع رئيسه الهندي الذي وصف العمال الفلسطينيين (يهود فلسطين) بأنهم أنانيون. وفي الحالتين أكد الشهود أن الإنجليز هبوا لمساعدتهم. كما أوضح حاي يساكروف أيضاً أنه باعتباره يهودياً كان يطالب بحقوق مماثلة لما يحصل عليه البريطانيون.

لا يقتصر التناقض هنا على النظرة إلى الهوية وحدها وإنما يمتد ليشمل النظرة إلى المكان وتقييمه. فقد كان من أهم الأسئلة التي شغلت المبعوثين اليهود في عبدان: هل هذه المنطقة تدخل في حدود أرض إسرائيل أم أنها أجنبية؟.. وهل هي مستعمرة بريطانية أم صهيونية؟.. وعلى سبيل المثال فقد كان أغلب المتحدثين عنها يستخدمون لفظ مستعمرة المشتق من الاستعمار وليس مستعمرة، وكانوا يستخدمونه بشكل مباشر ودون تحفظات. وعلى سبيل المثال فقد قال بالون: "لو كنا نريد إنشاء مستعمرة يهودية هنا فلا بد أن نفعل الخطوات الضرورية". ويقول يسكاروف: "هناك من يحسدوننا على مستعمرتنا". كما استخدم ليبرمان نفس المصطلح عندما قال: "إنني أفترض أن الأساس الكافي لإقامة هذه المستعمرة كان متوفراً". وعلق كيفنز على هذا الكلام بقدر من الاستياء قائلاً: "إنني أنكر هذا أثناء أي حوار... لا بد من الحديث عن أن هذه مهمة قومية. فتعبير مستعمرة يحمل رائحة إمبريالية".

ينقل هذا التحذير الصادر عن كيفنز الحوار إلى السياق السياسي، ويتطلب من المشاركين فيه زيادة درجة وضوح مصطلحاتهم ومواقفهم من العالم الذي تمثله هذه المصطلحات. وقد تم حذف الجملة التي قالها كيفنز من محضر الجلسة الذي تم إرساله إلى اللجنة التنفيذية للهستدروت في تل أبيب. وتم أيضاً حذف رد يتسحاق بينكلشتاين الذي قال فيه: "إن من استخدموا تعبير مستعمرة ليسو إمبرياليين، ولا حاجة بنا إلى استخدام تعبيرات مستفزة". وقد شعر كيفنز بالرضا من رد بينكلشتاين، وهو ما دفعه إلى شرح الأسباب التي تجعله يعتقد أن عبدان ليست مستعمرة. وقد كان في شرحه تدعيم للمعنى الاستعماري لوجود المجموعة اليهودية المذكورة في عبدان وليس إضعافاً له، حيث قال: "هناك قنصل بريطاني موجود في تل أبيب. وهذا القنصل يقوم بنشاط ثقافي ويقوم بنشر دعاية بريطانية، أما نحن فهناك قيود علينا". وبمعنى آخر فإن كيفنز لا يجادل في أن البقاء في عبدان له جانب استعماري، والأدهى من ذلك فإن كلامه يكشف أن عدم إظهار الجانب الاستعماري لا يرجع إلى عدم الرغبة في ذلك وإنما يرجع إلى عدم القدرة

عليه. فما كان يمنع من وصف عبدان بأنها مستعمرة يهودية هو القيود الرسمية على النشاط الثقافي، بعكس الحال بالنسبة للقنصل البريطاني في أرض إسرائيل. وقد عارض كيفنز استخدام مصطلحات استعمارية، وذلك في جلسة أخرى عقدت بعد ذلك بنحو خمس شهور، واقترح استخدام مصطلحات بديلة. وقال في هذا الصدد: "لقد كنت واحداً من أعضاء أول مجموعة جاءت إلى عبدان منذ نحو ثلاث سنوات. وقد أتاح لي هذا مشاهدة تطورات الأوضاع منذ بداية المشروع وحتى اليوم... نحن هنا بعيدون عن بلدنا، فيما أود أن أصفه بأنه مشروع استيطاني. فنحن في عبدان نكاد نمثل مستعمرة".

وكان من قبيل المفارقة أن أشار السعي إلى تحديد مصطلح مستعمرة - وإضفاء الشرعية عليه عن طريق ربطه بمصطلح مستعمرة - إلى السياق الاستعماري للحديث. ويبدو أن كيفنز كان يعتقد أن هذه مستعمرة يهودية في منطقة ليس لها حدود وليس لها تصنيف إقليمي. غير أن هذه الطريقة في النظر إلى الأرض لم تكن ممكنة لولا المساعدة الاستعمارية التي جعلت المنطقة مفتوحة وبلا حدود، وجعلت البقاء في المنطقة أشبه بالبقاء في موقع هيتروتوبي ينطوي على ازدواجية بين الوجود القومي (بعيداً عن المكان) والوجود الاستعماري المحدد. وحتى لو كان هناك مبرر لوضع حدود للبقاء في ذلك الموقع في نظر المبعوثين القوميين، فإنه يؤكد أن تحقيق الأهداف القومية ممكن داخل أرض احتلتها دولة استعمارية (أما نحن فلدينا حدود).

يتجلى تردد وحيرة المبعوثين فيما يتعلق بالأرض وتوصيفها في الجدل الذي دار بينهم بشأن مهام المجلس العمالي الذي تم تشكيله في عبدان. وقد جرى في أحد الحوارات مناقشة مهام المجلس العمالي في عبدان، وما إذا كان مجلساً عمالياً بالمفهوم المتعارف عليه في فلسطين/ أرض إسرائيل (مثل المجالس العمالية في عفولا وطبرية والقدس وتل أبيب) أم أنه سيلعب دور لجنة نقابية عمالية. وفي الجدل بشأن هذه النقطة أوضح أحد المبعوثين لممثل اللجنة التنفيذية للهستدروت الذي جاء لزيارة مجموعة عبدان ما يلي: "لابد أن تفهموا أن حالتنا هي حالة فريدة من نوعها، أو حالة استثنائية". غير أن هذا التفسير لم يكن مقبولاً لدى المسؤولين في تل أبيب. فالوثيقة التي تضمنت قرار تشكيل مجلس عمالي بعيداً عن اللجنة التنفيذية في تل أبيب إلى هذا الحد لا تعترف بالحدود. فقد ورد في الوثيقة ما يلي: "سيكون المجلس مسئولاً عن تمثيل جماهير العمال في تلك المنطقة في مواجهة شركة سوليل بونيه". كما ورد فيها: "سيقوم المجلس بتمثيل العمال أمام اللجنة التنفيذية للهستدروت وباقي مؤسسات المنظمة وأمام كافة المؤسسات الموجودة في البلاد". وتضيف الوثيقة أن "اللجنة التنفيذية للهستدروت ستكون مسئولة عن بلورة معايير لاختيار العمال الذين سيعملون هناك، بما يضمن الارتباط الكافي بينهم وبين البلاد واللغة والممتلكات الاجتماعية والثقافية للهستدروت. كما سيكون عليه اعتماد جهة تكون مخولة بتقييم مدى صلاحية المرشحين واستيفائهم للاشتراطات الخاصة سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الفنية، وكذلك تحديد التخصصات المطلوبة وملاءمة العمال المرسلين للعمل فيها".

تكشف محاضر الاجتماعات مع ممثلي اللجنة التنفيذية عن وجود توتر شديد فيما يتعلق بتشكيل المجلس العمالي، وهو ما يكشف عن وجود انقسام في وعي العاملين في شركة سوليل بونيه ووجود تعارض مصالح بين المجموعات المختلفة العاملة في عبدان. يرجع الانقسام في وعي المبعوثين إلى التداخل بين الجانب القومي الصهيوني والجانب الاستعماري (الذي يتسم بالازدواجية كما سبق أن أشرنا)، كما يرجع إلى وجود معايير أخرى للزمان والمكان في عبدان تختلف عن تلك التي كانت سائدة في فلسطين/ أرض إسرائيل. ولكي يتمكنوا من احتواء هذا الانقسام سعى المبعوثون إلى الحصول على استقلالية فيما يتعلق باتخاذ القرار.

تتجلى الاختلافات في نظرة المبعوثين إلى احتلال الأرض حسبما سأوضح لكم في الطريقة التي كان المبعوثون ينظرون بها أيضاً إلى مهمتهم في ذلك المكان وأهدافها، وفي الطريقة التي يقيمونها بها نوعية من ينتمون إليهم. لم يكن من الممكن أن نجد لدى المبعوثين حديثاً موحداً ثابتاً يمكن التمسك به. فقد كان الحديث الموضوعي القومي الذي يتسم بالاستقلالية يتفكك إلى عناصر صغيرة - سواء كانت هذه العناصر صادرة عن جماعات أو أفراد - ولم يكن هذا يسمح بوجود مركز ثقل واحد في مواجهة الآخر من الرعايا الخاضعين للاستعمار. ومن هذا المنطلق فإن توصيف المبعوثين للآخر والسعي للتمييز عنه بواسطة سياسة التمييز التي ساستقيض في الحديث عنها في موضع لاحق لم يكن يسمح لهم - على عكس ما يعتقد سعيده - بتقييم أنفسهم بشكل محدد وواضح، بل كان يفرز مجالا واسعا مليئا بالانقسامات والمواقف المتعارضة.

كان من بين القضايا المثيرة التي طرحت خلال الحوارات وأشارت إلى هذا الانقسام قضية التعارض بين المهمة القومية والمهمة الاقتصادية. وقد شرح أحد المبعوثين هذا التعارض بوضوح على النحو التالي: "إنهم يجيدون الحديث عن إرسال الناس إلى الشرق للتأثير على مجريات الأمور، ولكن عندما نصل إلى الحساب البسيط يقومون بحساباتهم

على أساس استفادة جمهور كبير، وبالتالي يحسبون الدخل الذى يمكن أن يتحقق من ذلك. هناك قوتان تتصادمان هنا. الهستدروت والاستيطان المعنى بإرسال مادة بشرية منتقاة تمثله على أفضل وجه فى الشرق من ناحية، وشركة سوليل بونيه من ناحية أخرى باعتبارها شركة لا تهتم بهذه الأشياء ولا علاقة لها بمشكلاتنا ولا بتوجهاتنا. لا توجد رابطة فكرية بين الشركة وبين اللجنة التنفيذية كما لا توجد بينهما علاقة تنظيمية، والفيصل فى هذه المسألة هو المال". وقد أتاح التوتر بين الناحية القومية والناحية الاقتصادية وجود مساحة تواجدت فيها جنباً إلى جنب التبريرات الاقتصادية الاستعمارية والتبريرات السياسية القومية للوجود فى المنطقة. وقد كان هذا نفس ما فعلته شركة سوليل بونيه فى العقد السادس من القرن العشرين عندما ذهبت للعمل فى إفريقيا بمبررات اقتصادية وإنسانية رغم أن الجانب الذى جعلها تبقى على وجودها هناك كان الجانب السياسى باعتبارها ممثلة إسرائيل فى قارة إفريقيا. ولكن التوتر بين الجانب القومى والجانب الاقتصادى فى عيدان كان له مغزى أهم. وقد تعلمنا منه عدة حقائق هامة. أولاً: كان هناك غموض فى أهداف المجموعة مع سفرها للعراق. ثانياً: لم تكن كل هذه الأهداف محددة مسبقاً، فقد كان لأعضاء المجموعة الفضل فى وضع بعض هذه الأهداف. ثالثاً: مع امتداد فترة البقاء فى المنطقة تغيرت الأهداف التى كانت موضوعة فى البداية. رابعاً: لم تكن كل الأهداف معروفة بنفس الطريقة لكل العمال اليهود فى المنطقة وعندما أصبحت هذه الأهداف معروفة للكافة ترتبت عليها مواجهات حادة بين أعضاء المجموعة. وفى هذا الصدد قال واحد منهم ما يلى:

"لا أعتقد أن الشركة جاءت إلى هنا لوجه الله. فقد كان سبب الحضور إلى هذا المكان واضحاً تماماً. وعندما كان يأتى من الشركة اقتراح كانت تعقد اجتماعات عديدة لبحث ما إذا كان الاقتراح مقبولاً من الناحية التجارية أو لأسباب أخرى. وإذا كان الأمر كذلك فقد كانت هناك حاجة منذ البداية للتفكير فى نوعية المبعوثين المرسلين إلى هنا ومهمتهم. والشئ الغريب أنهم يختلفون الآن على مدى تأثيرنا رغم أن ما حدث فى ذلك الحين لم يعد من الممكن إصلاحه؛ فقد كان نتيجة خطأ ارتكب فى حينه. وللأسف فإن الوضع اليوم على النحو التالى... لدينا هنا أيضاً مبعوثون لجلب مهاجرين جدد ولدينا يهود عاديون جاءوا إلى هنا لدوافع اقتصادية بحتة، ولكن من الصعوبة بمكان التنسيق بين الطرفين اليوم وإقامة مستعمرة لها مهمة سامية".

وقد سار حاي يسكاروف على نفس الخط وقال: "لم نكن نعتبر أنفسنا ممثلين فنيين لمؤسسة تابعة للهستدروت نعمل بدوافع اقتصادية، وإنما كنا نعتبر أنفسنا ممثلين لحركة رواد من الشعب العبرى فى الداخل والخارج. ولولا هذا لما كان لنا الحق فى الوجود هنا". غير أن هناك مبعوثاً آخر كان يعترض على هذا الموقف، ولا سيما على ما تضمنه من زعم بأن المؤسسات الاستيطانية علمت بالإمكانات القومية التى ينطوى عليها مشروع عيدان قبل السفر إلى هناك. وفى هذا الصدد يقول:

"لابد أن أقول إننى أشعر بالدهشة من طرح أسئلة بشأن المهمة الخاصة. فلو كان هذا المكان مهماً لنا من الناحية القومية إلى هذا الحد، ولو كان العاملون لابد أن يمثلوا الهستدروت بشكل مناسب، فأين كان الهستدروت طوال الثمانية وعشرين شهراً الماضية؟ لقد كنتم تعلمون من الذين أرسلتموهم إلى هنا، وكنتم تعلمون المهام الملقاة على عاتقهم، فلماذا التزمت الصمت طوال هذا الوقت؟... لقد كان من الممكن عمل الكثير فى كافة المجالات. لو رأيتم كيف بدأ الأطفال اليهود فى عيدان، ولو علمتم كم كان من الجميل سماع اللكنة الفلسطينية من أطفال عيدان. غير أن أحداً لم يستغل الإمكانات التى كانت متاحة فى هذا الشأن كما هو الحال فى كل مجال آخر. لابد أن يأتى الرد منكم. أنتم المسئولون عن هذا الأمر وأنتم المخطئون. وأنتم الذين أهملتم هذا العدد الكبير من العمال طوال هذه الفترة الكبيرة".

كان هذا الاتهام موجهاً لممثلى اللجنة التنفيذية فى عيدان. والمقصود بالصمت الذى تحدث عنه المبعوث هو "الغموض"، وعدم وجود توجيه، ووجود تفسيرات عديدة لمغزى وأهداف البقاء فى عيدان. لا يوضح لنا هذا الكلام مدى التوتر بين المهام الصهيونية والمهام الاقتصادية فحسب، وإنما يوضح لنا أيضاً أن عدداً كبيراً من المهام التى أخذت المجموعة على عاتقها تنفيذها لم يكن محدداً بشكل قاطع منذ البداية، وإنما جاء بعد الذهاب إلى المنطقة العربية ونتيجة للبقاء فيها، أو أن هذه الأهداف لم تكن معروفة لبعض المبعوثين على الأقل قبل الذهاب إلى هناك. وهذا ما يقوله الرفيق زخاروف صراحة:

"كان من دواعى سرورى أن أسمع أن العمل بين الشباب اليهود فى عيدان يحتل المكان الأول من اهتمامات ممثلى الجمهور (وأنا أسمع هذا الكلام للمرة الأولى). هناك شئ واحد صغير أود أن أضيفه وهو أن الرفاق قد بدأوا العمل فى هذا الصدد بمبادرة من العاملين فى سوليل بونيه فى تلك المنطقة وليس بناء على مبادرة من مؤسسات الهستدروت. فقد جرى العمل منذ مدة دون دعم من المؤسسات العمالية، وإنما من خلال اكتساب البعض للأصدقاء بشكل فردى ومن خلال العلاقات الشخصية مع ممثلى شركة سوليل بونيه".

أدى هذا الغموض في الهدف من السفر إلى تلك المنطقة إلى زعم المبعوثين أنه تم إرسال البعض ممن ربما كانوا مؤهلين للعمل فنيا ولكنهم لم يكونوا مؤهلين فكرياً للعمل الصهيوني المناسب، ولذلك لم يكونوا خامة طيبة على حد قول المبعوثين، الذين يفسر أحدهم ذلك بما يلي:

"كان الجميع متفقين معي على أننا هنا يجب أن نكون جمهوراً متحداً ومتماسكاً من العمال العبريين، يتمتع بمسئولية يهودية وصهيونية... وسمعت كلامهم... الذي كان يوحي بوجود مشكلة في الخامة الإنسانية التي لم تكن مناسبة للمهمة المكلفة بها. وقلت إن هناك قدراً معيناً من المسئولية، ربما يقع على عاتق شركة سوليل بونيه التي أرسلت عن غير قصد خامة غير مناسبة لتلك المنطقة، ولكن لا يجب أن نجعل المسئولية الكاملة تقع عليها، كأنها اختارت عن قصد هذه النوعية من الناس".

وقد أوضح أحد المبعوثين المشكلة التي تفجرت بسبب هذه الخامة قائلاً: "هناك عناصر معادية للصهيونية ومناهضة للهستدروت، لا شك أنها كانت بمثابة عنصر معوق. وقد اضطرت المجموعة - التي كانت تتولى العمل في الناحية التربوية مع اليهود في عبدان ومحيطها وأبنائهم - لأن تطلب من إدارة شركة سوليل بونيه إقصاء بعض العاملين عن الموقع بسبب ما يمثلونه من إعاقة لهذا النشاط الهام".

تكشف مشكلة نوعية الخامة البشرية عن مشكلة أخرى هامة، وهي أن شركة سوليل بونيه قد اضطرت لأن ترسل إلى عبدان عمالاً جاءوا للتو من أوروبا، زعم البعض أنهم لا يعرفون الفارق بين الوطن والشتات. وكما حكى واحد من قدامى أعضاء المجموعة فهناك مجموعة كبيرة من الرفاق الموجودين في عبدان بدأت عضويتهم في الهستدروت في يوم وصولهم إلى عبدان. وكان كثيرون منهم حديثوا عهد بالهجرة (إلى فلسطين) ولا رابط بينهم وبينها، وكانت عبدان بالنسبة لهم فرصة ستتيح لهم العودة للشتات". وبمعنى آخر فإن هذا المبعوث يزعم أن هؤلاء المبعوثين كانوا لا يزالون يتخلقون بأخلاق الشتات وبالتالي لم يكن من الممكن أن يمثلوا نقطة ثقل مع القادمين من فلسطين/ أرض إسرائيل في مواجهة اليهود المحليين الشتاتيين في عبدان. والأدهى من ذلك أن "المهاجرين الجدد" لم يكتسبوا الطابع المحلي لفلسطين/ أرض إسرائيل بالقدر الكافي ولذلك فقد كان لديهم ميل قوى إلى العودة للشتات، بمعنى أنهم إذا كانوا سيؤثرون على اليهود المحليين (اليهود العرب) أصلاً فإن تأثيرهم عليهم سيكون سلبياً. ويوضح شماريا جوتمان أن هؤلاء الناس "جلبوا الشتات معهم إلى هنا... حيث لم تكن هذه الخامة البشرية بعيدة عن كافة مشكلات اليهودية فحسب وإنما كانت بعيدة أيضاً عن كافة مشكلات الحركة الصهيونية. كان الجمهور هنا مكوناً من عناصر مختلفة. فكان هناك من لم تؤثر عليهم هجرتهم، وكان هناك من اختلطوا تماماً بالباقيين، وفي بعض الأحيان كنت لا تستطيع أن تميز ما إذا كان من حولك من اليهود فلسطينيين أم نزلوا من السفينة للتو. ولا بد من توثيق العلاقة مع اللجنة التنفيذية ومن إعطاء اهتمام خاص لهذا الجمهور يفوق ما كان يحظى به قبل قدومه لعبدان نظراً لأن لدينا هنا مشاكل كبيرة".

تسبب الخطاب التاريخي الصهيوني بوضعه للشتات كله في كفة واحدة في تضييع تاريخ الطوائف اليهودية المختلفة وطمس الفوارق بين البلدان المختلفة التي كان اليهود يعيشون فيها في "الشتات". فقد كان الشتات مرفوضاً ككيان واحد مشترك، وكان يُنظر إليه على أنه فترة من انعدام الوزن، أو فترة جهالة مؤقتة تفتقر إلى السيادة السياسية، ويجب نسيانها لهذا السبب. كان رفض الشتات أحد العناصر الكبرى في تقييم الوعي الذاتي لدى يهود إسرائيل وقد أسهم في تشكيل ملامح رؤيتهم التاريخية وذاكرتهم الجمعية (راز كركوتسكين ١٩٩٣: ص ٢٣).

إن الحالة التي نحن بصددتها تنتهك الإجماع على نظرية رفض الشتات. فلكي تتمكن هذه النظرية من البقاء كعنصر في تاريخ الحركة الصهيونية يجب أن يكون هناك تمييز واضح بين الشتات وبين أرض إسرائيل. غير أن هذا التمييز لم يكن واضحاً في عبدان، حيث يبدو الشتات بوضوح كمصطلح لا أساس له. وعلى سبيل المثال فإن بعض اليهود الذين ينتمون إلى أرض إسرائيل في عبدان قد اكتسبوا هذا الوصف بعد مراسم تعميد سريعة داخل حدود فلسطين/ أرض إسرائيل. وكما شهد البعض: "فهناك أناس جاءوا إلى بلادنا كلاجئين وفور وصولهم نزلوا من السفينة للسفر إلى عبدان". وبمعنى آخر فإن بعض المبعوثين جاءوا من "الشتات"، و"تلقوا تأهيلاً ليصبحوا إسرائيليين" ثم سافروا إلى "الشتات" ثانية. من هذا المنطلق فقد كانوا يعتبرون وجودهم في عبدان تحقيقاً لنظرية رفض الشتات، غير أن وجودهم هناك في حد ذاته كان مهدداً للتمييز القاطع بين "أرض إسرائيل" وبين "الشتات". فقد أكد البقاء في عبدان - نظراً للملابسات الخاصة التي جرى فيها - على ميوعة هذه المصطلحات وعلى تغييرها وتغير المعنى الثقافي القومي المصاحب لها.

وبتعبير آخر، نظراً لأن عبدان كانت تمثل ساحة يعمل فيها ممثلون من "الشتات" و"أرض إسرائيل" في نفس الوقت فقد كانت تعبر عن الرفض والحنين في نفس الوقت. كان من الممكن للتهديد الذي يمثله الشتات في عبدان أن يتسبب

فى تميع هوية المبعوثين القادمين من فلسطين/ أرض إسرائيل، الذين يشتبه فى أن بعضهم شتاتيون، وهو ما يشهد عليه فى الفقرة التالية يتسحاق بينكلشتاين:

"لم يكن لعب دور الشتاتى أمراً ممتعاً غير أنه كان مفيداً لأرض إسرائيل ولسمعة أرض إسرائيل العبرية. هناك أشياء لا يدرك المرء أهميتها وقت حدوثها، ولكن نتائجها تظهر بمرضى الوقت. وعلى سبيل المثال فهناك خطر أن نتعرض لإفلاس فكرى عندما نبتعد عن وطننا، وهناك خطر يتمثل فى انقطاع صلتنا بالناس فى الوطن. وفى مقابل كل هذا كان لابد أن نتمتع بالحساسية إزاء ما يجرى هنا، لأن هذه مهمة لصالح الهستدروت والاستيطان اليهودي".

كان سلوك قدامى المهاجرين يعتبر أكثر أصالة ولذلك كان أكثر تحملاً وأقل تأثراً بالشتات. ولكن هذا التحرر كان ينطوى على خطر الإباحية التى كثيراً ما كانت تلقى من يتصدى لها. يقول كابليون: "كان هناك قرار بشأن إيقاع ضغط معين على العضو فيما يتعلق بسلوكه الأخلاقى. وقد أشدت بهذا القرار الطيب. تحدث البعض عن الدعارة وقررنا منعها. غير أنى أعتقد أن هذه حماقة لأنهم سيأتون بنساء بكل تأكيد. أليس الممنوع مرغوباً ٩٠٪ ربما تكون هناك حاجة لبحث هذه الأشياء مع متخصصين فى علم النفس وعلم الاجتماع. أما الحديث عن رفع المستوى الأخلاقى القومى فهو من تخصص إدارة الشؤون الخارجية فى البلاد (١)".

أدى طمس الفارق بين إقليم أرض إسرائيل والشتات وكذلك بين المبعوثين الصهاينة والشتاتيين إلى طمس معالم المهمة الثقافية. فقد انقلبت الآية. وبدلاً من أن تكون المهمة موجهة إلى اليهود العرب أصبح لها تأثير على بعض المبعوثين ممن كانوا حديثى عهد بالشتات. وكما يوضح مبعوث شركة سوليل بونيه إلى البحرين فإنه لابد من الالتزام بمستوى معين من الثقافة نظراً لأنه "عند السفر إلى الخارج لا أحد يبحث بدقة ما هو المستوى الثقافى للمبعوث. وما يظهر بوضوح من هذا الواقع هو أنه كانت هناك حاجة لتثقيف المبعوثين حتى يصبحوا مناسبين للمهمة. أضف إلى هذا أن عدم نجاحهم فى عيذان فى خلق "خامة بشرية صالحة للمهام القومية" جعل من الصعب فى فلسطين/ أرض إسرائيل الحديث عن إرسال بعثات مماثلة لأوروبا. وفى هذا الصدد قال أحد المبعوثين ما يلي: "لا شك من حضور عمالة عبرية من بلادنا إلى دول الشتات يمكن أن يكون حلماً جميلاً، ولكن فى اللحظة التى طرحت فيها إشكالية عيذان، وفى اللحظة التى حكى البعض فيها تلك الأمور الرهيبة عن عيذان لم يعد من الممكن الحديث عن إرسال مبعوثين لأوروبا".

وقد أوضح شماريا جوتمان أيضاً أن الخامة البشرية الشتاتية لم تكن جيدة بالقدر الكافى. وقال فى هذا الصدد: "لا أعتقد أن الجميع لابد أن يكونوا من خيرة الناس. ولكن كما هو الحال فى كل مشروع تقدمى لابد أن تكون هناك مجموعة من الشخصيات المناسبة لتؤدى مثل هذه المهام فى الخارج. ولكن يبدو أن كل هذا لا يجرى سوى من خلال حساب المكسب والخسارة، ويبدو أن شركة سوليل بونيه لم تضع فى اعتبارها أى مهام". وفى مناسبة أخرى أوضح كابليون أيضاً أن المطلوب هو "القيام بنشاط تربوى بين الأطفال والشباب اليهود هناك، والقيام بنشاط إعلامى بين يهود عيذان ومحيطها. غير أن الخامة البشرية التى تم إرسالها إلى عيذان لا تسمح بالقيام بهذا النشاط على النحو المطلوب. فهناك مجموعة كبيرة من العاملين لم تبدأ عضويتهم فى الهستدروت سوى يوم سفرهم إلى عيذان... كما توجه بعضهم بالشكوى إلى رجال الدين من تحريض الأطفال وإغوائهم حتى يقوموا باتباع ثقافة سيئة، وتدخلت فى هذا الموضوع "الرابعة" التى لم نسمع عن وجودها فى طهران من قبل". وقد أدلى كيفنز هو الآخر بدلوه فقال: "لن نسمح لشركة سوليل بونيه بعد ذلك باختيار الخامة البشرية المرسله إلى عيذان لأنها ترسل كل من يوافق. وقد كانت النتيجة أننا اليوم لدينا الكثير من أبناء الشوارع... الذين وصلوا للتو من الخارج.. ورغم أن علينا أن نتذكر أن العمل حق لكل يهودي، إلا أننا لابد أن نرسل لهذا المكان الذى يتيح لنا غزو أماكن عمل خارج حدود البلاد أفضل الشخصيات التى يمكن أن تمثلنا، وليس الشخصيات التى لا يمكنها هذا". وفى بعض الأحيان كان البعض يتحدثون عن عناصر غير مرغوب فيها: "لست أقصد هنا التصحيحيين والنشطاء ولا غيرهم من الذين ليس لهم أى أفكار أو اهتمامات سوى بالعمل. ولكن فى استطاعتى أن أحكى لكم عن أناس قالوا لى فى إحدى المناسبات إنهم هربوا من فلسطين/ أرض إسرائيل ووجدوا ملجأ لهم فى عيذان. وكان هناك أيضاً من أعلنوا أننا الذين أطلقنا النار على المندوب السامى! أو قالوا إن فايتسمان خائن! وقد توجهنا لإدارة شركة سوليل بونيه وطلبنا إقصاء هذه العناصر غير أن الشركة لم تستجب لنا".

تتناول المناقشات النظرية لأمر مختلف تتعلق بالاستعمار بصفة عامة الطريقة التى أسهمت بها المصطلحات الاستعمارية فى تشكيل الملامح الثقافية لمتلقيها. وقد حاولت فى الاستعراض الذى قدمته حتى الآن تغيير زاوية الرؤية. وكان موضوع التحليل هو المبعوثين المسئولين عن التثقيف الذين كانوا مشغولين بتشكيل ملامح هويتهم التى تبين لهم أنها لم تكن متماسكة وإنما كانت تتشكل مع هوية المتلقى للتثقيف. وقد أمكن هذا أيضاً نظراً لأن مشروع

عبدان قد تأسس وفقاً للنموذج الاستيطاني اليهودي في فلسطين الذي يعد "استيطاناً نموذجياً" يجمع بين الديانة والقومية والعنصرية والاستعمار (كما هو حال البعثات التبشيرية البروتستانتية على سبيل المثال). ولكن لأن مشروع عبدان لم يكن داخل حدود أرض إسرائيل، وكان يفتقر إلى القدسية التي تتمتع بها فقد كان يفتقر أيضاً إلى الشرعية الدينية البديهيّة المصاحبة للمشروعات الاستيطانية النموذجية في أرض إسرائيل. ولذلك فلكي يدخل مشروع عبدان ضمن سلسلة المشروعات الاستيطانية المعترف بها، ولكي يصبح أساساً يسهم في تحقيق الأهداف القومية، لابد من جعله نموذجياً من خلال الارتقاء بنوعية الناس المرسلين إليه. وبالتالي فقد تحول المبعوثون من موضوع للحوار القومي إلى مادة سياسية واكتسبوا نوعاً من القداسة.

والآن سوف أنتقل للحديث عن جانب رئيسي من جوانب المهمة الثقافية؛ ويتمثل هذا الجانب في الهوية العربية لدى اليهود المحليين. لقد كان مصطلح "اليهود العرب" - الذي كان مصطلحاً خيالياً في نظر الخطاب القومي - يشغل المبعوثين للغاية وسوف أفسره هنا على ضوء النقطتين اللتين تناولهما هذا الفصل بأكمله وهما الهوية القومية والاستعمار. لقد تحول اليهود العرب الآن إلى عناصر عرقية يجري بحث إدماجها في المشروع القومي.

٥- حول "الفارق" بين العرب واليهود.. "اليهودي يعرف أنه يهودي وأنه مختلف عن العربي":

يتناول علم اجتماع الاحتلال وإنثروبولوجيا الاحتلال المفاوضات وتكوين وتقصى الفوارق في المجال العرقي (Comaroff 1998). وكما كتب هومي بابا فإنه "على هامش الاستعمار تكتشف الثقافة الغربية اختلافها وحدودها في الوقت الذي تكشف فيه ممارستها للسلطة عن ازدواجية تعد واحدة من الاستراتيجيات النفسية الهامة للقوة العنصرية" (بابا ١٩٩٤ ص ١٤٤). وفي ظل مثل هذا السياق يتراكم رصيد من "المواقف المتناقضة التي تشكل ملامح الآخر في الخطاب الاستعماري" (المرجع السابق ص ١٥٢). ويوضح هومي بابا أن الاختلاف هو الذي يفرز الازدواجية ويزعزع سلطة الاحتلال.

كان الصهاينة ينظرون إلى اليهود العرب في سياقين مختلفين. في وقت من الأوقات كان يُنظر إليهم في إطار نظري يرتبط بالاحتلال باعتبارهم جزءاً من العالم العربي الذي يمثل الآخر في نظر أوروبا وفي نظر الحركة الصهيونية التي نشأت في أحضان القومية الأوروبية، وهو ما أفرز واقعاً مضطرباً يسوده الخلاف. وفي نفس الوقت فقد كان اليهود العرب يعتبرون عنصر احتلال عربي. وقد أدى هذا إلى التعامل معهم باستخدام مصطلحات خاصة مما تفتق عنه ذهن حركات الاستشراق، وتم التعامل معهم على أنهم عنصر في الخطاب القومي العرقي الديني الصادر عن الحركة الصهيونية. وقد كان يُنظر إليهم على أنهم عرب وبالتالي على أنهم من مرتبة أدنى وفي نفس الوقت على أنهم يمثلون اليهود القدامى وبالتالي فإنهم من مرتبة أعلى أو على أنهم أكثر قداسة. وسوف يتجلى الحديث بصوتين على هذا النحو في الفصل التالي الذي سأتناول فيه الهوية الدينية لليهود العرب. فقد كانت وجهة النظر الاستعمارية تنظر إلى هويتهم الدينية على أنها سطحية تتسم بالرياء، بينما كانت وجهة النظر القومية تعتبرها هوية أصيلة وحقيقية. وكما سأوضح في الفصل التالي فإن الهوية الدينية الحقيقية ستمثل مؤشراً لمعرفة الهوية القومية وإلغاء الهوية العربية لليهود العرب. وسوف أتناول في هذا الفصل المواضع التي يبرز فيها الصراع بين هذين التوجهين في الجدل حول الفارق بين اليهود والعرب. وكما سأوضح على الفور فقد كان مبعوثوا سوليل بونيه يهتمون في نفس الوقت بالهوية العربية لليهود العرب وكذلك بإظهار الفارق بينهم وبين العرب، عن طريق تأهيلهم كيهود صهاينة، وهو ما يعد نموذجاً يدل على الازدواجية وزعزعة السلطة للذات تحدث عنها هومي بابا.

يمكن أن نلاحظ مدى تضامن يتسحاق جرينبوم - الذي كان من أعضاء مجلس إدارة المنظمة الصهيونية - مع الاستعمار الأوروبي من كلامه أثناء لقاء مع ممثلي سوليل بونيه في مكاتب الوكالة اليهودية بالقدس. قال جرينبوم إن هناك نوعين من السكان في فلسطين "نحن اليهود، ونحن أوروبيون ننتهي للقرن العشرين، والسكان العرب وقد توقف تطورهم عند القرن الخامس عشر أو السادس عشر". وفي موضع آخر من الحديث قال: "إننا أوروبيون ونريد أن نخلق اقتصاداً أوروبياً هنا. ونحن نعتقد أن حكومة الانتداب لابد أن تقوم بعملها من منطلق أن هذا البلد هو بلد أوروبي مثل إنجلترا وغيرها". ولكن كما سبق القول فإن يهود الدول العربية كان يُنظر إليهم على أنهم يهود وعلى أنهم جزء لا يتجزأ من المشروع القومي. ومن هذا المنطلق لم يكن يُنظر إليهم على أنهم الآخر المختلف عن أوروبا وإنما على أنهم أجانب مقربون من الحركة الصهيونية.

لم يكن هناك تناسق بين الرؤية الاستعمارية والرؤية القومية. ويقول شاترجي إنه فيما يتعلق بالهند على سبيل المثال تم تسخير مصطلحات المستشرقين لصالح الأيديولوجية الهندية من أجل التأكيد على عراقية الماضي القومي وأصالته (Chatterjee 1986, 1993). وقد أفرزت الحركة الصهيونية أيضاً هوية عرقية داخل الهوية القومية الاستعمارية. ولكي تتمكن الحركة الصهيونية من تشكيل الجماعة اليهودية كجماعة قومية حديثة سعت إلى إعادة بناء

جذورها المادية والعلاقات المتبادلة بينها والخطاب الدينى الذى تستند إليه (لتشكيل هوية قومية/ دينية/ عرقية). فقد وفر اليهود العرب للحركة القومية الشرعية أو ما يمكن تسميته بالشرعية القبلية. ومن هذا المنطلق على سبيل المثال عرفت الحركة الصهيونية كيف تحدد مكان يهود الشرق (أو يهود اليمن على سبيل المثال) كجزء من الأسباط الإثنا عشر وتعتبرهم جزءاً لا يتجزأ من الامتداد القومي. ولكنها فى نفس الوقت جعلتهم فى مرتبة أدنى فيما يتعلق بثقافتهم وديانتهم ووعيهم القومي (بيتربرج ١٩٩٥). ويمكننا اعتبار الهوية القبلية والطائفة اليهودية العربية المحافظة عنصراً خيالياً اعتمدت عليه الهوية القومية الجمعية لتتشكل داخله وفى مواجهته فى نفس الوقت.

ومع ذلك ففى السياق الصهيونى أصبحت مسألة اللقاء بين يهود أوروبا واليهود العرب مسألة معقدة، نظراً لأن هذا اللقاء الذى يظهر الاختلاف بينهما لم يكتف بهذا الأمر، بل سعى إلى تجنيد الآخر المختلف بين صفوفه. هنا يقف المبعوث الأوروبى أمام المحلى العربى ويسعى إلى وصفه بأنه "الآخر" (لأنه عربى)، وبأنه "أجنبي" (شرقى)، ولكنه فى نفس الوقت "واحد منا" (لأنه يهودى مرشح لن يصبح صهيونياً). هنا، فى المنتصف بين هذه التصنيفات تفرز السياسة الفارق بين الطرفين. واللافت للنظر هو أن الحركة الصهيونية (مثل العناصر الاستعمارية الأخرى) أفرزت سياسة انتماء وتمييز وتحديث بعدة أصوات منقسمة، وفى نفس الوقت لم تعترف بالتعقيد الثقافى والنفسى الذى أفرزته هى نفسها، وحاولت احتواءه داخل تعريف قاطع ومغلق: فإما يهود أو عرب.

لم تكن نظرة يهود أوروبا إلى انتماء "يهود الشرق" للشرق على أنه وصمة نتاجاً للحركة الصهيونية وحدها. فقد بدأت مع عصر النهضة الأوروبية، وتجلت فى تحويل اليهود الشرقيين إلى "الآخر" فى نظر أوروبا (فأصبحوا نتيجة لذلك غير عصريين). وقد أدت اللقاءات مع يهود الشرق إلى زيادة وضوح المواقف المتعلقة بالشرق والتى كان مصدرها ظروف السيطرة الاستعمارية، التى تجلت فى العلاقات القائمة على التعارض بين الشرقى والغربى. وقد كتب سعيد يقول: "إن الاستشراق هو أسلوب تفكير قائم على التمييز بين الشرق والغرب (سعيد: ٢٠٠٠ ص ١٢). فالعنصر الشرقى ليس مجرد العنصر الموجود هناك فى تلك المنطقة، وإنما هو عنصر يخترعه ويفرزه بشكل متواصل مبعوثون ومؤسسات وسياح ومتنزهون وعلماء إنثروبولوجيا وأدباء ودبلوماسيون. ويتجلى اختراع العنصر الشرقى فى التعامل معه من خلال قاموس مصطلحات وبحوث أكاديمية وتشبيهات ونظريات وأساليب استعمارية وقوالب فكرية. وقد كان هناك تعبير آخر عن ذلك فى العالم اليهودى وهو إبعاد التاريخ الشرقى عن سياقه الإسلامى والعربى وجعله جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الأوروبى" (Schroeter 1994).

يمكن أن نجد فى تقارير مبعوثى شركة سوليل بونيه استخداماً واضحاً للصفات التى أطلقها المستشرقون على العرب، حيث استخدمها اليهود الأوروبيون لوصف اليهود العرب. وعلى سبيل المثال فقد تكون لدى شاعول مثيروف (أفيجور)- الذى أرسل فى بعثة تمهيدية إلى العراق- انطباع قاطع عن اليهود المحليين هناك بأنهم: "اليهود الجبناء الشرقيون الذين يظهرون غير ما يبطنون.." (أ. مثير ١٩٩٢ ص ٧٨). وقد كتب فى موضع آخر يقول: "قد يندلع جدل أكثر أو أقل بينى وبينك أو بينى وبين اليهود الفلسطينيين. أما هؤلاء الشرقيين فلن يسكتوا. فهناك كل شيء يتحول إلى مشاجرة. فكل مضمون حياتهم هو مشاجرات مستمرة" (المرجع السابق). وقد كانت لدى أنتسو سيرانى مواقف مشابهة تجاه الخامة البشرية غير الأوروبية تتضح من حديثه أمام لجنة شئون الهجرة فى ٢ يوليو ١٩٤٢ الذى قال فيه ما يلى:

"هذه الخامة ليست أوروبية، ولكنها خامة بشرية سرعان ما تتحمس وسرعان ما تصاب باليأس... ليست قادرة على الاحتفاظ بسر وليست قادرة على الحفاظ على كلمتها. إنها كالمياه العميقة.. ولكن هذه المياه وإن كانت عميقة إلا أنها ليست سيئة، ولكن هناك زبد سيء فوق سطحها، وهذا الزبد من النوع العربى، فهو سمة لثقافة لم يعد لها وجود أو موجودة ولكن فى أسفل الدرك. وقد يكون فى استطاعتنا أن نجعل منهم "آدميين"، غير أننا لن نتمكن من ذلك بدون مساعدة من المسؤولين هنا".

جدير بنا أن نلتفت إلى التحول فى وجهة النظر لدى مثيروف وسيرانى، وكذلك إلى أن اليهود الذين يتحدثان عنهم قد اكتسبوا الصبغة الاستعمارية بعد لقاءهم المبكر مع الاستعمار الأوروبى (فى بغداد على سبيل المثال)، غير أن هذا لم يجعل منهم أوروبيين فى نظر المبعوثين. على العكس لقد ظلت المهمة المطلوب أداؤها هى جعل هؤلاء الناس "آدميين". وفى هذا الصدد فقد وصفهم شمريا جوتمان- الذى سافر هو الآخر مع سيرانى إلى الشرق- وصفاً خلافاً للغاية:

"إنهم يقضون حياتهم على المقهى. ليس فى ثقافتهم أسرة. فالرجل هناك لا يبقى مع زوجته وأولاده، وإنما يجلس على المقهى. وهناك يلعبون الطاولة ويلعبون الورق ساعات بعد ساعات... وفى كل زاوية تجد بيت دعارة أو ماخور... هناك نوادى للأثرياء تتردد عليها الأسر الثرية. وهى بؤرة للنميمة ومكان يمكن أن تخطب منه الفتيات. ولكن من يريد

أن يمضى وقتاً طيباً يذهب إلى المقهى... وليس فى المسارح هناك أى ثقافة. كما أن المواهب والمؤهلات والقدرات تتطور حسبما يحتاجه المجتمع.. وهذا اندماج كامل فى حياة الشرق".

كتب أرييه أبراموفسكي- مبعوث هجرة من كيبوتس مشمار هايام (الذى يسمى الآن كيبوتس "أوفيك") وكان يعمل مع يهوشوع جفعونى فى العراق- عن عدم قدرة المحليين على الاتحاد والعمل معاً، وفى هذا الصدد قال: "الرشوة متفشية فى كل مكان... والوشاية... والجشع الرهيب. كل واحد يسعى لجعل الآخر يفشل... وفى هذا المناخ تنتشر الأكاذيب عن أرض إسرائيل، وتنتشر الحكايات عن الإشكناز الأشرار، ولا يوجد إيمان بأى شيء، لا بالدين ولا بأى مبدأ آخر... لا يوجد إيمان سوى بقوة المال".

يقول أريه شيل- الذى وصل إلى العراق فى أكتوبر ١٩٤٢ متخفياً كعامل فى شركة سوليل بونيه: "يقولون إنهم يؤمنون بالحركة الصهيونية... وليس فيما يفعلونه أى صهيونية... وإنما فيه رياء رهيب. هذا هو الطابع العربى فى ذروة تطوره" (تسمحونى ١٩٨٩ ص ٢٤٢). ويقول أيضاً: "إن اليهود هنا يتسمون بالخسة والصلافة، ولكنهم يهود رغم كل شيء، ويمكن أن نجد مداخل إليهم". وكتب أفرايم شيل (المعروف باسم شولتس)- ممثل شركة سوليل بونيه ومبعوث الهجرة الثانية الذى جاء من عبدان إلى طهران- فى تقريره عام ١٩٤٢: "لدى يهود إيران تاريخ طويل من الخسة المادية والمعنوية... ولا يكاد يكون لديهم أى قيم ثقافية يتحصنون بها فى مواجهة الجهالة ونظام القمع الذى عاشوا فيه طوال السنين".

وهناك تقارير أخرى فى هذا الصدد تتراوح بين المواقف الاستعمارية وبين التكافل القومى. وقد كتب أحد مبعوثى الشركة للبحرين فى خطاب لمستعمريته: "لدينا هنا يهود بابل وإيران الذين يعدون متخلفين حقاً ولم يتجاوزوا الصفر فى تطورهم، ولا يمكن أن تعتبر أى شيء يقولونه أو يفعلونه ملزماً. ورغم الخواء الذى حولهم، فإن هناك أيضاً أشياء متميزة وهناك يهود متميزون- وخاصة من إيران- يعملون لدينا فى كافة المجالات الصعبة، ويتعرضون للقهر والإذلال من كثرة المشكلات والأزمات التى مروا بها فى شتاتهم الكئيب، وهم فى حاجة إلى كلمة عزاء تسرى عنهم. غير أنه يذكر لشبابنا العمال أنهم يعملون على التخفيف عنهم والتقليل من معاناتهم، ولكن هذا الأمر صعب. إن التباعد الفكرى بيننا شديد نظراً لاختلاف العقليتين، غير أن تلك المشكلات على ما يبدو ليس فيها جديد". كما طلب مبعوث آخر مساعدة علمية فى حل مشكلة يهود عبدان: "يمكننا بالاستعانة بالعلم أن ننجح فى إخراج هؤلاء الناس من ظلمات الجهل، وأن نضعهم فى مكان أفضل، والمهم هو إخراجهم من مستقع الجهل الذى يخوضون فيه...". يحكى دوف أديب وقد كان هو الآخر من المبعوثين فى خطاب إلى قرية شباب "بن شيمن" أنهم بعد عمل دعوب نجحوا فى تجميع نحو مائتى شاب من المحليين لعمال الشركة فى عبدان بهدف تعليم هؤلاء الشباب اللغة العبرية "وتأهيلهم للحياة فى فلسطين/ أرض إسرائيل". وكتب أديب يقول: "لم تكن تلك المهمة سهلة. فلابد أن نتعرف جيداً على النموذج اليهودى الفارسى العربى وأن نعرف سماته حتى نتوصل إلى معايير لتقييم عملنا". وحكى مبعوث آخر كان من مؤسسى حركة الطلائع فى عبدان عن تشكك اليهود المحليين قائلاً: "منذ البداية لم يكن اليهود يصدقون أننا لا نريد سوى تعليمهم العبرية. فالعطاء دون انتظار الثمن أو المقابل هو أمر لم يكن يهود الشرق قادرين على فهمه". كما كتب أحد العاملين فى سوليل بونيه فى مجلة الشركة ما يلي:

"عندما كان المرء يتحسس طريقه فى ظلام الحوارى الإيرانية القذرة كان يصطدم ببعض الشباب اليهود الذين يرون أمامهم شاباً قادمًا من فلسطين ويحمل رموزها فيستقبلونه بالتحية والترحاب. كانت قلوبهم مفعمة بالأمل لرؤية الجنود اليهود فى الجيش البريطانى يخدمون فى هذا المحيط، وكذلك لرؤية عمال سوليل بونيه الذين يعملون من خلال شركة البترول الأنجلوإيرانية وهم يخصصون عدداً لا يستهان به من أمسياتهم لتعليم أبناء المحليين".

لجأ أنتسو سيرانى هو الآخر فى وصفه للشرق إلى مصطلحات المستشرقين، وإن كان لابد أن نقول إنه كان واعياً بالواقع الاستعمارى والقيود التى يفرضها (بوندى ١٩٧٢). تحدث سيرانى فى يوليو ١٩٤٢ أمام جمهور يشعر بالفضول، وحدثه عن السمات الخاصة لليهود العرب. وأكد سيرانى أهمية المهمة الثقافية التى يقوم بها المبعوثون "الغربيون" الذين يسعون إلى خلق وعى قومى فى منطقة أمية: "إن مشكلة هجرة الشباب هى المشكلة الرئيسية بالنسبة للهجرة القادمة من العراق. فالشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ عاماً و٢٥ عاماً هم فى النهاية رجالنا ولا بد أن نجعل منهم (آدميين)، وهذا ليس بالشىء البسيط. هناك أولاد رائعون فى العراق. غير أنى لم أفهم معنى السمات الشرقية سوى هناك. ففي السادسة عشرة يتمتع الصبى بسحر خاص يفقده عندما يصبح فى العشرين. وهؤلاء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة رائعون ومثاليون. ويمكننا أن نجعل منهم (آدميين) إذا استطعنا أن نأتى بهم لمحيط يحولهم إلى (آدميين)".

لقد أكد سيرانى على الهوية العربية لليهود العراق. ولكنه لم يفعل مثل كيبلينج فى مقولته الشهيرة: "الشرق شرق

والغرب غرب". فهو من ناحية يصف سماتهم وعاداتهم كعرب، ومن ناحية أخرى فإنه يحافظ على التمييز بينهم وبين العرب، فيحافظ على السمة اليهودية التي تجعل من هؤلاء منتسبين إلى القومية اليهودية وتفصلهم عن الأمة العربية، وتسمح بمصادرة تاريخهم وإحاقه بالتاريخ الصهيوني. ويجدر بنا الالتفات إلى الكيفية التي يقفز بها النص ذهاباً وإياباً بين "الهوية العربية" وبين "التمييز عن العرب". وسنلاحظ في الفقرة التالية كيف يعتبر يهود العراق عرباً:

"إن الواقع الذي يعيشه يهود العراق هو واقع عربي. فلا يمكن أن تجد هنا - كما هو الحال في مصر - طبقة بورجوازية يهودية تعيش وتتحدث بلغة أوروبية ولا تختلط مطلقاً بالمحيط العربي من حولها. إن كافة يهود العراق يتحدثون اللغة العربية. ولكي نفهم طبيعة يهود العراق لا يجب أن ننسى أن العراق كانت حتى عام ١٩١٧ البلد العربي الوحيد - إضافة إلى الجزيرة العربية - الذي لم يكن هناك أى اتصال بينه وبين أوروبا. وقد كانت مدرسة الإليانوس في حينها هي المؤسسة الأولى والوحيدة التي تنشر بعضاً من نور الثقافة في ظلمات بغداد".

يؤكد سيراني على الهوية العربية لليهود المحليين في العراق مع اعتراضه على "زيارة أبنائنا لمدرسة شبه يهودية، ولكنها تخضع للرقابة العربية، والهدف منها هو إكساب من يترددون عليها الهوية العربية بكل معنى الكلمة". ويقول: "لقد كان تعليم العبرية ممنوعاً منذ بضع سنين. وفي الآونة الأخيرة طالب المفتشون العرب في المدارس بأن يكون تعليم الكتاب المقدس باللغة العربية (رغم أنهم حتى الآن كانوا يقرأونه بالعبرية ويترجمونه للعربية). ولم يسمع أبناء هذه المدرسة "العبريين" مطلقاً عن الحاخام موشيه بن ميمون ولا عن يهودا هاليفي".

ولكن من ناحية أخرى فإن اليهود في العراق مختلفون عن العرب:

"رغم ذلك هناك فارق بين اليهود والعرب سواء في واقع الحياة أو في المجال اللغوي والثقافي. غير أننا نحن الغربيون لا نفهم هذا الفارق الطفيف دائماً. فهذا العالم الشرقي في نظرنا هو كتلة واحدة، ولكن شعور المحليين في هذا الشأن مختلف، وشعورهم هو الفيصل. حدث في بعض الأحيان أن تنزهت مع يهود محليين وسألتهم عن الأصل الذي ينحدر منه بعض من مروا أمامنا (فأنا لست قادراً في العراق على التمييز بين اليهودي والعربي والمسيحي ((٢)). وكان مرافقي يجيبني بيقين بمجرد أن يسمع اللمحة التي يتحدث بها الشخص أنه مسيحي أو يهودي أو عربي".

يجدر بنا أن نلتفت إلى أن هذا النص يعبر عن صوت الشرقيين - حتى لو كان هذا بشكل غير مباشر وعلى استحياء - وهو ما تفتقر إليه بشدة كافة النصوص التي عرضت لها في هذا الفصل والتي كتبها العاملون في شركة سوليل بونيه. ورغم أن سيراني يعترف بالهوية العربية لهؤلاء اليهود إلا أنه ليس على استعداد للمخاطرة بتقبلها وبالتالي فإنه يبحث عن علامة فارقة تميز بين اليهود والعرب، يفترض وجودها ولكنه ليس قادراً دائماً على أن يصل إليها: "رغم هذا الاندماج في الحاضر العربي والثقافة العربية إلا أن اليهودي يشعر دائماً بأنه يهودي. فاليهودي يعيش كالعربي ويتحدث بطريقة العرب ويستخدم دعاباتهم، ورغم ذلك فهناك ما يميزه عنهم. فاليهودي يعرف أنه يهودي وأنه مختلف عن العربي. ولكن من الصعوبة بمكان أن نحدد ما هو وجه الاختلاف. فلا يوجد اختلاف واضح حتى بالمفهوم الاجتماعي. غير أن اليهودي يختلف بالتأكيد عن الفلاح وعن البدوي ولكنه لا يختلف عن الأفندي العربي (كان العراقيون يصفون أهل الحضر بأنهم أفندي). ورغم ذلك فهناك فارق بينهما". وبمعنى آخر فإن سيراني يصر على أن هناك فارق ولكنه ليس قادراً على تحديده.

لا يمكن قراءة كلام سيراني على أنه كلام مستشرق ينظر إلى الهوية نظرة تعال على الآخر الشرقي. فالهوية الشرقية كما تبدو من كلام سيراني غير محددة المعالم وتطمس الفارق بين الذات والآخر التقليديين في الفكر الاستعماري. وتستجيب أكثر لنظرية هومي بابا الذي لا يعتبر مصطلحات القوة الاستعمارية مصطلحات مطلقة وإنما "مصطلحات قائمة حول خلاف على خطوط الحدود". فمن وجهة نظر هومي بابا يعد "بناء الذات الاستعمارية في خضم الخطاب (على مستوى القول) واستخدام الذات الاستعمارية من خلال الخطاب (على مستوى بناء الأسطورة) أمران يتطلبان إظهار الفارق بشكل قاطع" (هومي بابا ١٩٩٤ ص ١٤٥). وهذا الفارق يطمس التمييز والتصنيف ويخلق عدم وضوح مستمر.

يواجه سيراني مصيدة مستحيلة. فالآخر هنا ليس الأسود في نظر الاستعمار التقليدي، ولكنه "واحد منا". وهو تصنيف ضروري وسط خيال متجانس صادر عن دعاة الهوية القومية. ومع ذلك فهذا "الآخر" كما يلاحظ سيراني ليس مثلنا تماماً. ولا يمكن أن ينطبق عليه الموقف الذي يصفه أي تصنيف من التصنيفات التي تضع الأنا في مواجهة الآخر. إن سيراني يتحرك فوق خط التماس. فهو يتقبل الهوية العربية ويرفضها في نفس الوقت، ويصف الشرقيين بأنهم جزء من الجماعة القومية، ولكنه يترك السمة التي ستتحول في وقت لاحق إلى تصنيف عرقي داخل الهوية الإسرائيلية. فالاختلاف الذي يتحدث عنه سيراني هو بطاقة دخول الشرقيين إلى الهوية القومية. غير أننا نجد في هذه الحيلة الخفية ثغرات في وجهة النظر القومية التي تؤمن بالوحدة والتشابه القومي الذي يتسم بالتجانس، وهو ما سأحدث عنه بتوسع في الفصل الرابع.

حاولت في هذا الفصل الإشارة إلى لحظة اكتشاف الحركة الصهيونية لليهود العرب ولا سيما يهود العراق وإيران. وتتيح لنا تلك اللحظة التي وصفتها بأنها نقطة الصفر الوقوف على السياق العام لاكتشاف اليهود العرب. وقد جرى هذا الاكتشاف في ظل واقع من الاستعمار المزدوج، الذي تشاركت فيه الحركة الصهيونية مع السلطات البريطانية في الشرق الأوسط. وقد أسهم هذا الواقع في توسيع إمكانيات العمل أمام الحركة الصهيونية وحدد التصنيفات المحتملة للحديث في المنطقة العربية. وكما أوضحنا في ظل هذه الظروف، لم يكن العمل الثقافي موجهاً لليهود العرب وحدهم، وإنما كان موجهاً للمبعوثين الصهاينة أنفسهم.

سوف يسمح لنا الفصل التالي بنظرة أكثر تركيزاً إلى مسألة هامة، وهي مسألة ديانة اليهود المحليين وطرق ربطها بالهوية القومية اليهودية. وكما سيتبين لنا فيبدو أن المبعوثين الصهاينة ذهبوا إلى الطوائف اليهودية المحلية باعتبارهم مبعوثين يمثلون رجال الدين من أجل جمع التبرعات للمراكز اليهودية في أرض إسرائيل/ فلسطين، وهي عملية معروفة من مئات السنين. أو على الأقل كانت هذه هي الطريقة التي نظر بها أبناء الطائفة اليهودية في المعابد والمؤسسات العامة إلى المبعوثين. كان المبعوثون العلمانيون يحاولون الوقوف على مدى تدين اليهود المحليين. وكانوا يبلغون قيادة الاستيطان اليهودي في فلسطين/ أرض إسرائيل بأن تدينهم ليس تديناً حقيقياً (بمعنى أنه لا يحمل الطابع الأوروبي). ونتيجة لذلك فقد كان المبعوثون يسعون إلى زيادة تدين اليهود العرب بل وإلى إثارة الحنين الديني لديهم. وسوف أتوقف عند سلسلة التناقضات التي أفرزها هذا الواقع؛ حيث ذهب مبعوثون علمانيون إلى المنطقة العربية على أنهم مبعوثون يمثلون رجال الدين، ووجدوا ممارسات دينية لدى الطوائف المحلية، وأبلغوا بأن تدينها ليس حقيقياً. وقد كانت محاولة خلق الحنين الديني لدى اليهود المحليين هي نفس محاولة إيجاد الفارق بينهم وبين العرب التي تحدث عنها أنتسو سيراني. فهذا الفارق هو الذي سيجعل اليهود المحليين يهوداً وليس عرباً. وقد أتاحت هويتهم اليهودية التي ستتجلى بوضوح في ديانتهم وجود مساحة للتصرف أيضاً من أجل وصف هويتهم القومية هي الأخرى بأنها يهودية.

هوامش:

- ١ - إدارة الشؤون الخارجية هي الإدارة التي نشأت بتطويرها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد قيام دولة إسرائيل.
- ٢ - يتحدث المذكور عن اليهودي والمسيحي والعربي على اعتبار أن العربي من وجهة نظر أغلب الإسرائيليين يعني المسلم أيضاً وبالتالي فإنهم يعتبرون الإيرانيين عرباً ويعتبرون يهود إيران من اليهود العرب.

◆ دراسات ◆

٣

وحدة شاكيد

الوقاية والأمن الجارى فى تاريخ الجيش الإسرائيلى

دارنشر "حيمد" - ١٩٩٤

(الفصل الثامن): حرب الأيام الستة (١٩٦٧)

بقلم: أورى ميلشتاين ودوف دورون - ترجمة وإعداد: مصطفى الهوارى

١ - الفتح:

كان أحد أهداف عملية "قادش" (حرب سيناء ١٩٥٦) هو تصفية قواعد الفدائيين فى قطاع غزة وفى شرق شبه جزيرة سيناء، كان يبدو أن من خططوا لهذه العملية لم يدركوا أن محاربة الجيش النظامى للإرهاب من شأنها أن تزيد الإرهاب وتخلق أنماطا جديدة له، وذلك لان الإرهاب هو وسيلة قتال ينتهجها الأدنى كفاءة من الناحية العسكرية. لم يقتصر الأمر على أن مسئولى الأجهزة الأمنية والعسكرية فى إسرائيل لم يضعوا فى اعتبارهم عند اتخاذ القرارات "الحركة السرية الأسبانية" - أى الإرهاب الأسباني ضد سلطات الاحتلال بزعامة نابليون فى أوائل القرن التاسع عشر - بل إنهم لم يضعوا فى اعتبارهم أيضا تأثير العمليات الإرهابية التى كانت تقوم بها منظمتا "إتسل ولحى" على قرار بريطانيا بالتخلي عن حكمها لأرض إسرائيل (فلسطين) فى عام ١٩٤٧. وبدلا من تصوير المخربين الفلسطينيين فى صورة لا أخلاقية كان من الأجدى لقادة دولة إسرائيل وقادة جيشها أن يدرسوا جيدا ظاهرة حرب الإرهاب من أجل تطوير أساليب مكافحتها. إلا أنهم لم يعملوا من أجل ذلك، لا بعد قيام الدولة ولا بعد حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧) ولا بعد اندلاع الانتفاضة. ولذلك فإن العمليات التى كانت تهدف إلى القضاء على الإرهاب أو الحد منه، لم تؤد سوى إلى تشجيعه، سواء على المدى المنظور أو على المدى الطويل.

حتى ما قبل عملية "قادش" كان الإرهابيون الفلسطينيون يعملون لحساب المخابرات المصرية والأردنية والسورية، كما اكتسبوا خبرة كبيرة وافرزوا قيادات. فى ذلك الحين لم تكن لهم أى فرصة لشن حرب إرهاب مستقلة ضد دولة إسرائيل، حيث كانوا آنذاك فى طور التكوين، وكانت مرحلة الإرهاب والنضوج بمثابة المدرسة التى تعلموا فيها تمهيدا لبدء مرحلة الاستقلالية. وبعد عام ١٩٥٦ تنامت قوة الحركة القومية الفلسطينية، التى تعتمد على الإرهاب الداخلى والخارجي. كان الإرهابيون الفلسطينيون قد أصبحوا مستقلين، رغم أنهم كانوا لا يزالون فى حاجة إلى دول راعية وإلى دعم مالى، وناوروا بين الدول العربية وحققوا فائدة من هذه المناورات. وخلال حرب سيناء (١٩٥٦) بدأت مسيرة أدت فى نهاية الأمر إلى إقامة منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت بمثابة المنظمة الأم لجميع العناصر الإرهابية، واعتبرها الزعماء العرب والرأى العام العالمى وكثير من الإسرائيليين أنها الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى.

تأسست منظمة "فتح" الإرهابية فى غزة عندما كانت خاضعة للحكم الإسرائيلى، وبعد انتهاء عملية "قادش" مباشرة (بين عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٧) وكان ياسر عرفات هو أشهر شخصية فى هذه المنظمة.

كان عرفات من مواليد القدس (يبدو أنه كان أحد رجلين رافقا عبد القادر الحسينى قائد عرب القدس أثناء زيارته للكاستل فى الثامن من أبريل ١٩٤٨، التى لقي مصرعه خلالها). وبعد حرب ١٩٤٨، درس عرفات الهندسة فى مصر، وكان أول رئيس لمنظمة الطلبة الفلسطينية (كان أبو جهاد وأبو إياد عضوين فى هذه المنظمة)، كم تدرب فى

أحدى الكليات العسكرية المصرية، وشارك في حرب سيناء كضابط برتبة ملازم أول. بعد ذلك انتقل إلى الكويت وشكل هناك الطاقم الذي أسس منظمة "فتح" وفي عام ١٩٦٤، عقد في زيوريخ اجتماعا لمجموعة من الفلسطينيين اتخذت قرارا بشن حرب إرهابية ضد إسرائيل، ثم سافر بعد ذلك إلى سوريا وانشأ فيها مقر المنظمة. وذات ليلة عبر نهر الأردن وصعد إلى قمة جبل في منطقة نابلس وأطلق النار في الهواء من طبنجته وأعلن عن "بدء الجهاد". وفي ١ يناير من عام ١٩٦٥ قام أعضاء "فتح" بتخريب خط لمياه الرئيسي، وصدر البيان العسكري رقم ١ لهذه المنظمة. ومنذ ذلك الحين يحتفل أعضاء "فتح" بذكرى الأولى من يناير بشن عمليات إرهابية. ففي ١ يناير من عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ تم قصف بيت شان وكريات شمونا.

في ١٢ نوفمبر ١٩٦٦ شن رجال المظلات والمدرمات الإسرائيليون هجوما على قرية سموع في جبل الخليل، وكانت سيارة عمليات يستقلها أفراد مظلات إسرائيليون بالقرب من عاراد قد اصطدمتا قبل يوم من هذا التاريخ، بأحد الألغام ولقى ثلاثة منهم مصرعهم، كانت هذه هي العملية التخريبية التاسعة في ذلك العام، وانطلق منفذوها من جبل الخليل. وقد كانت قرية سموع بالضفة الغربية (التي كانت خاضعة للسيادة الأردنية آنذاك) هدفا للعملية الانتقامية لأن المخربين من أعضاء "فتح" انطلقوا منها لتنفيذ عملياتهم، رغم أن قاعدتهم كانت في سوريا.

وقد هب الجيش الأردني لمساعدة القرية التي تعرضت للهجوم، وحدث صدام بين مقاتلي الجيش الإسرائيلي والجيش الأردني الذي أصيبت طائراته، وقد قال رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول: كنا نقصد الحماية (سوريا) فأصبنا العروس (الأردن). نتج عن ذلك أن حقق المخربون هدفين: توجيه ضربة لهدف إسرائيلي والتسبب في توتر العلاقات بين إسرائيل والأردن كانت هناك أسباب كثيرة لنشوب حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧)، ومن بينها معركة قرية سموع.

٢ - توالد الحرب:

يسبق كل حروب إسرائيل إرهاب وعمليات مضادة للإرهاب وعمليات مضادة للعمليات المضادة للإرهاب. وكان الهدف من تشكيل وحدة "شاكيد" هو الحد من هذه الاحتكاكات، إلا أن مسئولى الأجهزة الأمنية والعسكرية لم يوفر لها الإمكانيات الكافية، ولم يوسعوا نشاطها إلى كل أنحاء البلاد ولم يشكلوا وحدات مشابهة لها. كانت معظم العمليات الإرهابية في الستينيات تنطلق من الضفة الغربية التي كانت ضمن الأراضي الأردنية آنذاك، وكانت العمليات الانتقامية التي يشنها الجيش الإسرائيلي موجهة ضد الأردن. وردا على العمليات الانتقامية كانت تجرى عمليات إرهابية أخرى، وردا عليها اتسعت العمليات الانتقامية، وتزايد عدد الداعين للحرب سواء في إسرائيل أو في الدول العربية.

كانت "المعركة من أجل المياه" على حدود سوريا تمثل بؤرة أخرى للاحتكاكات العنيفة. كانت الدول العربية قد بدأت قبل حرب الأيام الستة في تنفيذ مخطط لتحويل مياه نهر الأردن إلى سوريا وإلى المملكة الأردنية، وكان الجيش الإسرائيلي يشن من حين لآخر هجمات ضد العمال ويدمر معداتهم. وقد تم إسقاط طائرات سورية خلال التراشق بين المدفعية والمعارك الجوية. وخلال حديث للصحافة في عام ١٩٦٧ قال رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين أن إسرائيل ستسقط النظام السوري العميل للسوفيت إذا لم يكف عن استفزازها، وقد اعتبر الاتحاد السوفيتي هذا التهديد بمثابة دليل على وجود مؤامرة أمريكية - إسرائيلية، وأبلغ الرئيس المصري جمال عبد الناصر بهذا الاستنتاج. كان الجيش المصري آنذاك مشغولا بالحرب في اليمن، وكان عبد الناصر يعتقد أن إسرائيل لا تخطط لشن حرب، إلا أنه لم يعلن عن ذلك. لقد حظى عبد الناصر بشعبية كبيرة في مصر والعالم العربي بفضل تصريحاته التي كان يقول فيها إن إسرائيل الاستعمارية ونصيره الحرب قد تعتدى على الدول العربية ولذلك يتحتم على الدول العربية أن تكون مستعدة لإسرائيل بزعامته. ومن منطلق تصريحاته أرسل عبد الناصر قوات عسكرية ضخمة إلى صحراء سيناء - رغم أنه لم يكن يعتزم شن هجوم ضد إسرائيل أو دفعها إلى شن هجوم - ورد مراقبو الأمم المتحدة الذين كانوا يفصلون بين الجيشين الإسرائيلي والمصري على الخطوة التي اتخذها عبد الناصر بمغادرة شبه جزيرة سيناء (بتعليمات من أوثانت الأمين العام للأمم المتحدة). تخوف الكثير من الإسرائيليين من احتمال تعرض الجيش الإسرائيلي للهزيمة في الحرب الوشيكة والقضاء على دولة إسرائيل، أو على الأقل سقوط عشرات الآلاف من القتلى في صفوفها من أجل تحقيق انتصار باهظ الثمن. وقد أدت الأنباء التي تتحدث عن هذه الحالة المعنوية في إسرائيل إلى تزايد الرغبة لدى زعماء الدول العربية في شن الحرب. لم تسارع الحكومة الإسرائيلية برئاسة ليفي أشكول إلى اتخاذ أي إجراء، وأصيب رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين بالانهيار.

خلال الأسابيع الثلاثة التي سبقت حرب الأيام الستة (فترة الانتظار) تدفقت قوات عسكرية كبيرة، مصرية وسورية، نحو الحدود، واتخذت مواقع دفاعية وأغرت الجيش الإسرائيلي على مهاجمتها. كما خطط المصريون لدخول النقب وتدمير المفاعل الذري في ديمونا و"شطر" إسرائيل إلى قسمين.

٣ - الانتظار:

روى يشعياهو جافيش: علمت بالتعزيزات العسكرية المصرية فى سيناء يوم ١٥ مايو ١٩٦٧، الذى وافق يوم الاستقلال، عندما كنت أشاهد العرض العسكرى فى أستاذ الجامعة بالقدس. وعلى الفور توجهت إلى بئر سبع وعقدت اجتماعا لأعضاء هيئة الأركان. ذكرنا أحدهم بعملية "روتيم" فى عام ١٩٦٠، عندما حشد المصريون قوات ضخمة على طول الحدود وتأهبنا فى مواجهتهم بقوات غير كبيرة على طول الحدود، وبعد بضع شهور انسحب المصريون وانتهت الأزمة. كنا نعتقد أن هذا ما سوف يحدث هذه المرة.

كانت قوتنا الرئيسية هى وحدة شاكيد. طلبت من هيئة الأركان العامة الدفع فورا بكتيبة الدبابات رقم ٥٢ إلى النقب، وتعبئة لواءى احتياط وإرسال أحدهما إلى المنطقة المواجهة لقطاع غزة والآخر إلى المنطقة المواجهة لنيطسانا. عارض الكثيرون من أعضاء هيئة الأركان العامة اقتراحي، وقال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أهرون ياريف أن المصريين متورطون فى اليمن ولذلك لن تكون هناك حرب. فى المقابل، أصدر رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين أوامره بنقل الكتيبة ٥٢ إلى قيادة المنطقة الجنوبية، لم يتم تعبئة لواءى الاحتياط على الفور، ولكن تم التجهيز لتعبئتهما. لم تكن الحماية متوفرة للحدود الجنوبية، وكان معظمها خاليا، ولم تكن بها تحصينات أو عوائق، كنت أخشى أن نصحو فى الصباح لنجد الدبابات المصرية فى بئر سبع، وقد قال بعض أعضاء هيئة الأركان العامة إن لمصريين سيصلون من قناة السويس إلى الحدود فى ثلاثة أيام، وقال البعض الآخر أن تكفيهم أربع وعشرون ساعة: سوف يسيرون فوق دروب الدبابات، فلماذا لا يصلون؟..

بعد ظهر يوم ١٦ مايو تلقينا موافقة بتعبئة لواء واحد، بقيادة يساكر شدمي، وبعد بضعة أيام استدعينا اللواء الذى يقوده إلحانان سيلع. كثف المصريون تشكيلاتهم الدفاعية على طول الحدود بوحدات مدرعات ومشاة ومدفعية انضمت إلى بعض الفرق، كان من الواضح أن هذه ليست مناورة، كما تحركت قوات كبيرة من الجيش المصرى فى اتجاه الحدود.

كانت هناك مناقشات فى هيئة أركان قيادة المنطقة حول ما إذا كان يجب الاستعداد لصد هجوم مصرى أو مهاجمة الجيش المصرى قبل وصوله إلى مواقعه، أو الانتظار حتى ينتشر معظمه فى سيناء ثم تدميره. استمرت هذه المناقشات إلى أن نشبت الحرب. خلال هذه الأسابيع الثلاثة شاب شعر رأسى.

بعد أن أغلق عبد الناصر مضائق شرم الشيخ أمام الملاحه الإسرائيلية فى ١٢ مايو، وبعد رحيل مراقبى الأمم المتحدة عن قطاع غزة وعن الحدود، تناقشنا بشأن ما إذا كان يجب إلحاق الهزيمة بالجيش المصرى عن طريق حرب شاملة أم فقط احتلال شرم الشيخ أو قطاع غزة كورقة مساومة للتفاوض ومطالبة المصريين بالانسحاب إلى ما وراء قناة السويس. كان أعضاء هيئة الأركان العامة يخشون الدخول فى مواجهة مع الجيش المصرى. تمركزت ثمانية تشكيلات مصرية فى سيناء، بينما لم نستطع أن نحشد فى مواجهتهم سوى ثلاثة تشكيلات. وكان لدى المصريين ألف دبابة فى حين لم يكن لدينا إلا ثلاثمائة وخمسون فقط. كان أعضاء هيئة الأركان العامة يأملون أن تتدخل الدول الكبرى إذا احتلنا شرم الشيخ أو قطاع غزة، وتخرجنا من المستقع. على حين كان الساسة يأملون أن تتدخل الدول الكبرى قبل وقوع أى عملية عسكرية.

كان أعضاء هيئة أركان قيادة المنطقة الجنوبية وقادة التشكيلات الثلاثة - إسرائيلى، أفراهام يافيه وآريئيل شارون - يعتقدون أيضا انه لا مخرج من الأزمة سوى الحرب، وأنه يتحتم على الجيش الإسرائيلى أن يضرب الجيش المصرى بقوة. وقد اقترح رئيس هيئة الأركان العامة إعطاء فرصة للعملية السياسية، وبناء على ذلك لم ترد فى أمر الحرب الصادر عن هيئة الأركان العامة سوى المرحلة الأولى فقط: احتلال شرق سيناء، ثم نرى ما سيطرأ من تطورات. وفقا لما صدر عن هيئة الأركان العامة كان علينا أن نصل إلى خط رفح - العريش - جبل لبنى - نيتسانا. كنا نحن - أعضاء قيادة المنطقة الجنوبية - قد خططنا سلفا لاحتلال كل شبه جزيرة سيناء، وكنا واثقين من النجاح فى ذلك. وخلال النقاش مع الحكومة طلب قادة التشكيلات شن الحرب فورا، ولكنى قلت إن أى انتظار آخر سيتسبب فى أن نتلقى الضربة الأولى، وقد أدركت فيما بعد أننا كنا نمتلك ميزة كبيرة لأننا هاجمنا متأخرين بعض الشيء، فقد أصبح معظم الجيش المصرى فى سيناء واستطعنا هزيمته.

على أى حال، طلبنا آنذاك أن نكون البادئين بالهجوم وألا تنتظر حتى يكونوا هم أصحاب المبادرة. سألنا أنفسنا عما إذا كان المصريون مستعدين لصد الهجوم أم أنهم يخططون لشن هجوم. وقد قادنا انتشار القوة التى يقودها اللواء الشاذلى فى مواجهة متسبيه رامون، إلى الاستنتاج بأنهم يعتزمون الهجوم وعبور النقب، لأن من يضع قوات بمثل هذا الحجم فى ذلك القطاع من المؤكد انه يرمى إلى الهجوم. كما كان هناك أيضا احتمال بشن هجوم مصرى من مشارف رفح، وبالفعل فقد عثرنا فى الوثائق التى غنمناها على أدلة تعزز هذا التكهّن.

لم يشارك مقاتلو "شاكيد" إلا قليلاً في حرب الأيام الستة. كان هؤلاء المقاتلون مهياًون فقط للقيام بعمليات كومانندو خاصة، إلا أن الجيش الإسرائيلي لم ينفذ تقريباً عمليات من هذا النوع خلال الحرب. كما أن وحدة المظليين ووحدات خاصة أخرى لم تستخدم في الحرب. وكانت هيئة الأركان العامة قد خططت للقيام بإغارات ليلية، ولكن بعد أن دمر سلاح الطيران الإسرائيلي الطائرات المصرية وهي رابضة على الأرض تم إلغاء هذه المهمة، ولأن الجيش المصري انهيار بسرعة فقد رأى قادة الجيش الإسرائيلي عدم تعريض الوحدات الخاصة للخطر بتكليفهم بالمهمة الأولى. وظل أفضل مقاتلي الجيش الإسرائيلي عاطلين خلال حرب الأيام الستة.

عندما نشبت الحرب قادت القوة التي يتولى قيادتها إيلي ملمييد وحدات الناحال في الطريق إلى موقع أم كتف. وبعد احتلال الموقع طارد ملمييد ومقاتلوه - في إطار الكتيبة التي يقودها تابور - دبابات ومدركات مصرية داخل سيناء. وفي أحد قطاعات الطريق انضمت حاملتا جنود مدرعتان مصريتان إلى الطابور الإسرائيلي، سواء بطريق الخطأ أو بغرض التخفي، وتمت تصفيتهما على الفور. روى ملمييد: "كنا نسير على الجانب الأيسر لقوات شارون، وكانت مهمتنا الأولى هي نصب كمين للمصريين المنسحبين من أم كتف. وقد نصب خمسون فرداً كميناً للمصريين عند سفح الجبل، على مسافة مائتي متر أو ثلاثمائة من طريق القسيمة - أم كتف، واختبأت الدبابات على جانب الطريق ومدافعها موجهة إليه. دمرنا كل قوة مصرية تدخل هذه المصيدة. كان هذا يبدو كأحد مشاهد الأفلام. وصل الكثير من المصريين وشاهدوا تصفية زملائهم، ورغم ذلك دخلوا المصيدة". كما قال أمنون شيلوني: "تسببت المركبات المحترقة والقتلى والجرحى المصريون في إغلاق الطريق. لم نمسك بأسرى. كنا نسير بمركباتنا ونطلق النار يميناً ويساراً".

ذات يوم وصلت سيارات الجيب التابعة لوحدة "شاكيد" إلى منطقة كانت قد تعرضت لقصف المدفعية المصرية. قال قائد الفصيلة داني أنكر لأمنون شيلوني: "أسرع ورد على النيران". كان بالمركبة نصف المجنزرة التي يستقلها شيلوني مدفع هاون عيار ٥٢ ملميمتر ويبلغ مداه نحو ثلاثمائة متر، في حين كانت المدافع المصرية تبعد مسافة أربعة كيلومترات. لذلك قال له شيلوني: "لا يمكن إطلاق النار، ماذا تريد مني؟". أصر أنكر على قراره وقال: "ابدأ في إطلاق النار". وقد جذبت نيران الهاون انتباه المصريين فأطلقوا النار على المركبة نصف المجنزرة فاقتبأ أفرادها داخل أحد الوهدين حتى وصلت إليهم مركبات نصف مجنزرة من وحدة أرييه تابور وساعدتهم على النجاة. بعد ذلك قامت الطائرات الإسرائيلية بتدمير المدافع المصرية، واستؤنف التحرك إلا أن الوقود نفذ من المركبات والدبابات، فاستخدموا لبعض الوقت وقوداً حصلوا عليه من المركبات المصرية المصابة إلا أنهم توقفوا بعد ذلك في منطقة بير تماده.

روى ملمييد: "بعد الحرب تم تكليفنا بمهمة رهيبة تتمثل في تصفية المصريين الذين كانوا يحومون في المنطقة ويعرضون حياة الجنود الإسرائيليين للخطر. قال لي رجالي: لا نستطيع القيام بهذا، هذا ليس من سماتنا". وروى بيني تلمي: "وجدنا جنوداً بالملابس الداخلية، كان مظهرهم يثير الشفقة، ولم نستطع تصفيتهم. كان يجلس بجوارى جندي يرتعد، وقد أطلق النار ولكن في الهواء حتى لا يصيب أحداً".

طلب ملمييد من شارون السماح لمقاتليه بالتوقف عن تطهير المنطقة. وفي قيادة أركان شارون قال له حاييم ديم: "لن ننتصر على المصريين إلا إذا أبادناهم جميعاً، لا يجب أن ننهى الحرب بتهريبهم إلى مصر". إلا أن رد شارون كان مختلفاً. روى بيني تلمي: "قال ملمييد لشارون إن المقاتلين يرفضون القتل فرداً قاتلاً: للمرة الأولى في حياتي أوافق على رفض أمر عسكري". تم إلحاق سرية ملمييد باللواء ١٤ الذي يتولى قيادته موشيه مان، وكان يقوم بدوريات استطلاع على طول قناة السويس.

دخلت القوة التي يقودها فؤاد وعاموس يركوني إلى سيناء على رأس اللواء ٨، قال بوغز فيكلاني: "لم يكن هذا النشاط ذا شأن كبير، فقد قام سلاح الطيران بالمهمة قبل وصولنا. قمنا بدوريات استطلاعية ووقعت بعض الاشتباكات بيننا وبين قوات مشاة مصرية، إلا أنه لم تتشب معارك حقيقية، كل ما فعلناه هو التقدم بسرعة للأمام".

٥ - اشتباك في الكونتيل:

انضم باتسي، ضابط الاحتياط الشاب، إلى القوة الجنوبية التابعة لوحدة "شاكيد" بقيادة فؤاد، وكانت متمركزة في تسنيفيم. قام باتسي بتركيب رشاش عيار ٢,٠ ملميمتر فوق سيارة العمليات وملأها بالذخيرة وقام بدوريات استطلاع فيما وراء الحدود "كالأحمق"، على حد تعبيره. روى باتسي: "كنت ألاحق المصريين، بمفردي أو برفقة سيارة عمليات أخرى. في اليوم الثالث للحرب كلفني فؤاد بإحدى المهام". أرسل فؤاد كلا من باتسي وبوغز فيكلاني إلى جبل عوجن بمنطقة الكونتيل لمراقبة الموقع المصري الكبير والإبلاغ عما إذا كانت قوات اللواء ٨ قد احتلته أم أنه مازال تحت سيطرة المصريين. استقل باتسي ومقاتلوه سيارة العمليات واستقل فيكلاني ومقاتلوه سيارة جيب. ومن وادي جيرافي

راقبوا موقع الكونتيللا. روى باتسي: "قال لى المقاتلون الذين يستقلون سيارة العمليات: أولئك الذين يرتدون الملابس غير الداكنة مصريون. قلت لهم: هراء، إنهم أفراد احتياط إسرائيليين. وواصلت طريقي. عبروا الوادى ثم شاهدت مئات الجنود ينظرون إلى فى دهشة، وكنت لا أزال أجادل بيرد (يوفال دافير). كان يقول لي: هؤلاء مصريون، ولم أكن أوافقهم على ذلك. وصلنا حتى مسافة ستين متراً منهم، عند مشارف حقل ألغام".

كان المصريون هم أول من أفاقوا على الحقيقة. وقد أطلقت النيران من عشرات الأسلحة الثقيلة والخفيفة صوب السيارتين الإسرائيليتين. قال باتسي لسائق سيارة العمليات: "تمهل فى سيرك، إذا قفزت السيارة سوف تتفصل البطارية ونتوقف". قال السائق: "ربما نطوقهم وننقض عليهم من الجانب..؟". إلا أن اقتراحه قوبل بالرفض وعادوا للوحدة. كان بالموقع آنذاك ألف جندي مصري بقيادة اللواء حسن على (فيما بعد تولى رئاسة الحكومة المصرية).

فى اليوم التالى وصل إلى منطقة الكونتيللا طابور إسرائيلي من اللواء ٨، على رأسه فصيلة من "شاكيد" بقيادة موكى بتسر الذى روى الأحداث بقوله: "كان الكونتيللا هو أول موقع نشتبك معه خلال تقدمنا داخل سيناء. كانت الطائرات الإسرائيلية التى قصفت الموقع قد أطلقت النار علينا أيضاً. قمنا بحركة التفاف بسيارات الجيب وهاجمنا الموقع. كما انقضت فصائل أخرى على الموقع بعد أن سمعت أصوات إطلاق النار. لم يكن فى موقع الكونتيللا سوى عدد قليل من المصريين، فقد فر معظمهم خلال الليل. كانت هذه هى أول معركة نخوضها".

روى الرقيب أول أوريثيل كادوش: "كنت أنقل ذخيرة وإمدادات ومياه. وكان المصريون قد أفاقوا من المفاجأة الأولى وأطلقوا النار على القافلة. كنت أرافق عشر شاحنات وسيارة جيب، ولكنى وصلت إلى نخل بخمس سيارات فقط. كان كل من يقاتلنا يلقي مصرعه". واصلت قافلة كادوش طريقها على مدى ثلاثة أيام حتى وصلت إلى نقطة تجمع الكتيبة فى نخل، حيث اقتاد مقاتلو "شاكيد" أسرى مصريين من قوات المشاة بالإضافة إلى طاقم دبابة.

رداً على سؤال بشأن عدم تكليف وحدة "شاكيد" بدور فعال خلال حرب الأيام الستة، أجاب قائد قيادة المنطقة يشعياهو جافيش: "كان لدى ثلاثة تشكيلات، ولم يكن فى الخطة مجال للاستخدام الخاص لكتيبة مشاة".

نجا عاموس يركونى من الموت بأعجوبة. يروى عوديد نافى عن ذلك بقوله: "كنا نستقل السيارات على الطريق الجنوبي، وشاهدت جنوداً مصريين فأخذت أصيح: هناك أشخاص أمامنا. دخل عاموس إلى سيارتى وأمرنى بالتقدم للأمام ووراء أحد التلال طلب منى التوقف وقال لي: سوف نفتش المنطقة - أنا من اليسار وأنت من اليمين وفجأة خرج مصريان من بين الشجيرات وصوبا سلاحيهما نحونا. صرخت محذراً عاموس فأطلق النار على الفور. لقي أحد المصريين مصرعه واستسلم الآخر".

٦ - تصفية أفراد من الكوماندو:

تم تكليف إحدى مجموعات "شاكيد"، بقيادة البدوى سمحا الهيب، بالتوجه إلى حدود قطاع غزة وإزالة الألغام والإمساك بالجنود المصريين والمخربين الفلسطينيين الذين فروا إلى الأراضي الإسرائيلية. روى الهيب: "فى ٨ يونيو خرجنا فى مهمة استطلاع بسيارة العمليات، وكنا مجموعة كاملة. وفى الساعة التاسعة صباحاً تعقبنا آثار خمسة من أفراد الكوماندو المصريين غربى كيبوتس دوروت. انفصلت الآثار إلى مجموعتين فطلبت تعزيزات. كانت هناك مغارة فى أحد الوديان، فى مكان غير بعيد عن كيبوتس روحما. عندما اقتربنا من المغارة انهالت علينا النيران من عدة أسلحة، معظمها أسلحة روسية، وخلال تبادل إطلاق النار أصيب الجندي يتسحاق (إيتسيك) مستبوي، فصرخ ينادى المسعف. أسرع إليه المسعف رافى كاتس فأصيب بعدة طلقات فى كتفه. ظلت يده معلقة ولكنه واصل الجري، ووصل إلى إيتسيك وأسعفه بيده السليمة، فى أرض مكشوفة تحت وابل من الطلقات. أصابت إحدى الطلقات رأس رافى فسقط قتيلاً، وأصابت طلقة أخرى إيتسيك. بعد ذلك وجدت جثتيهما وقد أمسك كل منهما بيد الآخر. تمكنا خلال تبادل إطلاق النار من قتل أحد عشر جندياً مصرياً. تم إرسال سيارة عمليات لإغلاق طريق الانسحاب أمام أفراد الكوماندو الذين مازالوا على قيد الحياة، واقتحمنا المغارة وقتلنا ثلاثة مصريين آخرين. كما تمكّن المقاتلون الذين استقلوا سيارة العمليات من قتل ثلاثة من مقاتلي الكوماندو المصريين، وأصابوا تسعة وأسروا تسعة آخرين. حصلنا على غنائم تتمثل فى خمسين قطعة سلاح".

منح رئيس هيئة الأركان العامة يتسحاق رابين وساماً لرافائيل كاتس بعد موته، كما حصلت أسرته فى عام ١٩٧٠ على وسام الشجاعة "لأن العريف رافائيل كاتس أظهر بطولة خلال أداء مهمته القتالية وضحي بحياته".

٧ - عمليات تصفية بعد الحرب:

عد الحرب، جمع مقاتلو "شاكيد" الأسرى فى منطقتى نخل ومتلا. كما تم إرسال عشرين من أفراد "شاكيد" إلى العريش لرصد وتصفية كتيبة فدائيين فرت من قطاع غزة واختبأت فى منطقة الكثبان الرملية بين رفح وبحيرة البردويل. روى موكى بتسر: "بعد تطهير قرية نخل أرسلونا بالمركبات إلى مرتفعات الجولان. كنا مرهقين للغاية، ولكنها

الأوامر. وعندما وصلنا إلى بئر سبع تلقينا بلاغاً من قيادة المنطقة الجنوبية بإلغاء مهمتنا في مرتفعات الجولان، وبتكليفنا بمهمة جديدة هي تصفية قوات كومانندو مصرية وفلسطينية تقوم بنشاط حول العريش".

استقل عاموس يركوني طائرة وحلق بها فوق منطقة الكثبان الرملية وشاهد هناك بعض الحفر. هبطت بالقرب من الحفر مروحيتان من طراز "سيكورسكي" وطائرتان خفيفتان، وأطلق المقاتلون الذين كانوا يستقلون المروحيتين النار على المصريين المختبئين داخلها. روى فؤاد: "تلقينا تعليمات بالإبقاء على حياة قائد الكتيبة المصرية فقط. إلا أنني شعرت بأن رجالى سيجدون صعوبة في تنفيذ المهمة، لذلك غيرت التعليمات وطلبت منهم السماح بالهرب لكل مصرى لا يقاوم ولا يطلق النار. وعندما أبلغونى بأن هناك مجموعة تهرب لم أرسل من يلاحقونها. كل من وصل إلى الشاطئ نجا، وقام أفراد الناحل بتجميعهم".

قال باتسي: "قتلنا خمسين فلسطينياً كانوا مسلحين". كما قال آرييه شيفمان: "كنا نطلق النار على المسلحين الذين كانوا في كثير من الأحوال يردون على النار. كانت هذه سلسلة اشتباكات".

قال يهودا ملميد: "عندما كنا نتلقى بلاغاً بوجود مصريين في الرمال، كنا نهبط بالطائرة بالقرب منهم ونصفيهم. كان بعضهم يحمل سلاحاً، وربما كان البعض الآخر قد خبأوا سلاحهم في الرمال عندما شاهدونا. قتلنا ما لا يقل عن مائتين وخمسين مخرباً خلال ثلاثة أيام".

وقال يركوني: "لم نمس الجنود المصريين الذين استسلموا بأى سوء، وقد أصدرت أوامرى بعدم المساس بهم. انتزعنا منهم أسلحتهم وفي حالة توفر المياه لدينا كنا نسقيهم، وفي حالة عدم توفره كنا نطلب منهم أن يتصرفوا بأنفسهم. ربما يكون الكثيرون منهم قد ماتوا عطشاً في الطريق إلى القناة".

ويروى ياريف جرشوني: "كنا مضطرين لتصفيتهم حتى لا يكونوا طابور خامساً في قطاع غزة. كانت الطائرات الخفيفة "فايبر" تكتشف أماكنهم وتبلغ المروحية. لقد انتابنا الغضب بسبب مقتل رانى ماركس الذى كان يسير بجوار شاحنة تحمل أسرى فأطلق أحدهم النار عليه من الخلف وأرداه قتيلاً. كنا نقتل دون أى وخز من ضمير. لم يكن يدر أى جدل حول هذا الموضوع إلا بعد انتهاء العملية".

كما روى عوديد نافي: "كان الهاربون يرتدون البيجاما. عندما كنا نرى شباباً أصحاء يرتدون البيجاما كنا ندرك أنهم جنود أو فدائيون. بعد سنوات قال لى أحد المصريين: كل جندي يتطوع في جيش التحرير الفلسطيني كانت أمه تعطيه بيجاما لاستخدامها عند الحاجة وتقول له: عندما يأتى اليهود إلق الزى العسكرى والسلاح وارثد البيجاما".

٨ - وداع عاموس يركوني:

بعد أيام من انتهاء الحرب تم إرسال سرية من "شاكيد" إلى غزة، وسرية أخرى إلى قناة السويس، كما تم إرسال قوة إلى عرافا، ثم انتقلت في وقت لاحق إلى غور الأردن. كما تم تسريح أفراد الاحتياط والتحق بعضهم بالجيش العامل. تم تكليف ياريف جرشوني بمهمة خاصة. ويقول عن ذلك: "وضع قادة الوحدة تحت تصرفى بعض الجنود وشاحنتين روسيتين كانتا ضمن الغنائم، وطلبوا منى دخول قطاع غزة وإحضار معدات من قاعدة الأمم المتحدة في رفح، لاستخدامها في نادى الوحدة. كانت على الطريق حواجز نصبتها الشرطة العسكرية لمنع نقل غنائم الحرب، وكنا نعرف أساليب أفراد الحواجز كما كنا على دراية بكل الطرق. كنا نتسلل ليلاً إلى قطاع غزة ونسلك طريقنا عبر حقول الألغام. وعندما أنهينا مهمتنا أصبح النادى يحتوى على ألتى بيانو وعدد كبير من المقاعد المذهبة المكسوة بالقطيفة. وكان النادى يبدو كأحدى دور البغاء في الإسكندرية".

غادر عاموس يركوني وحدة "شاكيد" بعد انتهاء الحرب بعد أن تولى قيادتها طوال ما يزيد على عشر سنوات (منها سبع سنوات تولى فيها قيادة "شاكيد" الصغيرة). ويروى عن ذلك بقوله: "بعد يومين من انتهاء الحرب قلت ليشعياهو جافيش: سيدي، لا أريد أن أكون قائداً. لقد أصبحت مصاباً ومن الصعب أن أكون قائداً ميدانياً. وقد عينونى حاكماً لسيناء، فعدت إلى الوحدة وقلت: أيها الأصدقاء سأغادر الوحدة صباح الغد. لقد توليت قيادتكم طوال الفترة السابقة، ومن الآن سيحل فؤاد محلي. تمت ترقيتى إلى رتبة المقدم وغادرت شاكيد".

قال رحيعام زئيفى (غاندي): "لقد وهب عاموس يركوني حياته للدولة، ولم يعرف بذلك سوى قلائل. الناس ترى أمامها رجلاً صغيراً يعرج في مشيته ولا يعرفون أنه بطل، وأنه عربى يحمل رتبة مقدم". فيما بعد اشتهر عاموس يركوني وذاع صيته عندما نال جائزة يجال ألون عن أدائه خدمة أمنية خاصة من أجل دولة إسرائيل.

وثائق

تقرير فينوجراد (الباب الثالث): بداية المعركة من ١٢ إلى ١٧ يوليو ٢٠٠٦

◆ تمهيد:

يتناول هذا الباب أحداث الحرب في الفترة الحرجة الأولى، اعتباراً من حادث الاختطاف الذي وقع صباح يوم ١٢ يوليو وحتى خطاب رئيس الوزراء أمام الكنيست في يوم ١٧ يوليو. يبدأ هذا الباب بالفصل الخامس الذي يتناول وصفاً تفصيلياً للأحداث في تلك الفترة. من الناحية المبدئية سنركز في هذا الفصل على المباحثات المصاحبة لصناعة القرار في الفترة الأولى للحرب، مع عرض شديد الإيجاز للإجراءات العسكرية الأساسية التي تم اتخاذها. وستأتى التفاصيل الكاملة لتلك الإجراءات العسكرية طوال الحرب بما في ذلك في الفترة الأولى في التقرير النهائي، الذي سنحلل فيه المعركة العسكرية من بدايتها إلى نهايتها. وقد توسعنا في وصف الجانب المتعلق بالمباحثات والمشاورات لأننا نعتقد أن أحد مهامنا الأساسية هو رسم صورة صادقة للأحداث والقرارات التي شهدتها الحرب حتى يقوم النقاش العام لها على أساس سليم يتم بناءً عليها استخلاص الدروس المستفادة.

وسنذكر في الفصل السادس تفاصيل المعايير التي نستند إليها في تقييم المعطيات.

وفي الفصل السابع سنعرض النتائج القائمة على المعطيات المتعلقة بأحداث الهجوم الأول. واستباقاً للأمور نقول إننا نؤكد أن قرارات الحرب قد شابتها أخطاء فادحة، بل وخطيرة. وسوف نبث العناصر والتطورات التي أدت لهذه الأخطاء والمسئولية الشخصية المترتبة عليها بالنسبة لبعض المسؤولين في القيادتين السياسية والعسكرية.

وسنورد في الفصل الثامن توصيات تتعلق بالمؤسسات تتناول الأخطاء الخطيرة التي تكشف في بداية الحرب، والتي تتطلب إصلاحاً سريعاً وكاملاً. كنا مترددين بالنسبة لقرار عزل الفترة الأولى للحرب وتركيز البحث على القيادات العليا خلال الحرب، نظراً

لأنه من الصعوبة بمكان وصف الأحداث التي صاحبت بداية الحرب واتخاذ موقف منها دون الحديث عن الطريقة التي تطورت بها الأمور خلال الحرب وبعدها. ولا بد أن يتضمن الوصف الشامل لهذه الفترة أيضاً مباحثات وقرارات وأحداث جرت على مستوى القيادات الأدنى والتأثير المتبادل بين هذه الأحداث والقرارات التي يجري بحثها. ورغم هذه الصعوبات فإننا نعتقد أن من الصواب عزل القرارات المرتبطة ببداية الحرب والصادرة عن القيادات العليا، وذلك لأن قرار بدء عملية عسكرية - قد تتطور لتصبح حرباً - هو واحد من أكثر القرارات - التي يمكن أن تتخذها أى حكومة - مصيرية. وبعد اتخاذ مثل هذا القرار يكون جزء كبير من التقييم مترتب على أحداث ليست مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالحكومة ولا بصناع القرار. ولذلك فإننا نولى أهمية من الدرجة الأولى للتعلم من الطريقة التي تم بها اتخاذ القرارات في هذه الحالة تحسباً لموقف يتطلب اتخاذ قرارات مماثلة في المستقبل.

لو كانت النتائج التي أسفرت عنها الحرب قد اختلفت عن ذلك، لكان من المنطقي أن يتحول الاهتمام إلى القرارات المرتبطة ببدايتها. وإذا أدى بحث هذا الموضوع لتحسين مستوى استعدادنا لاتخاذ قرارات مصيرية في المستقبل، ربما نكون بذلك قد حققنا الفائدة المرجوة من هذه الأخطاء.

لا بد أن نؤكد هنا أن التقرير السري يتضمن المعطيات كلها، بينما في التقرير المعلن لم نذكر تفاصيل عن بعض العناصر التي تعتبر سرية لا يجوز الكشف عنها. وقد حرصنا في التقرير المعلن على أن نقدم صورة واضحة قدر الإمكان للعناصر المتاحة، واضعين في الاعتبار أهمية حذف الفقرات التي قد تلحق ضرراً بالغاً بأمن الدولة أو بعلاقاتها الخارجية، والتي لم يكن من الممكن نشرها.

الفصل الخامس: سرد معلومات يوم الأربعاء ١٢ يوليو ٢٠٠٦

◆ الاختطاف:

١ - بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٦ فى الساعة التاسعة صباحاً تعرضت دورية عسكرية إسرائيلية لهجوم فى الحدود الشمالية، وتم اختطاف اثنين من جنود الدورية (وهما إيهود جولدفيسر وإيهود ريجف)، كما لقي ثلاثة جنود مصرعهم وأصيب اثنان آخرون. بعد ذلك بنحو ساعتين تم دفع قوة إنقاذ عسكرية إسرائيلية إلى الأراضى اللبنانية للتعامل مع الحادث. وتم تفجير شحنة ناسفة دمرت دبابة وقتلت طاقمها. وقتل جندي آخر من قوة الإنقاذ. ولقى ثمانية جنود مصرعهم فى هذا الحادث. ولم يسبق حادث الاختطاف أى إنذار مخبراتي رسمى محدد وصريح.

٢ - كما وصفنا في فصل سابق من هذا التقرير فقد تغيرت تدريجياً بمضى السنين بعد انسحاب الجيش الإسرائيلى مبادئ استخدام القوة فى مجال الأمن العام العادى فى جنوب لبنان فى الفترة السابقة على حادث الاختطاف. وتم الحد من النشاط فى المنطقة المجاورة للجدار الحدودى إلى حد كبير. ولم تعد الدوريات التى تهدف لطمس آثار تحركات الجيش تقوم بعملها بشكل روتيني. وفى مرحلة معينة لم تكن هناك أى دوريات تجرى فى بعض أجزاء المنطقة الملاصقة للجدار الحدودي.

٣ - وصفت الأوامر- التى أصدرها العميد جل هيرش قائد فرقة الجليل بشأن حالة التأهب الأمنى المعتاد- خطر الاختطاف بأنه أكبر خطر فى منطقة عمل الفرقة. وأكدت خطة العمل بشدة على وجود "مناطق حمراء خطيرة" وهى المناطق التى وصفت بأن مستوى خطر التعرض لاختطاف أو لهجوم فيها مرتفع. وقد وصفت نقطة الاستطلاع ١٠٥ التى جرى فيها حادث الاختطاف بأنها من أكثر النقاط خطورة. وفى تقدير موقف أجراه قائد فرقة الجليل بعد اختطاف جلعاد شاليط قبل يوم ١٢ يوليو أعلن عن حالة تأهب تبنيتها المنطقة الشمالية بالكامل. وفى الفترة من ٢٧ يونيو حتى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ كانت هناك حالة تأهب على درجة عالية معلنة فى المنطقة بسبب توقع حادث اختطاف أو هجوم فى المدى القريب. وقد استوجبت هذه الحالة من قواتنا رفع درجة الاستعداد، ولكن فى الفترة بين الثانى والعاشر من يوليو تم خفض درجة الاستعداد إلى درجة أدنى تترتب على النشاط المعادي، على أن يكون النشاط المذكور مؤثراً بما يستوجب تغييراً فى طبيعة عمل قواتنا. وفى وقت لاحق اعتباراً من ١٠ يوليو ٢٠٠٦ (قبل يومين من وقوع حادث الاختطاف) تم

خفض درجة التأهب إلى مستوى أعلى قليلاً من المستوى الروتيني.

٤ - فى الليلة السابقة على وقوع حادث الاختطاف تم رصد عدة محاولات للاقترب من الجدار الحدودى عند النقطة ١٠٥ التى وقع بها الحادث، ورغم ذلك فقد صدرت الأوامر بالتفوضى عنها والعودة لروتين العمليات. وحكى قائد الدورية التى مرت فى المنطقة قبل حادث الاختطاف لقائد الدورية التالية إيهود جولدفيسر صباح يوم الاختطاف أن هذه الليلة كانت ليلة مفزعة، ويبدو مما حدث فى تلك الليلة أن هناك حوالى عشرين من أعضاء حزب الله قد عبروا الحدود. ولم يتسبب النشاط الزائد والاقترب من الجدار فى تلك الليلة إلى إثارة أى شك أو إلى التحذير من أى خطر وشيك.

٥ - فى الساعة التاسعة إلا ربع تقريباً انطلقت قوة الدورية بقيادة إيهود جولدفيسر لأداء مهمتها. وكان فى الدورية سبعة جنود، ولم يكن فيها قصاص أثر مقاتل كما كان ينبغي. وتحركت الدورية الصباحية دون أن تتلقى تلقيناً أميناً ودون القيام بتمارين ودون الوقوف فى الطابور على النحو الواجب، ولم تلتق التصريح اللازم من "الضابط المسئول عن إرسال الدوريات".

٦ - فى الساعة التاسعة تقريباً تعرضت مركبتا "الهامر" المشاركتان فى الدورية لهجوم متزامن من كمين فى منطقة البلاغ فى النقطة ١٠٥. ووفقاً للمعلومات الميدانية يبدو أن الهجوم كان بهدف اختطاف جنود. وبما يتوازى مع تنفيذ عملية الاختطاف تتالى سقوط قذائف هاون على المواقع المجاورة فى منطقة "زرعيت". وفى الساعة التاسعة وسبعة وعشرين دقيقة، بعد خمسة وعشرين دقيقة من بداية الحادث أعلن قائد الكتيبة عن حالة طوارئ- لمواجهة حادث اختطاف جندي- يتم فى إطارها تنفيذ عمليات فورية وإغلاق طرق الفرار أمام المخربين وعزل المنطقة التى وقعت فيها العملية.

٧ - فى الساعة التاسعة وثلاث وثلاثين دقيقة بدأت الكتيبة التصرف بموجب الأمر الذى يقضى بقصف مواقع حزب الله التى تشرف على خطوط قواتنا. وتلقى قائد الكتيبة رداً بالرفض على طلبه استخدام المدفعية، وكانت تقديرات اللواء تفيد بأن المدفعية لن تتمكن من القصف قبل الساعة السادسة مساءً. ولم يصل الجنود إلى بطارية المدفعية سوى بعد سبع ساعات من بداية الحادث.

٨ - فى الساعة التاسعة وتسع وثلاثين دقيقة انضمت إلى الكتيبة مروحيات هجومية. وفى الساعة التاسعة وخمسة وأربعين دقيقة أبلغت المروحيات بأنها وجدت سيارتى الهامر المصابتين محترقتين. وفى

الساعة العاشرة وثلاث دقائق أبلغت الكتيبة اللواء بأن هناك جنديين مفقودين من الدورية التي تعرضت للهجوم.

٩ - أثناء إدارة الحادث لم يصدر قائد الكتيبة أمراً بمطاردة المختطفين. ويرجع ذلك إلى أنه لم تكن لديه قوات متاحة للتنفيذ وإلى مرور فترة طويلة (حيث لم تصل أول قوة عسكرية إسرائيلية إلى موقع حادث الاختطاف سوى بعد مرور ٤٥ دقيقة على الاختطاف) وكذلك نتيجة للاعتقاد بأن طريق الفرار مليء بالألغام والشحنات الناسفة. ومن الناحية العملية فقد كان التحرك البرى الوحيد الذى جرى رداً على حادث الاختطاف هو الدفع بالقوة العسكرية إلى التبة التي أصيبت عندها الدبابة بعد ذلك. وقد كان هذا التحرك بمثابة رد فعل متأخر على حادث الاختطاف.

١٠ - قال العميد جل هيرش قائد فرقة الجليل فى شهادته إنه هو الذى اتخذ قرار إرسال الدبابة، حيث قال: "لقد اخترت الموضع الذى سندخل منه والذى سنصل إليه وتشاورت مع قائد اللواء... وقد كان هذا أمراً يعبر عن سياسة القيادة لأننى كنت أعرف أنه ينطوى على أخطار عديدة". وأضاف قائلاً: "لقد فعلت كل ما كان بإمكانى لإنقاذهم. وقد اتخذت قراراً متزنًا من الناحية المهنية ومن الناحية القيمية على حد سواء من أجل إنقاذ أودى وإلداد..".

١١ - قال اللواء آدام فى شهادته أمام اللجنة: "كان التصرف الذى قام به اللواء يمثل إخفاقاً شديداً من وجهة نظري. غير أنى أعتقد أن القيادة قد فعلت كل ما كان فى استطاعتها فى ظل الظروف المتاحة. ورغم أنه لو كان الأمر يرجع إلينا لتصرفنا بشكل مختلف فى أمور عديدة إلا أننى لا أعتقد أن القيادة قد أخفقت". وقال رئيس الأركان فى شهادته: "كانت النقطة التى تحركت منها القيادة تمثل إخفاقاً واضحاً. وقد تحركت أنا الآخر من نفس النقطة. دعونا لا نربك أنفسنا. وأنا لن ألقى بالمسئولية على القيادة. فحادث الاختطاف يمثل فشلاً. وهذا الفشل هو فشل ميدانى".

♦♦ ردود الفعل:

١ - تلقى رئيس الأركان ووزير الدفاع ورئيس الوزراء تقريراً عن الأحداث. وبدأت سلسلة من المشاورات على المستويات المختلفة. ونظرياً للأهمية الشديدة التى نوليها لليوم الأول فسوف نورد وصفاً تفصيلياً للأحداث بهدف متابعة النمط الإجرائى لاتخاذ القرار.

٢ - تلقى رئيس الوزراء أول بلاغ عن الحادث أثناء لقاء مع والدى جلعاد شاليط (أسير حماس) لإطلاعهما على مستجدات الأمور. وفى الساعة العاشرة والثلاث جرت مكالمة تليفونية بين رئيس الوزراء ورئيس الأركان،

أبلغه فيها رئيس الأركان بالحادث وقال إنهم اتخذوا إجراءات للرد على الاختطاف، وأن القوات الجوية توشك على مهاجمة أهداف بناء على أوامر هيئة الأركان العامة المصدق عليها للتعامل مع هذه الحالات. كما تلقى رئيس الوزراء بلاغاً بالحادث من سكرتيه العسكري.

٣ - تلقى وزير الدفاع البلاغ أثناء مشاورات مع رئيس الأركان وعناصر أخرى منها رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك). وقبل نهاية الجلسة بقليل وردت تفاصيل أدق عن الحادث. وقام رئيس الأركان ونائبه ورئيس شعبة العمليات بتقديم استعراض شامل لوزير الدفاع بشأن الإجراءات التى تم اتخاذها. ثم توقفت الجلسة وانصرف جميع العسكريين للتعامل مع الحادث. وعاد وزير الدفاع إلى مكتبه وتلقى تقارير عما يجرى من شعبة العمليات. وفى وقت لاحق طلب الجيش (وتلقى) تصديقاً من وزير الدفاع - عن طريق سكرتيه العسكري - بمهاجمة أهداف كجزء من خطة لإغلاق طرق الفرار أمام مختطفى الجنود.

٤ - تحدث وزير الدفاع فى شهادته عن الإجراءات التى قام بها فور معرفته بحادث الاختطاف، وقال: "على الفور أصدرت تعليمات أثناء الجلسة سواء لنائب رئيس الأركان أو لقائد القوات الجوية أو لرئيس شعبة العمليات بالانصراف فوراً... لمحاولة السيطرة على الحادث. بعد ذلك بوضع دقائق عندما أدركنا أن الموضوع سيطول طلبت من رئيس الأركان أيضاً الانضمام إليهم... وبدء إدارة الأزمة... وطلبت من رئيس الأركان دراسة الموضوع... وعقد جلسة من أجل بحث ما سنفعله... وفى الساعة الواحدة إلا الربع استدعيت رئيس الأركان للقاء شخصى لأتلقى منه تقريراً عن الحادث، حيث أردت أن أعرف تقييمه وتحليله للموضوع، والاتجاه الذى نسير نحوه فى ظل الوضع الذى نشأ. وبالفعل فقد وصف رئيس الأركان الموقف، والشعور السيء بأننا نواجه سلسلة متتالية من الأحداث، وأن هذا ليس حادثاً منعزلاً ولكنه حادث ينضم إلى الأحداث التى جرت فى غزة وإلى حادث الاختطاف الذى جرى فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية).. وبالطبع فإن هذا الحادث ترك لدينا انطباعاً بأن هناك اتجاه للتصعيد... فلم يكن هذا مجرد حادث اختطاف عادي، ولكنه كان حادثاً جرى فيه إطلاق النار داخل الأراضى السيادية لدولة إسرائيل أثناء القيام بعملية اختطاف. وهو ما يعنى حدوث قفزة كبيرة فى اتجاه سير الأمور فى تلك المنطقة لم يكن من الممكن تجاهلها على أى وجه من الأوجه. وطلبت من رئيس الأركان أن يقدم لى بأقصى سرعة ممكنة تقريراً يوضح فيه ما هى البدائل المختلفة المطروحة للرد على

هذا الحادث. واتفقت مع رئيس الأركان على أن نقوم بتقدير موقف نشر في كافة العناصر المعنية بما فيها رئيس الموساد ورئيس جهاز الأمن العام (الشاباك). وتم بالفعل عمل تقدير الموقف".

أول تقدير للموقف على المستوى العسكري:

١ - أثناء الجلسة تقدم قائد المنطقة الشمالية باستعراض سريع لما حدث ولرد الإسرائيلي، الذي تضمن تحميل لبنان المسؤولية عن المختطفين. واقترح أن "نستغل هذه الفرصة لتغيير الوضع بعد الانتهاء من هذا الحادث". واستعرض قائد القوات الجوية نشاط سلاح الطيران منذ وقوع الحادث. وذكر أنهم قصفوا كافة الأهداف التي تتضمنها الخطة الثابتة الموضوعة لمواجهة مثل هذه الحوادث.

٢ - بعد بحث الإجراءات التي تم اتخاذها حتى الآن بدأ الحضور يعبرون عن رأيهم بشأن استمرار رد الفعل الإسرائيلي. وقد رأى بعض المشاركين أن العملية يجب أن تكون موجهة ضد لبنان وقالوا: "لقد هاجمتنا دولة لبنان، ولدينا ما نطالبها به...". وقالوا أيضاً إن حزب الله لا بد أن يدفع ثمناً فادحاً". واقترح رئيس شعبة العمليات أن نقوم بوقفه للتفكير قبل أن نتصرف.

٣ - بالنسبة لرد الفعل المتوقع من حزب الله على لجوء الجيش الإسرائيلي لاستخدام القوة حذر رئيس المخابرات العسكرية منه بقوله: "لا يجب أن نشعر بالدهشة - لو نجحنا في جعله يدفع الثمن - إذا جاء رده متجاوزاً الخط الذي اعتدنا عليه. فقد يصل إلى قصف حيفا بصواريخ فجر". كما تحدث البعض عن مسألة استدعاء قوات الاحتياط.

في ختام الجلسة جاء في قرارات رئيس الأركان ما يلي:

- النقطة الأساسية هي أننا يجب أن ننظر إلى هذا الحادث على أنه نقطة تحول في الحوار الجاري بين دولة إسرائيل ودولة لبنان. ومعنى أنه نقطة تحول أننا لا بد أن نلقي بالمسؤولية كاملة على حكومة لبنان، وألا ندخر جهداً في ضرب حزب الله في أي موضع يمكننا ضربه فيه.

- ومع ذلك "فيحظر أن نجر سوريا إلى الحادث".
- بالنسبة للقوة النيرانية والفترة الزمنية التي ستكون متاحة لإسرائيل للرد كان رئيس الأركان يعتقد أن "دولة إسرائيل ستكون لديها مساحة للمناورة فيما يتعلق بتحديد العمق الذي ستصل إليه والقوة النيرانية والمدة التي سيستغرقها الرد".

- يجب أن نكون مستعدين لتلقي القصف بداية في قطاع المواجهة ثم المدنيين ثم معسكرات الجيش بعد ذلك.

- وأصدر رئيس الأركان تعليمات لقائد المنطقة

الشمالية بسحب قواتها الموجودة في لبنان حتى نعطي لأنفسنا الفرصة للقيام بحساب منظم، حتى لا نتوه بسبب اللف والدوران".

- وبالنسبة للقصف الجوي يجب الانتهاء من الجولة الأولى من قصف الأهداف، وبعدها سنجهد للضربة التالية التي ستكون طويلة".

- ليس لدينا حتى الآن أي التزام بوقت محدد لأننا لم نتحدث بعد مع القيادة السياسية، وسوف نفعل ذلك خلال الساعات القادمة".

- أصدر رئيس الأركان تعليمات لقائد القوات الجوية بإعداد قوة عمليات يمكنها تنفيذ مهام مهاجمة أهداف تتمثل في بطاريات الصواريخ الأرض أرض وملاحقة منصات إطلاق الكاتيوشا.

◆ استعدادات القيادة السياسية:

١ - بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة جرت مكالمات هاتفيتان بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع. كانت المكالمات الأولى بشأن البيان الذي سيصدر للصحافة. واتفق الاثنان على أن البيان لا بد أن يكون مشتركاً. واقترح وزير الدفاع "إلقاء اللائمة عن التدهور العسكري على لبنان في المرحلة الأولى". كما تم الاتفاق على أن يقوم المستشاران العسكريان للاتين بالتنسيق بينهما لإصدار بيان بشأن الحادث.

◆ المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء:

١ - في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق بعد انتهاء اجتماع رئيس الوزراء إيهود أولمرت مع رئيس الوزراء الياباني عقد أولمرت مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أن "أحداث الصباح لا تعد هجوماً إرهابياً، وإنما هي تصرف جاء من دولة ذات سيادة قامت بمهاجمة إسرائيل دون سبب ودون استفزازات من جانب إسرائيل... حيث تحاول الحكومة اللبنانية التي يعد حزب الله جزءاً منها زعزعة الاستقرار الإقليمي. إن دولة لبنان هي المسؤولة ودولة لبنان هي التي ستتحمل نتائج تصرفاتها". وأجاب رئيس الوزراء على سؤال لأحد الصحفيين بقوله "إن الحكومة سوف تجتمع مساء اليوم للتصديق على مزيد من ردود الفعل التي سيقوم بها الجيش ضد لبنان... وأنا متأكد أن هذه الردود سيكون لها أصداً في الأماكن الصحيحة وبالقوة المناسبة، نظراً للاستفزاز الشديد القادم من داخل الأراضي اللبنانية... لن نستسلم للابتزاز ولن نجرى مفاوضات مع عناصر إرهابية فيما يتعلق بحياة الجنود الإسرائيليين. هكذا كنا نفعل في الماضي وهكذا سنفعل اليوم".

٢ - بعد المؤتمر الصحفي ذهب رئيس الوزراء ورجاله إلى مقر الحكومة في تل أبيب. وقال لنا رئيس فريق العاملين مع رئيس الوزراء إنه كان من الواضح له

أننا في هذه المرحلة "لابد أن نرد بقوة". وكان من الواضح لرئيس الوزراء ولرئيس فريق العاملين أن الرد لو كان قويا فسيزيد من خطر الصواريخ "ولكن الخوف من نتائج عدم الرد كان أكبر".

♦ حديث وزير الدفاع مع رئيس الأركان:

١ - في الساعة الواحدة إلا ربع دار حديث بين وزير الدفاع ورئيس الأركان في وجود السكرتير العسكري لوزير الدفاع. وفي هذا الحديث وصف رئيس الأركان تسلسل الأحداث وردود الفعل المحتملة على حادث الصباح، وأبلغ وزير الدفاع أن الجيش سوف ينتهي من إعداد قائمة الأهداف التي سيهاجمها قبل جلسة المساء وأنه سوف يوضح في الجلسة ما هو المبدأ الذي يسيرون عليه. وسأل وزير الدفاع عن قدرة الجيش على إسكات إطلاق الصواريخ على حيفا والخضيرة، وقال إنه لا يجب جعل الهدف إعادة الجنود المختطفين. وقال رئيس الأركان رداً على سؤال وزير الدفاع بشأن الأهداف التي سيهاجمها الجيش "إننا مضطرون لتوجيه ضربات بأقصى قدر من القوة والإيلام. وسواء جاء الرد بصواريخ الكاتيوشا أم بصواريخ فجر فالمهم هو ألا نجر سوريا إلى اللعبة".

أضاف رئيس الأركان إننا سنسعى على امتداد خط المواجهة لإعادة الوضع إلى سابق عهده، وسوف ندخل بالجرفافات لتسوية المنطقة. وسوف نضطر للقيام بعدة عمليات عدوانية للغاية حتى نتمكن من وضع قواعد جديدة للعبة". وعندما طرح السكرتير العسكري لوزير الدفاع مسألة استدعاء الاحتياط رد رئيس الأركان قائلاً: "حسناً. لنرسل قيادة فرقة إلى القيادة الشمالية حتى يبدأوا في شم رائحة الحرب". وفي نهاية الحديث طلب رئيس الأركان تصديقاً على قصف مطار بيروت على الأقل. وكان وزير الدفاع متردداً لأنه كان يخشى أن يؤدي ذلك لإطلاق الصواريخ على حيفا والخضيرة. ولكن رئيس الأركان قال إنه يشك في أن يكون ذلك ممكناً. وطرح وزير الدفاع السؤال التالي: "لو كان التعامل مع مواقع الصواريخ "فجر" ممكناً، فإن هذا الأمر سيكون أكثر منطقية من قصف المطار".

٢ - وكان تقييم وزير الدفاع في شهادته أمام اللجنة لحديثه مع رئيس الأركان على النحو التالي: "أثناء حديثي مع رئيس الأركان... كان الرأي السائد بالتأكيد هو أنه لا يمكن التعامل مع هذا الحادث على أنه حادث عادي، ولا بد من تغيير السياسة. فسياسة الصبر والاحتواء لا يمكن أن تكون هي الرد على الحادث".

♦ منتدى رؤساء أجهزة الأمن:

١ - في ساعات الظهيرة انضم رئيس الأركان لجلسة كان يعقدها منتدى رؤساء أجهزة الأمن. وتركزت المباحثات على مسألتين: أهداف التحرك العسكري التي

ستعرض على القيادة السياسية للتصديق عليها، والطريقة العملية لتحقيق هذه الأهداف.

بالنسبة لأهداف التحرك العسكري كان المصطلح الذي تردد مراراً هو "تغيير وتشكيل الوضع". وكان الهدف من ذلك هو تحقيق الردع (سواء كان الردع بصفة عامة أو فيما يتعلق بمحاولات الاختطاف)، وتغيير قواعد اللعبة أو تغيير الواقع عند الحدود.

٢ - تم خلال الجلسة ذكر وسائل العمل وبعض المواقع التي يمكن مهاجمتها لتحقيق الأهداف، وكان هناك تردد بين مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية وبين مهاجمة أهداف تخص حزب الله. وكانت الآراء على النحو التالي:

- بالنسبة لضرب البنية التحتية اللبنانية كان من بين الحضور من عبروا عن اعتقادهم بضرورة توجيه ضربة للبنية التحتية اللبنانية كوسيلة للضغط على الحكومة اللبنانية. وكان هناك اختلاف على أهداف البنية التحتية التي لابد من مهاجمتها وتوقيت مهاجمتها.

- بالنسبة لاستخدام القوة تناول البعض في كلمته إمكانية ألا يكون القصف الجوي كافياً وأن تكون هناك حاجة للقيام أيضاً بعملية برية واسعة النطاق. وقيل إن خطة "الغيث" سوف تطبق بعد أن تمضي عدة أيام من القتال دون أن ننجح في تقليل معدل القصف الذي ستعرض له نتانيا.. وإننا لابد أن نعرف أننا سوف نستخدم عدة فرق عسكرية.

- في نهاية الجلسة قرر رئيس الأركان ما يلي:

أ - أنا أكثر ميلاً لأن يكون الهدف من العملية هو ما قرره رئيس المخابرات العسكرية، وهو استعادة إسرائيل لقدرتها على الردع.

ب - لابد من العمل الميداني بشكل متواصل وبقوة شديدة وإبداء قدرة على الصمود... بالنسبة للبنان ستكون العملية موجهة إليها بشكل مباشر وبالنسبة لحزب الله سيتعرض للهجوم باستخدام قوة مفرطة تقتقر إلى التناسبية، ولا بد من استبعاد سوريا من الحرب على ألا يتم استبعادها من الجهود السياسية.

ج - بالنسبة للأهداف التي ستتم مهاجمتها فأنا أؤيد تماماً مهاجمة كافة الأهداف التي طرحت.

د - بالنسبة لإمكانية العمل البري واستدعاء الاحتياط قال رئيس الأركان: "نحن في الجيش العامل نعرف كيف نتعايش مع هذه الأمور". ومنع رئيس الأركان قوات الجيش من اجتياز الحدود مع لبنان (الخط الأزرق) بأي صورة من الصور.

♦ تقدير للموقف في مكتب وزير الدفاع:

١ - في هذه الجلسة التي عقدت في الثانية والنصف ظهراً تم بحث القضايا الأساسية التالية:

على من سيتركز الهجوم؛ حزب الله أم الحكومة اللبنانية أم سوريا، وما هي الأهداف التي يفضل مهاجمتها؛ منشآت البنية التحتية اللبنانية أم منظومة الصواريخ الأرض أرض لدى حزب الله.

♦ ضد من سيتركز الرد..؟

في بداية الجلسة عرض رئيس شعبة العمليات توصياته. وقال "إن الهدف (الإستراتيجي) هو بناء معادلة ردع جديدة تفرز قواعد جديدة فيما يتعلق بمحاولات الاختطاف، حيث لابد من المطالبة بتحمل لبنان المسؤولية السياسية وتوجيه ضربة لمنظمة حزب الله الإرهابية". وسوف يتحقق هذا الهدف من خلال "الهجوم المزدوج على أهداف من البنية التحتية اللبنانية وأهداف تخص حزب الله من أجل ردع حزب الله ودفع السلطات اللبنانية إلى تحمل المسؤولية". كما اقترح رئيس شعبة العمليات ألا تكون المواجهة مع حزب الله وإنما مع الدولة اللبنانية، وخلق منطق بموجبه تطالب إسرائيل بأن يكون هناك طرف لبناني مسئول. حيث كان من البديهي أننا لو دخلنا في مواجهة مع حزب الله فسوف يرد حزب الله. ولكن إذا ضربنا البنية التحتية اللبنانية فسوف يضع هذا الأمر حزب الله في ورطة". أما رئيس الأركان فأضاف "إن منطقنا هو منطق مزدوج نواجه به حزب الله والحكومة اللبنانية على حد سواء. سوف يكون كلامنا عن حكومة لبنان، ولكن تصرفاتنا ستكون موجهة للطرفين. لماذا للطرفين؟ لأنه... ليس من المقبول ألا نهاجم أهداف حزب الله".

اعترض رئيس الموساد على الخطة التي اقترحها الجيش. وعلى حد قوله فإننا "... لابد أن نفعل شيئاً آخر طالما أن الفرصة مواتية.. لابد أن نفعل شيئاً مختلفاً... وفي رأيي فإنه مع جعل المسئول يدفع الثمن، لابد من الخروج من إطار ردود الفعل المعتادة. أعتقد أننا لابد أن نسعى للتغيير. وأعتقد أن ما يقترحه الجيش تم القيام به أكثر من مرة في لبنان من قبل. نحن نعرف كيف تتطور الأمور ونعرف إلى أي مدى سنصل". وقال رئيس الموساد إننا لو تصرفنا على النحو الذي يريده الجيش "فستؤدي بنا هذه الإجراءات إلى الدخول في مواجهة طويلة، ويكون احتمال تعرض أهداف في الداخل الإسرائيلي للهجوم كبير جداً. ولذلك فلو كان هذا هو الثمن، لابد أن نفهم جيداً أن الأهداف التي سنهاجمها على النحو الذي تم طرحه، وفي إطار ظروف التصعيد الذي سيحدث، ستعود بنا إلى نفس النقطة بعد نحو أسبوع أو عشرة أيام، حيث سيظل الشمال معرضاً للتهديد، وسيهاجم حزب الله أهدافاً داخل إسرائيل. وفي تقديري أنه حسب ما تم استعراضه هنا سيكون هذا هو ما سيحدث بالتحديد". وقد عارض رئيس الأركان ورئيس المخابرات

العسكرية رأي رئيس الموساد. واقترح اللواء (احتياط) عاموس جلعاد التركيز على مهاجمة أهداف حزب الله دون مساس بمنشآت البنية التحتية... حيث أن الحكومة اللبنانية الحالية تعتبر تطوراً إيجابياً بعد رحيل السوريين، ولذلك فإننا لن نلقى الدعم الدولي الهام لنا بشدة... وأعتقد أن الصواريخ بعيدة المدى يمكنها بالفعل أن تسبب صدمة شديدة هنا. ولابد أن نهاجم هذه الصواريخ على أساس المقترحات السابقة. وفي النهاية سوف نضطر أيضاً للاستعداد للقيام بعملية برية حتى لو كانت لا تلقى شعبية".

وأنتهى وزير الدفاع الجلسة بعرض موقفه فيما يتعلق بالنتائج المطلوب تحقيقها من العملية. وقال: "لابد أن ينتهي الحادث بحيث يشعر حزب الله بالأسف من ناحية لأنه هو الذي بدأ الحادث، وبحيث من ناحية أخرى لا يفكر في المستقبل في ارتكاب مثل هذا الحادث ثانية. هذا هو الهدف الرئيسي. نحن لا نسعى لتربية أو لتعليم هذا الطرف أو ذاك، وإنما نسعى لجعل حزب الله يشعر أنه مطحون وملاحق". وقد كان وزير الدفاع مدركاً لأن هذه العملية لن تؤدي لإعادة الجنود المختطفين. فالهدف هو: "محاولة خلق توازن يصيب اختلاله حزب الله بالرعب". وقال إنه يعتقد "أننا وجدنا أنفسنا نواجه نتيجة ترتبت على حادث جعل الجيش الإسرائيلي ودولة إسرائيل يقومان بخطوات لم يستعد لها أحد منا".

♦ مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية:

١ - ظهر خلاف أيضاً فيما يتعلق بمهاجمة منشآت البنية التحتية اللبنانية. حيث أوصى العسكريون بمهاجمة البنية التحتية اللبنانية. وأكد رئيس الأركان على أهمية ضرب منشآت البنية التحتية. ورفض وزير الدفاع اقتراح ضرب منشآت الكهرباء.

♦ كيفية العمل ضد حزب الله (شبكة الصواريخ الأرض أرض):

٢ - ظهر خلاف أيضاً بشأن مدى صواب القيام بهجوم فوري على شبكة الصواريخ الأرض أرض الثقيلة لدى حزب الله. وأكد رئيس الأركان وقائد القوات الجوية أنه لا يجب مهاجمتها على الفور. بينما قال وزير الدفاع إن "مسألة الصواريخ بعيدة المدى هي مسألة إستراتيجية... وأعتقد أنه لو كان الاختيار بين ضرب البنية التحتية وبين ضرب الصواريخ فإن ضرب الصواريخ أهم. ويمكن أن نقوم بالعملين في نفس الوقت".

♦ مسألة الجبهة الداخلية:

٣ - جرى أثناء الجلسة حديث بين وزير الدفاع ورئيس الأركان وقائد قيادة الجبهة الداخلية بشأن إمكانية إعلان حالة طوارئ خاصة في الداخل. واتفق

الثلاثة على أنه لم تكن هناك حاجة للقيام بهذه الخطوة في ذلك التوقيت. ولكن وزير الدفاع طلب سماع تفاصيل بشأن الإمكانيات المتاحة في حالة تعرض الجبهة الداخلية للهجوم (في حيفا والخضيرة). وقال عاموس جلعاد إنه لا بد من إعادة تقييم أهداف البنية التحتية التي ستعرض للهجوم، نظراً لأن رد حزب الله سيكون بصواريخ الكاتيوشا العادية في المقام الأول. وهذه الصواريخ عددها كبير ويبلغ مداها ٢٠ كيلومتراً والعمق الذي تصل إليه في الجليل كبير. وهذا يعني أن منطقة الجليل قد تظل خالية من السكان لفترة طويلة، ولا بد من الاستعداد لحرب طويلة في الوقت الذي لا يوجد فيه ملاجئ في الجليل. سوف يرحل الناس عن هناك وقد يتسبب ذلك في خسائر بالغة. وأقترح إعادة النظر في هذا الموضوع".

٤ - بعد انتهاء الجلسة عقدت جلسة للجنة العمليات والطلعات الجوية. وصدق وزير الدفاع على مهاجمة أهداف حزب الله وإيقاف مطار بيروت عن العمل بشكل جزئي فقط، واستهداف شبكة الصواريخ الأرض أرض ومحطة تليفزيون المنار وعدة مباني في ضاحية بيروت، وضرب محطات توليد الكهرباء التي تخدم جنوب لبنان فقط.

٥ - كان تقييم وزير الدفاع لهذه الجلسة أثناء شهادته أمامنا على النحو التالي: "كنت أضع نصب عيني هدفاً إستراتيجياً واحداً وهو تغيير معادلة الرد في مواجهة تصرفات حزب الله، لأننا كنا بالفعل في غمار سلسلة من الأحداث. ولا يجب أن ننسى أنهم ظلوا لأسابيع طويلة يقصفون قاعدة عسكرية في ميرون. ومن الواضح أنه كلما مضى الوقت كلما تحسن مستوى أداؤهم وزاد عدد عملياتهم. ومعنى هذا ببساطة أن دولة إسرائيل القوية ستجد نفسها في مواجهة منظمة مسلحة تتجاهل تماماً وجود قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الذي يجب تنفيذه، وتقوم بعمليات يتصاعد مستوى استفزازها لدولة إسرائيل وردّها عليها من مرة لأخرى. كنت أعتقد أنه لا بد من تحقيق هدفين رئيسيين مترابطين. تغيير المعادلة في مواجهة حزب الله... والوصول إلى وضع لا يجرؤ فيه حزب الله.. على العودة إلى مهاجمة دولة إسرائيل ثانية والاعتداء على سيادتها".

♦ اتصال هاتفى آخر بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع

٦ - في الساعة الثالثة إلا ربعاً اتصل وزير الدفاع برئيس الوزراء وتشاور معه بشأن الأهداف التي ستجرى مهاجمتها. ولم يعلق رئيس الوزراء بشكل تفصيلي، وأعرب عن رغبته في أن يرى الأهداف قبل التصديق عليها.

♦ رئيس الأركان يحسم الأمر:

٣٦ - خلال الجلسة التي عقدت في الساعة الرابعة وست دقائق بعد الظهر طلب رئيس الأركان من الحضور البدء في التجهيز لعملية هجوم ضد شبكة صواريخ "فجر" بالكامل. وطرحت أثناء الجلسة مسألة استدعاء الاحتياط، وكرر قائد القوات البرية اقتراحه باستدعاء قوات احتياط تساعد في الإعداد للهجوم وكذلك في الاستعداد لمرحلة قد تقتضى المزيد من الاحتياج للتصدي للنيران أو حتى لحرب برية. وكان الموضوع الثانى الذى تم بحثه هو إمكانية فرض حصار بحرى وجوى على لبنان.

٣٧ - وفيما يلي ملخص لما قرره رئيس الأركان: أصدر رئيس الأركان تعليمات بزيادة مستوى الوعي ورفع درجة الاستعداد لمنع وقوع حادث اختطاف آخر. وأكد أهمية تغيير طريقة العمل في الشمال عنها في مجال الأمن العام، وأكد أننا في الجبهة الشمالية لن نقوم الآن بعمليات برية سواء محدودة أو موسعة سوى بعد بحثها والتصديق عليها بشكل منظم.

بالنسبة لاستدعاء الاحتياط: "نحن نفكر ليس في استدعاء فرقة عسكرية وإنما في عمل الإعدادات المطلوبة لذلك بالكامل". "وليس لأحد سلطة استدعاء الاحتياط سوى لواء العمليات".

بالنسبة للمستقبل "لا بد أن تستعد القيادة الشمالية لعملية أوسع نطاقاً. وهناك شيء واحد لا بد أن يكون واضحاً. في اللحظة التي يتقرر فيها أن الجبهة الشمالية تتجه للقيام بعملية برية سنعطىها أولوية... وإذا كنا سنقرر الدخول إلى لبنان فسيمر وقت طويل قبل اتخاذ هذا القرار، ولكن قد يجبرنا الواقع على أن نختصر المراحل الزمنية أكثر مما نعتقد أنه سيحدث الآن".

٣٨ - جدير بنا عرض وجهة نظر رئيس الأركان فيما يتعلق بالعملية البرية، حسبما ظهر من شهادته أمام اللجنة. قال رئيس الأركان: "كان من الواضح من وجهة نظري أن هذه خطوة لن تحدث بشكل فوري... وأن القرار بشأنها سوف يتخذ داخل هيئة الأركان، وأننا سنضطر في وقت من الأوقات لتغيير سياسة الاحتواء. وقد كانت المبادئ التي اعتبرت أسلوب عمل هي المبادئ الواردة في أمرين بعمليات لم يكونا مكتملين ولم يبدأ سريانها بالكامل، وهما "كساحة الجليل" و"الغيث". وقد كان المنطق من ورائهما واضحاً ويفيد بأننا: سوف نخوض حرباً بالقصف النيرانى. ولن يكون القصف جواً فحسب. ولكنه سيكون مدفعياً أيضاً... وقد كان العنصر الثانى في "كساحة الجليل" هو القيام بعمليات برية محدودة وباجتياحات. وكل ذلك في محاولة للامتناع عن الدخول في عملية برية كبيرة

على النحو الذي تتضمنه أوامر عملية "الغيث". وهذه هي الفكرة الأساسية. وعندما أقول عملية برية في إطار مثل هذا النشاط فإنني أقصد عملية على امتداد خط الحدود.. وهذا هو أكثر شيء كان يعبر عن تغير الواقع الأمني.. وقد كان واضحاً منذ البداية أن المعركة لو امتدت وطالت فإن هناك فرصة- حتى لو قلت إنها محدودة- لأن نصل إلى حد القيام بعملية برية واسعة النطاق. وأقول إن الفرصة كانت محدودة لأنني كنت أعتقد أن القصف النيرانى والمناورة بقوات برية محدودة والاجتياحات- كل على حده- يمكن أن تؤدي لتحقيق الإنجازات التي كنت أسعى لتحقيقها، والتي كانت تعتبر إنجازات في نظر المؤسسة العسكرية حتى لو كانت محدودة. نحن في البداية لم نكن نسعى لتحقيق إنجازات كبيرة مثل تدمير وعزل وتفكيك حزب الله وما شابه ذلك، ولكننا وضعنا لأنفسنا إنجازات هي من وجهة نظري أكثر تواضعاً ولكنها قابلة للتحقيق. كنت أعتقد أن كل خطوة من الخطوات وكل مرحلة من المراحل من الممكن أن تؤدي وحدها إلى تحقيق إنجاز. وإذا لم تفعل تنتقل للمرحلة التالية.

أول شيء فعلناه.. ليس في نفس اليوم وإنما في اليوم التالي... هو إعلان حالة تأهب جزئية... قمنا بالدفع بقيادة فرقة إلى الأمام كخطوة تكتيكية، بعدها قمنا بالدفع بقيادة فرقة أخرى لنفس الهدف. وقد كانت هذه الفرق هي التي من المقرر أن تواصل الحرب. كان الشيء الثاني هو إتاحة الفرصة لتنفيذ العمليات البرية، وقد نفذت أيضاً أو على الأقل الجزء الأول منها. كما تم تنفيذ كافة الغارات والاجتياحات المحدودة باستخدام القوات النظامية.. وكان استخدام القوات النظامية في البداية راجعاً إلى إدراكي وإلى اعتقادي أن القوات النظامية لدينا أكثر تدريباً وأكثر استعداداً، نظراً لخبرتها الطويلة في العمليات التي اكتسبتها من نشاطها الممتد منذ بضع سنين في يهودا والسامرة (الضفة الغربية المحتلة) وفي غزة. والآن أقول إن هذا كان أحد أخطائي- وربما يكون أول أخطائي- وأنا أعترف به. كان من الخطأ أني لم أصدر توجيهات باستدعاء قوات الاحتياط على نطاق واسع، غير أن إصدار التوجيه كان يتطلب اثنين، فحتى لو أصدرت تعليمات كان لابد أن أحصل على تصديق عليها. غير أني لا أريد أن ألقى بالمسئولية على أي عنصر خارج الجيش. وقد طلبت في ذلك اليوم استدعاء فرقة واحدة وستجد هذا في وثائق كثيرة حسبما أعتقد. ولست أذكر ما إذا كان هذا قد جرى في ذلك المساء أم بعده. طلبت استدعاء فرقة وبدأنا في نفس اليوم في قوات الدعم، ولا سيما قوات الدعم النيرانى، كما

استدعينا جنوداً للقوات الجوية وللمخابرات العسكرية... واستدعينا قوات مدفعية للقيادة الشمالية. وقد طلبت أن نستدعي فرقة وأن نستخدم منها بقدر الاحتياج في غضون ذلك.

والآن أقول إننا كان لابد أن نستدعي أكثر وأن نطلب تصديقاً من القيادة السياسية لاستدعاء قوات أكثر. ورغم أني أقول هذا إلا أنني لا أعتبر قوات الاحتياط مؤهلة لإلقائها في خضم المعركة منذ البداية. والأكثر من هذا، أقول لك إن الفكرة الأساسية في النظام هي الامتناع عن القيام بعمليات برية. ليس الامتناع بالمعنى المفهوم، وإنما أقصد محاولة الوصول إلى تحقيق الإنجازات دون الحاجة إلى القيام بعمليات برية واسعة النطاق في لبنان. لأن من الخطورة بمكان القيام بعملية برية واسعة النطاق.. وسوف استعرض العيوب التي ينطوي عليها القيام بعملية برية واسعة النطاق- وهي كثيرة- ولا سيما لو كنت ستلجأ إليها في وقت مبكر (١).

♦ ردود فعل من لبنان:

٢٩ - بعد الظهر عقد نصر الله مؤتمراً صحفياً خاصاً، وفي نفس الوقت نشرت الحكومة اللبنانية بياناً. أكد نصر الله في حديثه أن الجنود المختطفين لن يعودوا إلى إسرائيل سوى بعد مفاوضات وتبادل أسرى. ورفض الإدلاء بأي تفاصيل عن حالة المختطفين أو عن مطالب حزب الله. وأكد نصر الله أن حزب الله لا يسعى للتصعيد على الحدود مع إسرائيل وأنه لا يعارض في تهدئة الأوضاع. ولكن لو كانت إسرائيل تسعى إلى التصعيد وتريد المواجهة فإن عليها الاستعداد لمفاجآت. وقال إن حزب الله مستعد للذهاب إلى أبعد مدى وأنه لا يخشى المواجهة مع إسرائيل.

٤٠ - وأعلنت الحكومة اللبنانية أنها لم تكن تعلم شيئاً عن نشاط حزب الله وأنها لا تتحمل المسؤولية عن الأحداث التي جرت عند الحدود مع إسرائيل. وأدان وزير الإعلام اللبناني الهجمات الإسرائيلية على لبنان ودعا مجلس الأمن للانعقاد لبحثها.

♦ محادثات رئيس الوزراء مع عناصر في الإدارة الأمريكية

٤١ - أجرى رئيس الوزراء محادثات مع عناصر في الإدارة الأمريكية وأبلغها خلالها بأن نيته تتجه إلى الرد العسكري، وأولى خطورة بالغة إلى تصريح رئيس الحكومة اللبنانية بأنه يدعم حزب الله.

♦ مشاورات عسكرية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع

٤٢ - في السادسة مساءً جرت مشاورات عسكرية بمشاركة ممثلي المؤسسة العسكرية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع.

وتصدر المحادثات سؤال بشأن الهدف الأولى بالقصف وهل هو منشآت البنية التحتية اللبنانية أم شبكة الصواريخ الأرض أرض لدى حزب الله، وذلك في الوقت الذي أشار فيه المشاركون إلى الشعور بضرورة التحرك العسكري في نفس الليلة.

٤٣ - أيد رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات قصف البنية التحتية اللبنانية، بينما عارض في ذلك رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس جهاز الأمن العام (الشاباك) ورئيس مجلس الأمن القومي ورئيس الشعبة العسكرية السياسية في وزارة الدفاع (وجميعهم أعضاء في منتدى رؤساء أجهزة الأمن)، وأيدوا مهاجمة شبكة الصواريخ الأرض أرض. وبالنسبة للفترة الزمنية التي ستستغرقها العملية أعرب وزير الدفاع ورئيس الأركان عن اعتقادهما أنها سوف تستمر بضعة أيام قد تصل إلى أسبوع وربما أكثر قليلاً: "هذه العملية في البداية، وقد تتطور وتستغرق فترة تصل إلى شهور". وكانت أحاديث الحضور في الجلسة تشير إلى تعجل التحرك لعمل شيء ما في تلك الليلة. وكانت المسألة الأخرى التي طرحت في تلك الجلسة هي طلب رئيس الأركان التصديق على البدء في الإعداد لاستدعاء فرقة احتياط. وكان الرد: "قد نبحت هذا الطلب في وقت لاحق أثناء الجلسة".

وطرح خلال الجلسة الهدف الذي وضعه رئيس الأركان في وقت سابق، وهو استغلال الحادث لإعادة تشكيل العلاقات في جنوب لبنان وجعل حزب الله يدفع ثمن أفعاله.

واستعرض رئيس شعبة العمليات تسلسل الأحداث في الصباح ووصف شبكة صواريخ حزب الله. بعد ذلك تناول السيناريوهات المحتملة. وقال: "هناك درجة الاحتواء، في حالة شعور الطرفين أنهما لا يريدان الوصول لدرجات أعلى... وهناك درجة الردع وهي الدرجة التي يوجه فيها أحد الطرفين ضربة أقوى، ويفضل الطرف الثاني مع ذلك الالتزام بسياسة الاحتواء. ومن الصعوبة بمكان أن نخمن ما هي الضربة التي لدى حزب الله استعداد لتحملها دون اللجوء إلى التصعيد للدرجة التالية. فإذا وصلنا إلى درجة التصعيد لا بد أن يقوم كل طرف باستعراض أقصى ما لديه من قوة".

واستعرض رئيس العمليات الهجمات الجوية التي جرت منذ حادث الاختطاف، ومن بينها قصف الجسور وقصف قواعد حزب الله. ثم أتبع ذلك باستعراض خطة الجيش فيما يتعلق باستمرار الرد. وقال: "إن الهدف الإستراتيجي هو زيادة قدرتنا على الردع... وتشكيل العلاقات مع لبنان الدولة، ومطالبتها بتحمل المسؤولية السياسية عما يجري في جنوب لبنان". وفيما

يتعلق بالعمليات قال إن الخطة هي "توجيه ضربة متزامنة للبنية التحتية اللبنانية ولحزب الله للتأكيد على أن الثمن الذي سيدفعه سيمثل خسارة". وطرح خطتين، الأولى هي "كساحة الجليد" وفي إطارها سيجري قصف البنية التحتية اللبنانية وأهداف تابعة لحزب الله (وعلى حد قوله فقد بدأ تنفيذ هذه الخطة بالفعل). وكانت الخطة الثانية تقضي بالقيام بعملية برية تستخدم فيها عدة فرق عسكرية ويجري الإعداد لها منذ اليوم الأول. بعد ذلك انتقل رئيس العمليات إلى وصف العمليات الجوية المخطط للقيام بها في الليلة التالية؛ وكانت تقضي بضرب محطتين لتوليد الكهرباء والحاق ضرر جزئي يقدر بنسبة ٢٠-٣٠٪ من إنتاج الكهرباء في لبنان، وضرب مركز عمليات حزب الله في بيروت ومحطة تليفزيون المنار ومطار بيروت (٢) ومنصات إطلاق الصواريخ فجر.

ثم تحول النقاش إلى مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية. وقال رئيس الأركان إنه يفضل ضرب البنية التحتية على ضرب شبكة الصواريخ الأرض أرض. اتخذ وزير الدفاع موقفاً مختلفاً، وأوضح السبب الذي يجعله يفضل ضرب شبكة صواريخ حزب الله ويرفض مهاجمة أهداف البنية التحتية اللبنانية: "... لأن هذا لن يلحق الضرر سوى بالسكان المدنيين، الذين لا يؤيدون حزب الله في الأصل... (وفي مقابل ذلك) فإن أحداً لا يتوقع خطوة مهاجمة الصواريخ. وستكون هذه الخطوة ضربة مباشرة لهم. وبعد هذه الخطوة سوف يفهم نصر الله أيضاً أنه لا يمكنه العبث معنا".

اعترض رئيس الموساد مرة أخرى على الافتراض الأساسي للجيش قائلاً: "أعترف لكم بأنني لم انجح في فهم ما هي أهداف الهجوم. لو كنا نريد أن نجعلهم يدفعون الثمن فلا بأس. أما لو كنا نريد تحقيق أهداف أخرى... فسوف يتطلب هذا مدة طويلة من العمل المتواصل في لبنان إذا كان هدفنا الإستراتيجي هو تغيير المعادلة في لبنان... فأعتقد أننا لا بد أن نستوعب أننا مقبلون على حدث سيستغرق وقتاً طويلاً. ولا توجد وسيلة لإنهاء المسألة بالقصف الجوي". وكانت توصيته هي "عدم ضرب أهداف البنية التحتية لأننا بذلك ندفعهم بشدة (أي السكان المدنيين) لتأييد حزب الله". ولذلك اقترح "مهاجمة حزب الله بكل قوة، والقيام بعملية برية في لبنان".

ورد رئيس الأركان بأنه يعارض القيام بعملية برية في لبنان في هذا التوقيت. وقال إن هذا الأمر في نظره ليس مطروحاً على الإطلاق رغم أن القصف لن يحل المشكلة... وقال إنه لا يمكنه القول أيضاً بأن هذه المشكلة قابلة للحل عن طريق عملية برية... ومع ذلك،

واستعداداً لإمكانية تدهور الموقف، اقترح التصديق على البدء فى إجراءات استدعاء فرقة احتياط فى حالة الضرورة. وقال: "أريد فى هذا الاجتماع الحصول على الإذن باستدعاء قوات الاحتياط لو احتجنا إليها".

٤٤ - تحدث رئيس الأركان فى شهادته أمام اللجنة عن كلامه فى هذه الجلسة وقال:

عندما بدأنا التحرك فى اليوم الأول كان تقديرى بالنسبة لمدى احتياجنا للقيام بعملية برية أن هذا احتمال ضعيف. فهو احتمال وارد ولكنه ضعيف جداً. ولذلك ركزت على أن أشرح لهم فى البداية مفهوم الحرب من خلال القصف. أثناء التشاور مع بعضنا البعض - وقد فعلنا هذا كثيراً - كانت الفكرة المطروحة هى أننا سننفذ خطة "كساحة الجليد" أو خطة "الغيث" وهى الخطط المتفق عليها فى هيئة الأركان. فتحن لم نأت بأفكار جديدة، ولم يكن لدينا أى أفكار أخرى. وتبدأ خطة "كساحة الجليد" وخطة "الغيث" بقصف نيرانى وتنتهى فى الواقع بعملية برية واسعة النطاق، ولكنها تتضمن مراحل تتطور فيها. وبالفعل فقد عرضت الخطوة الأولى فى اجتماع الحكومة وقلت إننا قد نضطر للقيام بعملية برية، ولكننى لا أحبذ القيام بها فى هذا التوقيت - هذا لو كنت أذكر التعبير الذى قلته جيداً - وقلت إنى لا أريد الوصول إلى هذا الحد".

٤٥ - أكد عاموس جلعاد أيضاً أنه لا بد من مهاجمة شبكة الصواريخ أولاً. وقال إنه يوصى بالامتناع عن مهاجمة محطات الكهرباء... وقال إنه لا بد من توجيه ضربة قوية لحزب الله. وقال إن هذا الأمر قد يتطلب عملية برية أيضاً. وكان منطقته أن ضرب البنية التحتية سوف يسيء إلى شرعية التحرك الإسرائيلى فى لبنان، وسيؤدى لقصف الجبهة الداخلية، بينما لن تؤدى مهاجمة شبكة الصواريخ إلى قصف إسرائيل بالضرورة، وبالطبع لن تسيء إلى شرعية التحرك الإسرائيلى. وقد أيد رئيس مجلس الأمن القومى هذا الموقف.

أثناء الجلسة أكد وزير الدفاع مرة أخرى على موقفه الذى يرى "أن الشيء الوحيد الذى سيجعل حزب الله يدرك أنه تعرض لضرر بالغ هو مهاجمة شبكة صواريخه".

٤٦ - أنهى رئيس الوزراء الجلسة على النحو التالى: - إن المجتمع الدولى يدرك أن دولة إسرائيل سوف توجه ضربة، وهو يعتقد أن السنيورة يمثل الأمل للبنان ولذلك سيعارض فى توجيه ضربة جوهرية للبنان.

- بالنسبة للساحة الداخلية "يكاد يكون من المؤكد أن العملية التى نحن مقدمون عليها سوف تستوجب من دولة إسرائيل مواجهة واقع ربما لم تعتد عليه على مثل هذا النطاق منذ قيامها يتمثل فى تعرض الجبهة الداخلية للقصف... ليس فى استطاعتنا الحديث عن

قصف على نطاق مئات الصواريخ التى يمكنها الوصول إلى العمق الإسرائيلى وافترض أن تأثيرها سيكون مماثلاً لتأثير صواريخ القسام التى يطلقها المخربون فى الجنوب".

- كنا طوال الوقت نتحدث عن إمكانية وقوع عملية اختطاف كهذه. وقد وقعت وأدت لموقف لا بد فيه أن نتحرك. ونحن نعلم أن امتناعنا عن التصرف سيكون له ثمن فادح. والسؤال المطروح هو أى الأثمان المطروحة أكبر".

- لست أدري كيف سيتعرض حزب الله لضرر بالغ وكيف سنغير المعادلة لو قمنا بقصف محطات الكهرباء فى لبنان، وهو ما قد يؤدى لمزيد من دعم المدنيين فى لبنان لحزب الله... وهذا الأمر سيثير المجتمع الدولى ضدنا... لذلك لا بد أن نركز على مهاجمة أهداف تخص حزب الله فى المقام الأول، مع إدراك أننا سنواجه موقفاً يستغرق منا عدة أيام.

◆ جلسة الحكومة:

٤٧ - عقدت جلسة الحكومة فى الساعة الثامنة مساءً فى تل أبيب.

استعرض رئيس العمليات التطورات التى جرت فى لبنان منذ حادث الاختطاف الذى وقع فى أكتوبر ٢٠٠٠. واستعرض حجم وقدرات شبكة الصواريخ التى يملكها حزب الله، وتقديرات حزب الله لرد الفعل الإسرائيلى وردة المتوقع عليه. وقال إنه يعتقد أن حزب الله سوف يرد بالقصف بالصواريخ بالقدر الذى يعتقد أنه مناسب للضرر الذى ألحقناه به.

ووافق رئيس الموساد على أن رد حزب الله سيكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمدى الضرر الذى سيعتقد أننا ألحقناه به. وإذا اعتقدوا أن الضرر شديد أو أن المصالح الحيوية للبنان أو لحزب الله سوف تتعرض للضرر لا بد أن نفترض أن حزب الله سيرد بقصف الداخل الإسرائيلى.

وأكد رئيس الأركان أن هناك تطور لا بد من منع حدوثه بأى طريقة. لأننا لو سمحنا بأن تتكون لديهم فكرة خادعة تقيد بأننا نخشى الصواريخ التى ستطلق على الداخل الإسرائيلى، فسيؤدى هذا الأمر إلى تكرار حوادث الاختطاف مرة بعد أخرى إلى أن يحققوا التوازن الكمى الضرورى فى نظرهم، الذى يؤدى لتلبية مطالبهم.

رداً على سؤال لوزيرة الخارجية بشأن مفهوم النصر قال رئيس الأركان إنه من الناحية الفعلية لا يوجد هنا نصر. أو أن النصر لن يتحقق بالضربة القاضية. وقال إنه يعتقد أن ما يجب عمله هو الرد بالقدر الكافى من القوة الذى يجعل العناصر الدولية تنبرى للتدخل فى الموضوع فى الموضع المناسب لنا حتى

نتمكن من إيقاع ضغط على العناصر المناسبة. وقال إنه لا يعتقد أن هناك أى عملية عسكرية يمكن أن تؤدي لإعادة المختطفين من لبنان... وقال إن أحد الأشياء التي يسعى لتحقيقها لدولة إسرائيل هو منع وقوع حادث الاختطاف التالي، أو تقليل فرصة وقوعه. ولن يتحقق هذا عن طريق الامتناع عن التصرف أو عن طريق الضمانات الدولية من جانب الأوربيين أو أى طرف آخر.

بالنسبة للخطوط العامة للعملية اقترح رئيس الأركان أن تجرى العملية على مستويين ضد دولة لبنان وضد حزب الله، وألا يكون هناك من هو محصن من الهجوم، لأن هذا هو ما سيحقق لنا الردع. ورغم أن اللبنانيين يتمتعون بتعاطف غير عادي على المستوى الدولي فلن يكون في استطاعتهم الاستفادة بهذا التعاطف لاحتواء أو ردع أو منع الهجوم الإسرائيلي... وقال إنه يدرك أن العملية ستؤدي لإطلاق صواريخ حزب الله على إسرائيل. وقال إننا لا يجب أن ننسى أن هناك دولة (لبنان)، وهي دولة لديها بنية أساسية جيدة واقتصاد جيد ولديها الرغبة في الانتماء إلى دول العالم المتحضر. وهذان هما الاتجاهان (مهاجمة لبنان الدولة ومهاجمة حزب الله).

وأكد وزير الدفاع أن إسرائيل لا بد أن ترد على حادث الاختطاف. وقال إنه يعتقد أن حزب الله لو أراد الآن وقف هذا الحادث (بإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين) والتوصل إلى وقف لإطلاق النار، فسيكون في هذا فشل ذريع لنا". وبالنسبة للاختيار بين مهاجمة أهداف حزب الله أو مهاجمة البنية التحتية اللبنانية أيد وزير الدفاع قصف كليهما. وقال: "أعتقد أن حزب الله لا بد أن يدفع ثمناً فادحاً. ويجب أن يكون الثمن كبيراً بحيث يدرك حزب الله أن هذا الحادث غير قابل للتكرار... ولكن لا يجب أن نعفى لبنان من مسؤوليتها. ولا بد أن تجرى العمليات بحيث توضح أيضاً مسؤولية دولة لبنان".

٤٨ - سئل وزير الدفاع أثناء شهادته أمام اللجنة عن تقديراته بشأن المعركة وأهدافها والمدة التي اعتقد أنها ستستغرقها. وفيما يلي رده: "كان تقديري أن المعركة سوف تستمر لفترة تتراوح بين عشرة أيام وأسبوعين. وكنت أعتقد أن المجتمع الدولي لن يسمح باستمرارها أكثر من ذلك، وذلك رغم اعتقادي أنه كلما طالّت الفترة التي سنتيحها لقواتنا للعمل كلما تمكنت من إضعاف حزب الله أكثر، حتى نصل به إلى نقطة أبعد بكثير من التي كان يقف عندها في البداية... فاستمرار العملية لعشرة أيام سيعيده إلى الوراء كثيراً. وكنا ندرك أنه لن يكون من الممكن تصفية تلك المنظمة الإرهابية... وبالتالي فقد كان هدفنا إضعافها وتحقيق

ميزان ردع مختلف في مواجهتها، وتغيير الأوضاع، بحيث يصبح هناك طرف مسئول عن المنطقة ويمكن أن نتعامل معه. لأن الشيء الرئيسي الذي كان لا بد أن نفعله حقاً هو تغيير الموقف فيما يتعلق بالمسؤولية عن جنوب لبنان... كنت متقبلاً تماماً للمحتوى الإستراتيجي للحرب حسبما قررتها الحكومة... وكان يكاد يكون مطابقاً للهدف الإستراتيجي الذي بلوره الجيش وعرضه على وأصبح أساساً للقرار الذي اتخذته الحكومة. ويمكنني القول بأن هناك موضوع واحد كان تقيمه دائماً شائكاً وهو مشكلة المختطفين. كانت المشكلة هي كيف نوضح للقوات المقاتلة ولدولة إسرائيل كلها وكذلك للعدو أننا نولي أهمية شديدة لقضية الجنود المختطفين ونعتبرها إحدى النقاط التي جعلتنا نشن الحرب، وأننا نعتبر حل مشكلة المختطفين جزءاً من شروطنا لإنهاء الحرب. وكنا من جهة أخرى ندرك أنه لا توجد سوى فرصة محدودة لإعادة المختطفين إلى أرض الوطن مع انتهاء الحرب في يوم وقف إطلاق النار. وذلك لأن حزب الله يعتبر المختطفين ورقة المساومة الأهم بالنسبة له، وسيستمر في الاحتفاظ بها قدر الإمكان. ولذلك فعندما تحدث بشكل علني عن هذا الموضوع كنت أريد أن أبعث برسالة حازمة وقاطعة، ولكن تقديري كان أننا نسعى لخلق ظروف تسمح بعودة المختطفين. وقد كان هذا هو اعتقادنا في نهاية الأمر. وكان الهدف الثاني بالطبع هو تحقيق معادلة التعامل مع الدولة اللبنانية وإعادة المسؤولية إليها عن المنطقة الجنوبية.

٤٩ - بعد هذه الافتتاحية بدأت المشاورات الوزارية. وسوف نورد فيما يلي بعض ما جاء فيها. طرح الوزير يتسحاق هرتسوج أسئلة بشأن الآليات التي تعتزم الدولة الاعتماد عليها. وأراد التحذير من القيام بعملية تؤدي لوحدة اللبنانيين ضدنا وتقوى شوكة حزب الله. وطلب الوزير هرتسوج إعداد الجبهة الداخلية بشكل جيد. وتساءل عما إذا كانت هناك خطة لمواجهة الصواريخ بحيث لا تصيب الداخل بالشلل.

٥٠ - في حديثه أمام اللجنة تحدث الوزير هرتسوج أيضاً عن أسلوب اتخاذ القرار داخل الحكومة، وقال: لا بد أن تفهموا كيف يتبلور في رأيي إجراء عقد جلسة الحكومة. فهناك مشكلة معينة في هذا الشأن، وأقصد في الأداء المتعلق بهذا الإجراء. وأعني هنا أن الإجراء الحاسم في رأيي هو بلا شك الإعداد السابق على جلسة الحكومة، والذي لا يتم إشراكنا فيه على الإطلاق. وأعني بهذا أنني لا أفهم على الإطلاق كيف جرى هذا الإعداد وما الذي حدث فيه مرحلة بعد أخرى، وكيف كان مستوى المباحثات. لا أحد يخبرنا بشيء عن هذا. وأثناء الجلسة نحن نتحدث ونتخذ

قرارات ونستمع لاستعراضات للمواقف، غير أن كل شيء يكاد يكون جاهزاً مسبقاً، ولا يجرى هنا حوار تمهيدى أو إعداد تحالفات تمهيدية مع أو ضد القرار. ولو راجعت ما يحدث جيداً لوجدت خطأ فى المباحثات العامة. وهذا الخطأ أصبح راسخاً لأنه موجود من قديم الأزل. وفى إطاره يقوم العسكريون باستعراض ما لديهم ويعلق الوزراء عليه. والآن ما يحدث هو أن بعض الوزراء يستغرق وقتاً طويلاً فى الحديث. ولا يتمكن الجميع من الحديث دائماً. وفى أثناء الجلسة تجد قصاصات ورق وتجد هرولة وتجد اتصالات هاتفية بزعماء العالم. ولا يكاد المرء يشعر بأن هناك من ينصت تماماً لما يقال من ملاحظات فى غرفة الاجتماعات. والمشكلة هى هل فى ظل هذه الفوضى يوجد من يستمع حتى للملاحظات غير العادية. هناك من يكتب قصاصات وهناك من يدلى بملاحظات كأننا فى جلسة للبرلمان. وهناك نوع من التعجل الشديد والاستعجال فى كل شيء لأن من يريد تمرير القرار يعرف فى النهاية ما الذى يريده. فهو يفرض القرار الذى يتماشى مع فكره وطبيعته وشخصيته لأنه هو زعيم الشعب وهذا أمر طبيعى".

٥١ - استعرض نائب رئيس الوزراء شمعون بيريس السياق العريض للعملية وأكد أن الآليات التى يمكن الاستعانة بها لإحداث التغيير ضعيفة جداً. وأشار إلى أن النظام العالمى ضعيف، وأن الضغط العسكرى الإسرائيلى على لبنان لا يمكن أن يسفر عن أى نتيجة نظراً لضعف الحكومة اللبنانية. وأعرب الوزير بيريس عن تشككه فى جدوى القصف عن بعد، نظراً لأنه من المنطقى افتراض أن حزب الله قد استعد لهذا القصف واختبأ. وأشار إلى أن الرد المقترح يبدو روتينياً ومتوقفاً وقصير النظر. وقال إنه يعتقد أن الاتجاه الأكثر تأثيراً هو إيقاع ضغوط فرنسية أمريكية على حكومة لبنان، لأنها ترتبط بالدولتين وبالتمويل الذى تتلقاه منهما. كما أشار إلى أن مثل هذه الخطوة المقترحة لن تؤدي إلى إطلاق سراح الأسرى. وأنهى حديثه بأننا لابد أن نرد بالفعل ولكننا لابد أن نفعل ذلك بشكل خلاق وليس من خلال المبالغة فى تقدير قوتنا. وأثناء حديثه توجه السيد بيريس بالخطاب إلى رئيس الأركان قائلاً: "لابد أن نفكر فى خطوتين إلى الأمام وليس خطوة واحدة. لنقل إننا فعلنا هذا وإنهم ردوا، فماذا سنفعل بعد ذلك؟" ورد رئيس الأركان عليه قائلاً: لقد فكرت فى خطوتين إلى الأمام، بل وفكرت فى أربع خطوات. ولكن كل هذه الخطوات تبدو لي كأنها نفس الخطوة مضروبة فى أربعة... لا يوجد هنا من يمكنه تصور أربع خطوات للأمام. ولو كان لدينا من لديه القدرة على ذلك فليعرض تصوره وسوف أجادله فيه".

وذكر الوزير إيلى يشاى أنه يعترف بتعقيد الوضع

ولكنه يؤيد أن يكون الرد قوياً. وطلب التفكير فى تحميل المسؤولية لسوريا أيضاً. كما أكد أنه لابد أن يكون التحرك من خلال القصف الجوى فقط حتى لا تتعرض حياة الجنود للخطر.

٥٢ - فى شهادته أمام اللجنة أوضح الوزير يشاى موقفه قائلاً:

من الواضح أننا جميعاً كنا نعتقد أن الجبهة الداخلية قوية ومتماسكة وتقدم لنا القوة والدعم. ولكنها قد تفعل ذلك لمدة يوم أو يومين أو لمدة أسبوع أو أسبوعين، ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. ولذلك كنت أعتقد أننا لابد أن نفعل ما قلته. وحينئذ سوف يتحرك العالم كله وعلى رأسه الأوروبيون والسعوديون. وبالمناسبة فإن الدول العربية أيضاً كانت تود أن تنهى ذلك الموضوع هناك بسرعة لأنهم لا يحبون هذا الارتباط بين إيران وحزب الله وسوريا... إسمعوا. أنا لست وزير الخارجية، ولست مسئولاً عن السياسة الخارجية.. وأنا احترم آراء الآخرين. لم يكن هناك من يقبل رأى سوى أقلية تقتصر علينا أنا ورامون الذى كان يعتقد نفس الشيء".

كنت أعتقد وأعلنت فى حينه أننى أعتقد أننا لابد أن نوجه ضربة قوية للبنية التحتية.. حتى فى القرى التى يطلق منها صواريخ على إسرائيل... وقلت لهم إننى لا أعرف ما إذا كان من الممكن تحقيق نصر فى الحرب ضد جماعة مسلحة. ولكننى لا أريد شيئاً سوى أن يعلموا أنهم لو كانوا فقدوا صوابهم فلا بد أن نجعلهم يعتقدون أننا مجانين. لأننا لو كنا سننساق لدخول المستنقع اللبناني، ولو كنا سنعود إليه، لابد أن نعرف قدراتنا ومزايانا وعيوبنا، وأحصيت العيوب، ومنها أن لديهم انتحاريين، وليس لديهم أى مشاكل فى هذا، بينما لدينا كل جندي له قيمة، وكل شعرة من رأس جندي تساوى الدنيا وما فيها، ولذلك فلا بد من التعامل مع الموضوع بطريقة مختلفة. وقلت لهم تعالوا نحاول تحديد الثمن. وأظن أن هذا كان فى اجتماع مجلس الوزراء... بالنسبة للرد القوي.. كنت منذ البداية معارضاً للدخول بقوة برية، منذ اليوم الأول، منذ اللحظة التى كانت فيها أغلبية مؤيدة للعملية داخل الحكومة. وأعتقد أنهم لو أجروا استطلاع رأى لوجدوا أغلبية غير مسبقة تؤيد هذا الرأى ولها الحق فى ذلك. ليس من الممكن أن تتركهم طوال ست سنوات يتزودون بالسلاح ويختطفون جندياً بعد الآخر إلى أن فقدنا القدرة على الردع. وسمعنا تقارير من أجهزة المخابرات؛ من المخابرات العسكرية ومن الشاباك. ووجدنا أنفسنا نواجه مشكلة بالغة مع هذا المجنون نصر الله. ولم يكن من المقبول أن نتفاوض عما حدث

ونقول لن نفعل شيئاً. فبعد ذلك بشهر أو اثنين سوف يختطف جندياً آخر. ليس في استطاعتنا التسليم بفقدان قدرتنا على الردع. ولذلك كنت أعتقد أننا لا بد أن نقوم بعملية هجومية قوية، هدفها تدمير حزب الله ونصر الله وتقليل الأسلحة المتاحة لهما بقدر الإمكان. ووضعهما في وضع حرج. ورغم أن حزب الله يعمل في لبنان وهناك فصل بينه وبين السنيورة، فقد قلت في كل مكان - وهذا الكلام مسجل في محاضر الجلسات - إننا لا يجب أن نميز بينه وبين السنيورة. هذا غير وارد. ففي اللحظة التي سنميز فيها بين الطرفين سيواصل حزب الله مهاجمتنا. ولكننا لو فعلناها مرة (وهاجمناهما معاً) فسوف يجن العالم. لا يهمني أن يأتي العالم للتصدي لنا. ولكننا بهذه الطريقة سنحافظ على قدرتنا على الردع.

أما الوزير حاييم رامون فقد اعتبر حادث الاختطاف بمثابة إعلان حرب. وكان رأيته أنه لا يوجد محل لردود تتسم بالاعتدال. وكان الاختيار في نظره بين الامتناع عن الرد وبين الرد بقوة مفرطة. وقد أوصى بالخيار الثاني.

وأكد الوزير آفي ديختر أنه لن يكون من الصواب الرد على حادث الاختطاف بطريقة أقوى من اللازم. فرغم أن هذا الحادث محرج إلا أنه لا يجب إعطاؤه أهمية أكثر من اللازم. واقترح الوزير تحديد أهداف معقولة للعملية مثل إنهاء وجود حزب الله بجوار خط الحدود. كما أشار إلى ضرورة البحث عن حل فعال لمشكلة صواريخ القسام التي لم نجد لها الحل المناسب لفترة طويلة.

وأكد الوزير جدعون عيزرا ضرورة التحرك السريع نظراً لوجود شعور بأننا ضعفاء. وأكد أن الشيء المؤثر في لبنان هو مهاجمة البنية التحتية لأن مسلحي حزب الله قد اختبأوا بالفعل. كما أشار إلى أنه لا يجب العمل بطريقة تستوجب بقاء قواتنا في لبنان.

وأشار الوزير أوفير بينس إلى ضرورة الرد نظراً لضعف قدرتنا على الردع، ولكنه حذر من التصعيد. وتساءل في موضع لاحق عن السبب في عدم الإفادة من التحقيق في تجارب الماضي، وذلك على ضوء وقوع حادث اختطاف في جنوب لبنان بعد فترة محدودة من وقوع حادث اختطاف في كرم أبو سالم في غزة.

الهوامش وتعليقات المترجم:

١ - قال رئيس الأركان في شهادته أمام اللجنة ما يلي: "لقد قلت هذا الكلام في اليوم الأول. لم أقل إنه لن تكون هناك عملية برية وإنما قلت في جلسة الحكومة في اليوم الأول إنتى لا أوصى بالقيام بعملية برية الآن. وأقول لك إن ما قلته أياً كان لا يعبر عن شيء سوى عن الجو السائد. وقد كان الجو العام خارج هيئة الأركان ضد القيام بعملية برية. وقد صدرت تصريحات علنية بهذا المعنى لوسائل الإعلام. وقد صدر تصريح مباشر عن وزير الدفاع قال فيه: إن دولة إسرائيل لن تقوم بعملية برية واسعة النطاق في لبنان. ولست أدري ما إذا كان هناك من صرح بذلك غيره. ولكن ليس هذا هو موضوعنا، فموضوعنا هو الجيش. كان ما قيل داخل الجيش في اليومين أو الأيام الثلاثة الأولى هو أن العملية البرية لا تلقى تأييداً الآن. ولكن هناك تأييد للاستعداد لعملية برية. وقد قلت لك إنى أخطأت فيما يتعلق برفع درجة الاستعداد، لأن استعدادنا لم يكن على نطاق أوسع وفي وقت أسرع. ولأن استعدادنا كان جزئياً.

٢ - يتضمن هذا الجزء من التقرير اعترافاً واضحاً بأن العمليات الإسرائيلية كانت موجهة عن قصد لإلحاق الضرر بالمدنيين من خلال ضرب منشآت البنية التحتية، وهو ما يعد جريمة حرب بموجب القانون الدولي شاركت فيها القيادة العسكرية التي طرحت الخطة ونفذتها والقيادة السياسية التي صدقت عليها.

شهادات

مذكرات قائد أمريكي لا يحب إسرائيل؛ "عليك الطائرات، ودع لنا الكونجرس"

بقلم: أمير أورين - هآرتس ٢٢/٩/٢٠٠٧

وبعد أن أتاح المعهد للجمهور الإطلاع على المذكرات كاملة، يتبين مدى خطورة المشكلة التي واجهتها إسرائيل في البنتاجون خلال حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣)، بينما كان مورير يشغل المنصب الأكبر في الجيش الأمريكي كرئيس لهيئة الأركان المشتركة.

يميل الإسرائيليون إلى التعامل مع المؤسسة الأمريكية وكأنها قطعة قماش واحدة.. ولكن في أكتوبر ١٩٧٣، كان لدى إسرائيل عدد قليل من الأصدقاء في العاصمة الأمريكية، وعدد أكبر قليلاً في السلطة التشريعية، وأقل في السلطة التنفيذية. وكلما طالت أيام الحرب، أصبح مصير إسرائيل معتمداً بصورة متزايدة على إمدادات الأسلحة والذخائر عبر "الجسر الجوي" بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

كان الرئيس ريتشارد نيكسون غارقاً في فضيحة ووترجيت، بينما اعترف نائب الرئيس، سبيرو أجنيو، بتهمة الفساد واستقال من منصبه، أما وزير الدفاع، جيمس شليزنجر، ومدير وكالة المخابرات المركزية، ويليام كولبي، فقد كانت علاقتهما مع إسرائيل شديدة الفتور. أما مورير، ممثل الجيش في مجلس الحرب، فقد لعب دوراً هاماً.

سيقول أتباع مورير - المولود سنة ١٩١٢ - إنه كان محافظاً، جنتلمان من الجنوب من المدرسة القديمة شعر بالاشتياق إلى تراث البلدة التي شهدت مولده في ألاباما واشتاق أكثر إلى العلاقات القديمة بين الأعراق وبين الجنسين. أما المراقبين الذين لا يعرفونه جيداً، فسيضطربون إلى وصفه بالعنصري المعادي للسامية ومتعصباً شوفينياً. يقول مورير في تفسير معارضته لخدمة النساء في الجيش: "المرأة تعطى الحياة، والرجل يأخذ الحياة". كما أن التمييز الإيجابي لصالح السود، سواء داخل المجتمع أو في الجيش، أغضبه. وقال أيضاً إن المهاجرين من كوبا إلى ميامي لن يرفضوا العمل في أي نوع من الأعمال، وأنهم سيكونون

في أحد أيام الخريف من أكتوبر ٢٠٠٣، اجتمع ثلاثة رجال مسنين في إحدى قاعات الكونجرس بواشنطن، وقرأوا أمام كاميرات التلفزيون نتائج لجنة التحقيق التي يرأسونها - والتي كانت لجنة تحقيق خاصة، وليست لجنة رسمية أو قضائية. كان الثلاثة هم المدعى العام العسكري السابق للأسطول الأمريكي، والسفير الأمريكي السابق لدى السعودية، وثالثهم وأهمهم الأدميرال توماس مورير الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة في البنتاجون.

تقصت لجنة مورير الحقائق في مهاجمة المقاتلات وسفن البحرية الإسرائيلية لسفينة التجسس الأمريكية "ليبرتي" في يونيو ١٩٦٧. الإسرائيليون الذين بحثوا المسألة، ومعهم بعض الأمريكيون، لم يكن لديهم شك في أن الهجوم وقع بطريق الخطأ نتيجة خطأ في التحديد وبسبب حالة الفوضى التي سادت أثناء حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧). ومع ذلك، فإن الناجين من السفينة والمتعاطفين معهم - ومن بينهم مورير - لم يعد لديهم شك أيضاً في أن ما حدث كان مخطط إجرامي لإغراق السفينة والقضاء على أفراد طاقمها - قتل ٢٤ فرداً وأصيب العشرات.. ووفقاً لهذا التفسير، كان الرئيس ليندون جونسون ووزير دفاعه روبرت مكنمارا شريكين في هذه المؤامرة.

تبلور رأي مورير هذا قبل فترة طويلة من انضمامه إلى لجنة التحقيق، التي اعتمدت نظرية المؤامرة. دوماً ما كان مورير يتحدث ضد إسرائيل، ولاسيما دورها في قضية السفينة "ليبرتي" ونفوذها في واشنطن.

وفي فبراير ٢٠٠٤، بعد أسابيع معدودة من ذلك اليوم في الكونجرس، وقبل أربعة أيام فقط من عيد ميلاده الـ ٩٢، رحل مورير عن عالمنا. وبعد وفاته، تم الإفراج عن أجزاء من المذكرات التي كان يملئها مورير في عقدى السبعينيات والثمانينيات على صحفى من المعهد الأمريكي البحري في أنابوليس. ولكن الآن فقط،

أكثر تطلعا ونشاطا من السود "كما أنهم سيستحمون مرة كل أسبوع على الأقل".

أحد الأصنام التي يقدسها مورير كان وزير البحرية، وبعد ذلك وزير الدفاع في إدارة ترومان، جيمس فورستال، الذي عارض في ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل. يعتقد مورير أنه لم يسبق للإدارات الأمريكية أن أوضحت للدول العربية - "التي نفرت من الشيوعية نظراً لتعارضها مع الدين الإسلامي" - سبب تأييدها لإقامة دولة إسرائيل.

كان مورير أقل إعجاباً بوزير الدفاع الثاني في إدارة جونسون، كلارك كليفورد، المتعاطف تماماً مع إسرائيل. مورير، الطيار المقاتل في سلاح البحرية، كان متواجداً في قاعدة بيرل هاربور في نفس اليوم الذي تعرضت فيه القاعدة للهجوم الياباني. وفي أحد المعارك الجوية قبالة السواحل الأسترالية، أثناء الحرب العالمية الثانية، أصيب خزان الطائرة التي كان يقودها بطلقة من رشاش طائرة يابانية، فتسرب الوقود من الطائرة واشتعلت فيها النيران. لقد كان مورير ضحية لسياسة التوفير الحمقاء: اليابانيين، والألمان، وحتى البريطانيين كانت لديهم بالفعل خزانات وقود مصفحة، وبثمن الطائرة التي أسقطت، كان يمكن تحصين مائة طائرة أمريكية أخرى.

بعد ذلك بسنوات، عندما أدلى بشهادته في الكونجرس، دافع مورير عن سياسة التزود بوسائل قتالية مكلفة، وسأل أعضاء مجلس الشيوخ الذي لديهم أبناء طيارين ما إذا كان توفير وسيلة حماية إضافية لأبنائهم يعد إهداراً للمال فعلاً. وأضاف: "التوفير شيء عظيم إلى أن تصبح في قلب البحر وتعرض لإطلاق نار. حينها تتغير رؤيتك للأشياء تماماً".

مر مورير بتجارب قاسية ومؤلمة.. قفزه من طائرته في قلب البحر، والتقاطه جريحا بواسطة سفينة أسترالية، وغرق السفينة التي كان على متنها وقت الهجوم الياباني، ثم قذفه في قارب نجاة نسوا أن يضعوا فيه ماءً وبوصلة. تضامنه مع ضحايا السفينة "ليبرتي" تضامن عاطفي أكثر من كونه تضامن مع رفاق من نفس السلاح. وينطبق نفس الشيء على تفهمه لمعاناة جنود الجيش المصري الثالث، الذي حاصرتهم القوات الإسرائيلية في أواخر حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣).

بعد ساعة واحدة من الحرب، في الساعة ٥: ٨ من صباح السادس من أكتوبر بتوقيت نيويورك، أجرى وزير الخارجية هنري كيسنجر - الذي كان موجوداً في نيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة - اتصالاً هاتفياً مع الجنرال في سلاح الجو برنت سكوكروفت، حيث أمره كيسنجر: "ارفعوا حالة

الاستعداد في الأسطول إلى الدرجة القصوى، بحيث نستطيع تحريكه إذا أردنا. اعرف لي الوقت اللازم للانتهاء من ذلك. وأبلغ وزارة الدفاع أن تتكتم مسألة التحركات العسكرية. اعرف من مورير ما هي القوى المتاحة للحركة في جميع أنحاء الأطلنطي ومدى سرعة فعل ذلك". أجاب سكوكروفت قائلاً: "أثنتين من حاملات الطائرات لن تكونا قادرة على استدعاء قواتهما، لأننا في عطلة نهاية الأسبوع". تماماً كما حدث في بيرل هاربور، ولكن هذه المرة كان الإسرائيليون هم ضحايا المفاجأة.

رفض مورير اتهام المخابرات الأمريكية بالمسؤولية عن عدم تحذير إسرائيل من الهجوم المصري-السوري. تفوقت المخابرات في الكشف عن قدراتها، ومع ذلك فإن التنبؤ بنوايا رؤساء الدول يتطلب "قراءة العقل". يقول مورير: "الإسرائيليون لم يعتقدوا أن المصريين سيعملون ضدهم. لنفترض أن الولايات المتحدة، أو الاستخبارات الأمريكية أو البنتاجون حذروا الإسرائيليين من أنهم على وشك التعرض لهجوم، وأنهم بناءً على هذه المعلومات قرروا الهجوم أولاً، في أعقاب مشورتنا. كان ذلك سيجعل موقفنا وكأنه نصيحة - من ناحية غير مباشرة على الأقل - بأن يفعلوا شيئاً حيال ذلك. لو قام الإسرائيليون حينها بضربة وقائية، لحملوا مسؤولية الحرب، لأن الجميع كان سيقول: أنتم الذين دفعتم باتجاه الحرب. أنتم الذين بدأت الحرب. العرب كانوا يؤمنون بهذا، وهو ما كان يعزز موقف المصريين، والروس والسوريين. لم يكن دورنا أن ننصح الإسرائيليين إذا كانوا على وشك التعرض لهجوم".

ووفقاً لمورير، كان هناك هدفان أساسيان لإدارة نيكسون - كيسنجر في الحرب: "عدم السماح للعرب بإلقاء إسرائيل في البحر، وعدم السماح لإسرائيل بإذلال العرب. لذا، أردنا التوصل إلى وقف لإطلاق النار حتى يمكننا أن نبدأ الحديث". ويضيف مورير قائلاً: "في اليوم الأول أو الثاني من الحرب، وضع الرئيس سياسة تعويض الخسائر التي منى بها الجيش الإسرائيلي - الذي أخطأ في تقدير فترة استمرار الحرب، وبالتالي أخطأ في تحديد كمية الذخائر المطلوبة. بات من الواضح أن طائرات شركة العال لا يمكن أن تفي بمتطلبات نقل العتاد بالسرعة المطلوبة لتعويض ما تم تدميره. كما لم توافق أي شركة طيران أخرى على تأجير طائرات نقل لهم".

"ناقشوا في البنتاجون تفعيل القانون الذي يسمح بتعبئة الطائرات التجارية في أوقات الطوارئ، ولكننا رأينا أن هذا لن يحل المشكلة.. قلت لشليزنجر: يبدو من طريقة سير الأمور أننا سنضطر إلى تزويدهم بالعتاد عن طريق خدمة النقل الجوي العسكري. دعنا

نكف عن التنقل بين البدائل، ولنمسك بالثور من ذيله ونقول، حسنا نحن بصدد استخدام خدمة النقل الجوي العسكري. وبالطبع ما كانوا يحاولون القيام به في الساحة السياسية هو تجنب الظهور بمظهر المشاركة المباشرة في الحرب".

ولكن حتى قرار استخدام الطائرات العسكرية الأمريكية لم يحل المشكلة. يقول مورير: "الأوروبيون رفضوا السماح لنا بالهبوط في مطاراتهم. كان لابد أن نتوقف للتزود بالوقود. من الممكن بالطبع قطع المسافة مباشرة من أمريكا إلى تل أبيب دون توقف، ولكن هذا كان يتطلب وجود مجموعة من الطائرات المسؤولة عن تزويد الطائرات بالوقود جواً على طول الطريق، وهو ما كان يتطلب تكاليف باهظة لم يكن من الممكن تحملها".

ورغم أن نيكسون قد قرر في التاسع من أكتوبر مساعدة إسرائيل، إلا أنهم في البنتاجون تأخروا لمدة ثلاثة أيام، إلى أن هاتف مورير قائد النقل الجوي وقال له: "إذا لم ننفذ الأمر، سنفقد مناصبنا". بدأت عملية النقل الجوي الضخمة، والتي كانت عبارة عن ١٤٥ رحلة لطائرات النقل العملاقة (سي- ٥ جالاكسي) تحمل كل منها حوالي ١٠٠ طن، بما في ذلك الدبابات ومدافع ذاتية الحركة ومروحيات، و٤٢٢ رحلة لطائرات (سي- ١٤١ ستارلايفتر) يقول مورير: "تمت العملية على أكمل وجه. لقد تحدثت في ذلك مع جولدا مائير، التي أعربت عن دهشتها، وأخذت بعض أحفادها لمشاهدة الطائرات وهي تهبط. الذخيرة التي كانت تهبط في تل أبيب في منتصف الليل، كانت تنفذ في اليوم التالي. لقد كانوا قريبين جداً من حقيقة إلقائهم في البحر".

عندما فرض العرب الحظر النفطي، ارتدعت الموانئ الأوروبية من شحن العتاد الحربي على سفن إلى إسرائيل. وهذا ما حدث على سبيل المثال في ألمانيا، حسبما يقول مورير، حيث طلب الأمريكيون منهم نقل دباباتهم إلى إسرائيل. ويضيف مورير قائلاً: "دعونا نعتزف بالحقيقة. الألمان لم يكونوا متحمسين على الإطلاق لإسرائيل. بينهما تاريخ طويل هناك".

البلد الذي أنقذ إسرائيل أخيراً، يقول مورير، هي البرتغال. إذن الهبوط في الجزر الإقليمية التي تحت سيطرتها، جاء بعد ضغوط شديدة من نيكسون على لشبونة، بعد أيام قليلة من مقاطعة كيسنجر بشكل استعراضي لسفير البرتغال لدى الأمم المتحدة "لأن البرتغال كانت لا تزال دولة استعمارية". وفي رأيه، "فإن البرتغال أنقذت إسرائيل"، وكذلك إسبانيا إبان حكم الجنرال فرانكو - والتي كانت ممقوتة عالمياً - حيث سمحت لطائرات التزويد بالوقود الأمريكي بالإقلاع من قواعدها، على عكس التصريحات الرسمية الصادرة عن مدريد.

مصدر الشر، حسب مورير، كان الكونجرس الأمريكي: اليونانيون يوجهون السياسة الأمريكية تجاه تركيا (يقصد من داخل الكونجرس في إشارة غير مباشرة إلى دور اللوبي اليهودي داخل الكونجرس لخدمة مصالح إسرائيل)، والسود يوجهون السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا، واليهود يوجهون السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.. ويقول مورير في مذكراته أيضاً: "أريد أن أشدد على أنني لست معادي للسامية بأي شكل، ولكن من ناحية أخرى، ما من شك في أن اللوبي اليهودي يتحكم في السياسة الخارجية في الشرق الأوسط. لقد رأيت ذلك يحدث مرات عديدة".

الدليل الأول على ادعاء مورير، كان لقاء مع "الملحق العسكري الإسرائيلي في واشنطن إبان حرب عيد الغفران، موردخاي (موطي) جور، الذي أصبح في وقت لاحق رئيساً للأركان. في يوم الخميس ١١ أكتوبر، قام جور بسلسلة لقاءات محبطة للغاية مع قادة أركان القوات البحرية، والجوية والبرية في الجيش الأمريكي". وفي لقاء مع السيناتور هنري جاكسون، أحد أكبر أصدقاء إسرائيل، اشتكى جور قائلاً: "مطالبنا بأسلحة لم تحظ حتى الآن بالرد السريع". بحث جاكسون الموضوع ووعد بالتحدث مع شليزنجر. يقول جور نفسه في مذكراته الشخصية: "متشجعاً بعض الشيء، ذهبت إلى مكتب الأدميرال مورير. كان استقباله بارداً جداً. في كل مرة تحدثت فيها عن طلباتنا، حلق بعينه في السقف، كما لو كانت الحرب تدور هناك".

لم ينقل جور في مذكراته أي كلمة مما قالها له مورير، لكن مورير تأثر جداً - ليس بالإيجاب - مما قاله اللواء الإسرائيلي. يقول مورير في مذكراته: "زارني جور وطلب مني أن ننقل إليهم على وجه السرعة سرب قتالي مسلح بصواريخ مضادة للدبابات. في صفوف الجيش الأمريكي بأكمله، لم يكن لدينا سوى سرب واحد كهذا، كنا قد انتهينا من تجهيزه قبل أسابيع معدودة. قلت له: إذا عرضت تسليم هذا السرب إلى إسرائيل، فإن الكونجرس سيلقي بي إلى الجحيم. رد جور قائلاً: عليك بمسألة الطائرات، ودع لي مسألة الكونجرس، وهذا ما فعله حقاً". هذه الجملة الصغيرة التي قالها جور بالإنجليزية حفرت في عقل مورير، وخلدت كراهيته لإسرائيل. يقول مورير: كان تقسيم العمل على النحو التالي: البنتاجون يهتم بمسألة العتاد، وإسرائيل تهتم بالكونجرس، لأن اللوبي اليهودي قوى بما يكفي لإخضاع حتى رؤساء الولايات المتحدة".

الدليل الثاني على ادعاء مورير بوجود مؤامرة إسرائيلية كان المصير القاسي الذي لاقاه الجنرال جورج براون، قائد سلاح الجو الأمريكي وخليفة مورير

في رئاسة هيئة الأركان المشتركة. حيث كان براون قد دعى إلى إلقاء كلمة في جامعة ديوك بولاية نورث كارولينا. يقول مورير: "كان من المفترض أن تكون هذه الكلمة داخلية وألا يقتبس أحد منها، ولكن يبدو أنه كان هناك شخص ما سجل الكلمة وعلى الفور أعطى الشريط إلى صحيفة واشنطن بوست، التي احتفظت بالشريط لمدة ستة أو ثمانية أسابيع، حتى ظهر عرفات على منصة الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو يلف حول وسطه مسدسين. وعلى الفور، نشرت الصحيفة ما قاله الجنرال براون وهو أن اليهود يسيطرون على التليفزيون وعلى كل البنوك في أنحاء الولايات المتحدة، ولذا فإن نفوذهم يفوق بكثير نسبتهم بين السكان".

يقول مورير مدافعا عن براون: "وقع براون في خطأ واحد فقط. وهي أنه استخدم كلمة 'جميع'، عندما قال إنهم يسيطرون على كل البنوك. وهو ما دفع المنتقدين إلى البحث عن أي بنك صغير في تكساس، أو في أي مكان، لا يمتلكه اليهود. كان يجب أن يقول: معظم البنوك الكبيرة. ولكنهم هاجموه بدعوى عدم توحيه الدقة".

"بعد ذلك بقليل، قال براون إن إسرائيل عبثا على الولايات المتحدة. حسنا، إن إسرائيل عبثا على الولايات المتحدة إذا نظرت إلى الأموال التي قدمناها لهم على مر السنين. أولادنا أيضا سيتعين عليهم الدفع. لا أعتقد أن الحديث عن العبء يستوجب النقد، حيث أنك تتوقع - عندما يكون لديك طفل - أن يكون هذا الطفل عبثا عليك حتى يتم دراسته ويصبح مستقلا. استجاب البيت الأبيض لطلب استدعاء الجنرال براون لتوبيخه. لقد أهين على الملأ. لا يمكنك أن تقول لي أن هذا ليس صحيحا. من الحقائق الثابتة أن اللوبي الإسرائيلي يمارس ضغوطا هائلة على الكونجرس".

قبيل انتهاء الحرب، اهتم مورير بالمواجهة مع السوفييت، الذين هددوا بإرسال قواتهم لإجبار الجيش الإسرائيلي برفع الحصار عن الجيش الثالث المصري. يقول مورير: "لو دُمر الجيش الثالث المصري، كانت ستصبح هذه المرة الرابعة التي تدمر فيها قوات مجهزة بالعتاد السوفيتي. شعر السوفييت بقلق شديد إزاء

ذلك، ليس فقط بسبب الجانب الاقتصادي لانتهيار صناعتهم العسكرية، وإنما أيضا لانتهيار صورتهم أمام الرأي العام، داخليا وخارجيا".

لم يكن مورير بحاجة إلى الاستخبارات لمعرفة ما يحدث للجنود المصريين الستين ألف المحاصرين، دون مياه وتحت درجات حرارة تزيد عن ٤٥ درجة، ويقول: "أنت تجلس هناك في تلك الصحراء اللعينة، دون ماء، لمدة يوم أو يومين، وهكذا تنتهي حياتك. أستطيع أن أقول من تجربتي الشخصية - باعتباري عشت بعض الفترات دون طعام أو مياه - أن نقص الغذاء أمر غير مريح، ولكن نقص المياه يعد تعذيبا".

الرفض الأمريكي بالسماح لإسرائيل بمواصلة حصار الجيش الثالث، أملا في إنهاء الحرب بإنجاز، نبع من "الهدف الثاني، وهو عدم إذلال العرب"، فضلا عن القلق من أن الحظر النفطي سوف يتفاقم وأنه ستكون هناك مواجهات مع السوفييت.

أثمر الضغط الأمريكي على إسرائيل، ولكن قبل ذلك، مرت على مورير، وكيسنجر، وكولبي وشليزنجر - نيكسون لم يكن تقريبا مشاركا في المشاورات - ساعات عصيبة كلها توتر. مورير كان يتخوف من تراكم العلامات التي تشير إلى تدخل عسكري سوفيتي: الفرق السوفيتية المحمولة جوا وضعت في حالة تأهب قصوى، الجسر البحري لسوريا أوقف وبدأت السفن في نقل دبابات سوفيتية.

في ضوء الفارق الزمني - منتصف الليل في واشنطن يتزامن مع الفجر في موسكو - خشي مورير من أن تبدأ العملية السوفيتية في الساعات الأولى من الصباح، من أجل استغلال ضوء النهار. كانت هناك حاجة إلى قرار فوري، ولم يكن هناك وقت للتشاور مع الدول الأوروبية الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو). وعندما أعلن الأمريكيون حالة الاستعداد القصوى، لردع السوفييت، غضبت الدول الحليفة للولايات المتحدة لعدم التشاور معها في هذا القرار. وقد قال مورير في مذكراته: "تعلمون أن هؤلاء الأوغاد لا يستيقظون من نومهم قبل العاشرة صباحا، ولكنه أوعز لكاتب مذكراته بحذف كلمة أوغاد، وأن يكتب بدلا منها "هؤلاء السادة...".

◆ افتتاحيات الصحف ◆

١

لا سلام مع البؤر الاستيطانية

افتتاحية هاآرتس ٢٧/٨/٢٠٠٧

الحكومة بهدم تسع منازل في فبراير ٢٠٠٦ - وهو ما حدث بالفعل هذه المرة، حيث وجد باراك نفسه، حسب صحيفة "ماقور ريشون" (صحيفة دينية)، في حاجة للرد على الدعوى التي رفعتها حركة السلام الآن، والتي تطالب فيها الدولة بإخلاء البؤرة الاستيطانية "ميجرون" - أكبر مستعمرة غير شرعية في المناطق (الفلسطينية)، خاصة أن مجلس مستعمرات الضفة وغزة تفضل وتكرّم "بالموافقة" على نقل البؤرة الاستيطانية من مكانها، وذلك بعد أن اتضح أنه ليس ثمة إمكانية من الناحية القضائية لتسوية وضع المستعمرة لأنها أقيمت كلها على أرض مملوكة لفلسطينيين.

في الدول التي تحافظ على القانون، لا يتم الانتظار إلى أن تفرض المنظمات غير الحكومية وهيئة القضاء على السلطات أن تطبق القانون، وأن تنفذ الاتفاقيات الدولية. وناهيك حتى عن المشكلة القضائية، فإن توسيع المستعمرات بوجه عام والبؤر الاستيطانية بوجه خاص يتناقض بشكل لا لبس فيه مع تصريحات رئيس الحكومة عن السلام. فأى مغزى يمكن أن يكون للمفاوضات مع الفلسطينيين حول اتفاق مبادئ لإنهاء الاحتلال، في الوقت الذي تجرى فيه الحكومة مفاوضات في ذات الوقت مع المستعمرين حول منح الشرعية لبؤر استيطانية في قلب الضفة الغربية..!٩.

لقد عاد زعيم حزب العمل، "يهود باراك"، وصرح بأنه تعلم درساً من أخطائه خلال فترة ولايته السابقة كرئيس حكومة ووزير دفاع. ولكن تعامله المتسامح مع منتهكي القانون من الإسرائيليين في المناطق (الفلسطينية) يدل على أنه مُصر على تكرار هذا الخطأ الفادح. على أية حال، المسؤولية العامة لعدم تنفيذ قرار إخلاء البؤر الاستيطانية تقع في النهاية على عاتق رئيس الحكومة، "يهود أولمرت"، وعلى الحكومة بأسرها.. ومن ثم، فإن كل يوم تبقى فيه البؤر الاستيطانية على حالها، لهو يوم آخر يخون فيه كل مسئول منصبه.

من الصعب أن نجد فروقاً بين الأخبار التي نشرت نهاية الأسبوع الماضي حول "اتفاق البؤر الاستيطانية"، الآخذ في التبلور، وبين وزير الدفاع "يهود باراك" وممثلي المستعمرين، وبين الأخبار حول "اتفاق البؤر الاستيطانية" الذي أنجزه رئيس الحكومة ووزير الدفاع "يهود باراك" مع مجلس مستعمرات الضفة وغزة عام ١٩٩٩ (أى وقت أن كان باراك رئيساً للحكومة ووزيراً للدفاع)، باستثناء توقيت النشر. فمرة أخرى يتم الحديث عن مفاوضات بشأن عدد البؤر الاستيطانية التي سيقوم المستعمرون بإخلائها طواعية، في مقابل منح الدولة الشرعية لبؤر استيطانية أخرى.

إذا كان لنا أن نستخلص عبرة من "اتفاق البؤر الاستيطانية" عام ١٩٩٩ لأجل الجولة القادمة، فإن البؤر الاستيطانية المستهدفة منحها الشرعية ستحظى بترخيص، وسيخلى المستعمرون بعض الصهاريج الصديقة، وستبقى معظم البؤر الاستيطانية في مكانها. وفي ظل هذا الوضع لن يخجل مكتب وزير الدفاع من أن يقول إن "باراك يدرس الموضوع ولم يبلور موقفه بعد".

لا ينبع الحافز للاتصالات بين الطرفين (يقصد بين باراك وممثلي المستعمرين) من رغبة الحكومة في فرض القانون في مناطق الضفة الغربية، وتجنيب جيش الدفاع الإسرائيلي ضرورة تخصيص قوات للدفاع عن مغتصبى الأراضي وتوفير نفقات تقدر بعشرات الملايين من "الشواكل" في السنة للخزانة العامة. لا ينبع الحافز أيضاً من تعهد الحكومة السابقة، في إطار خريطة الطريق، بإخلاء جميع البؤر الاستيطانية التي أقيمت منذ مارس ٢٠٠١، كما أنه لا علاقة أيضاً لذلك بتقرير البؤر الاستيطانية الذي قدمته المحامية "تاليا ساسون" إلى حكومة "شارون" منذ عامين ونصف العام.. إنما ينبع الحافز أساساً من الخوف من لجوء "حركة السلام الآن" إلى تقديم التماس لمحكمة العدل العليا - كما حدث بشأن بؤرة عموناه غير القانونية العام الماضي، حيث قامت

رئيس واقعى فى قصر الإليزيه

افتتاحية هآرتس ٢٠٠٧/٨/٣٠

التسليم بوجود سلاح نووى فى إيران، إلا أن هذه المخاوف هدأت بعض الشيء، حينما أوضح "ساركوزي" أن موقفه مغاير، بل وذهب بعيداً فى حديثه عن إمكانية توجيه ضربة عسكرية لإيران إذا فشلت المفاوضات.. ولكن بعقلية موضوعية لا ينبغى تفسير كلامه على أنه تأييد لعملية عسكرية ضد إيران، وإنما على أنه تعبير عن حدة الأزمة وكتحذير علنى لطهران، بأنه من الأفضل لها التوصل إلى حل سياسي.

لقد أثار انتخاب "ساركوزي" تطلعات فى القدس نحو تغيير فى السياسة الخارجية الفرنسية، سيتمثل فى التقارب من واشنطن وفى تخفيف التوتر فى علاقات إسرائيل والاتحاد الأوروبي. أعرب "ساركوزي" عن الالتزام بأمن إسرائيل، وأطلق حتى على قطاع غزة لقب "حماسستان"، ودعا إلى حل النزاع الإسرائيلى - الفلسطينى والأزمات فى لبنان، العراق وإيران "من أجل تجنب مواجهة بين الإسلام والغرب". كما عرض على سوريا "جزرة" الحوار إذا ما كفت عن تقويض الاستقرار فى لبنان. وبذا، أبدى واقعية سياسية أكثر ملاءمة لإسرائيل من الموقف العقيدى لحكومات أخرى فى أوروبا، وإن كان من المبكر أن نعرف كيف سيتبدل موقفه فى صياغة العلاقات مع إسرائيل.

على أية حال، لا ينبغى أن نتوقع أن تحيد فرنسا عن معارضتها التقليدية للاحتلال، ولما تقوم به إسرائيل فى المناطق (الفلسطينية)، وإن كان من المرجح ألا تقف على رأس منتقديها كما فى الماضى.

عبر أول ظهور دبلوماسى للرئيس الفرنسى الجديد، "نيكولا ساركوزي"، فى خطابه أمام السفراء الأجانب فى "باريس" يوم الاثنين عن التغيير الذى كان متوقعاً فى السياسة الخارجية الفرنسية فى نهاية حكم "جاك شيراك"، الذى استمر إثنى عشر عاماً، حيث أظهر "ساركوزي" فى خطابه، أنه يسعى إلى النأى بنفسه عن سابقه، والنأى بفرنسا عن قوى عظمى أخرى وعلى رأسها الولايات المتحدة.. ولكن الأمر الأهم فى كلام "ساركوزي" فيما يخص إسرائيل هو جزمه بأن البرنامج النووى الإيرانى هو المشكلة الرئيسية المدرجة اليوم على جدول الأعمال الدولى، فقد قال إن "إيران المتسلحة بسلاح نووى غير مقبولة"، ودعا إلى "إحراز تسوية سياسية وبسرعة تحول دون وقوع كارثة وجود قنبلة نووية إيرانية، أو كارثة ضرب إيران".

وقد تطابق تقدير "ساركوزي" للوضع مع موقف رئيس الحكومة "إيهود أولمرت"، ورفاقه فى القيادة الإسرائيلىة، الذين يدلون بتصريحات بروح مماثلة ويعرضون القنبلة الإيرانية بوصفها مشكلة دولية تستوجب حلاً دبلوماسياً عاجلاً.

بدا من كلام "ساركوزي" أنه يعترف بخطورة التهديد الإيرانى ومستعد للوقوف فى وجهه ولا يحاول إلقاء المشكلة على إسرائيل، وذلك فى إشارة ضمنية للتصريح البائس لسابقه "شيراك" فى نهاية ولايته، والذى قال أن القنبلة النووية الإيرانية "لن تكون خطرة جداً"، وأنه "إذا استخدمتها إيران ضد إسرائيل، فإنها ستمحى على الفور".. وهذا التصريح لشيراك قد أثار فى إسرائيل مخاوف من حدوث تآكل فى موقف فرنسا بشأن

مساس جوهرى بالمثلين

افتتاحية هآرتس ٢٠٠٧/٩/٥

حزب "شينوي" يمد يد العون لمثل هذا التشريع، مهما تكن تفسيراته.

فى عام ٢٠٠٤، وفى لحظة من لحظات التجلى بالمحكمة المركزية بالناصره، قضى القاضيان "نيسيم ممان" و"جبريئلا لىفي" بأغلبية، بأن المصطلح "رجل وامرأة"، الوارد فى قانون الموارث، يشتمل أيضاً على الأزواج من نفس الجنس. كانت الحالة المعروضة عليهما هى حالة أحد المثليين الذى عاش طوال ٤٠ عاماً مع زوج فى شقة اشتراها من شركة "عميدار". ومع وفاته، وفى ظل عدم وجود وصية أو ورثة آخرين، اعتزمت الدولة طرد الزوج من الشقة وتسليمها إلى الوصى العام. حكم قضاة الأغلبية فى الناصرة، بأن الزوج هو الوارث القانوني. استند حكم القضاة إلى أن الأمر يتعلق بقانون قديم، فى حين طرأت تغييرات بعيدة المدى، منذ تم سنه عام ١٩٦٥، على توصيف التعبير "زوج"، وهى تغييرات لم يأخذها المشرع فى اعتباره.

هذه الحجة لن يكون ممكناً ترديدها بعد أن يعيد الكنيست سن القانون بصيغته القديمة. من شأن الكلام المخفف الذى يردده المستشار القانونى للحكومة ووزير العدل أن يعمى أعين أعضاء الكنيست وأن يحول بينهم وبين الوقوف على مدى خطورة التشريع. يريد وزير العدل تمرير كود القوانين المدنى الذى من المفترض أن يكون قانون الموارث جزءاً منه، لكن الحل الوسط، الذى هو على استعداد للقيام به مع "شاس"، هو حل وسط يعيد الحقوق المكتسبة للمثليين عشرات السنوات إلى الوراء.

ينبغى إعادة كتابة قانون الموارث بروح توصيات اللجنة وينبغى استبدال التعبير "رجل وامرأة" بالتعبير "زوج".

بعد أن منعت الأحزاب "الحريدية" بنجاح كل محاولة للسماح بالزواج المدنى، اتضح أن قدرتها على فرض تشريع تمييزي، وليس فقط منع تشريع تقدمي، لم تضعف. إن نية الحكومة فى إعادة سن قانون الموارث بالصيغة القديمة، التى تعترف فقط بالزوجين اللذين هما "رجل وامرأة"، وتتجاهل وجود أزواج من جنس واحد - وذلك بالمخالفة لتوصيات لجنة خبراء برئاسة القاضى "يعقوف تيركل"، وتجاهل أحكام قضائية تقدمية تتعلق بحقوق المثليين - إن هذه النية عمل لا ينبغى للكنيست أن يمد له يد العون.

وعلى الرغم من أن المستشار القانونى للحكومة يتعهد بأن شيئاً لن يتغير فى موقف الدولة تجاه الأزواج من جنس واحد، حتى إذا مر القانون التمييزي، فإنه لا يمكن الارتكان إلى مثل هذا التعهد، نظراً لأنه غير ملزم للمحاكم. وعلى الرغم من أن وزير العدل يفكر فى إضافة تفسير للقانون يخففه، فإنه لن يكون لهذا التفسير أى وزن قضائي، إذا ما ارتأى أحد القضاة أنه يتعارض بشكل صريح مع نص القانون.

يضر قانون الموارث الجديد بشكل جوهرى بحقوق الأزواج من نفس الجنس، وسيميزهم (للأسوأ) بالمقارنة بسائر السكان. ففى حين أن حقوق كل زوجين، متزوجين، أو معروف لدى الجمهور أنهما زوجان، محفوظة فى قانون الموارث، فإن حقوق الزوجين من نفس الجنس ستكون منوطة بالوصية وحسب. وفى ظل الواقع الذى لا يكتب فيه معظم الأشخاص وصية، فإن هذا تمييز فعلى (للأسوأ) لقطاع كامل. من الصعب أن نصدق بأن وزير العدل الذى تعود أصوله السياسية إلى

مَنْ الذى استحدث التهرب من الخدمة العسكرية..؟

افتتاحية هآرتس ٢٠٠٧/٩/٩

الإيمان بأهميتها. ولكن فى النهاية، هؤلاء وأولئك هم حفنة فقط، لا ينبغى أن يضر رفضهم بقوة جيش الدفاع الإسرائيلى.

أما الأمر الأكثر مدعاة للقلق والأوسع انتشاراً فهو الرفض المبهم للتجند من قبل العديد من الشباب الذين يشعرون بوجود فجوة بينهم وبين الدولة. هؤلاء يتمتعون أيضاً عن التصويت فى الانتخابات، وعن المساهمة فى أى نشاط عام آخر. لا يمكن إعادة ثقتهم فى الدولة بالتهديدات والعقوبات، وإنما بالسلوك الأكثر أخلاقية ومسئولية من جانب القيادة السياسية.. لذا، لم يكن فشل جيش الدفاع الإسرائيلى فى حرب لبنان الثانية نابعاً من النقص فى القوة البشرية المقاتلة، ولا أيضاً من غياب الدافع، إنما من إخفاق قيادى على المستوى العسكرى والسياسى.

لا مناص من الاستخلاص بأن حملة العلاقات العامة ضد التهرب من الخدمة العسكرية ليست إلا محاولة لإلقاء المسؤولية على الجمهور بدلاً من زعمائه.. إذا كان جيش الدفاع الإسرائيلى يعد فى هذه الأيام بالفعل خطة لمحاربة التهرب من الخدمة العسكرية، وإذا كان أحد قد خطر بباله فعلاً أن يحرم المواطنين، الذين لم يتجندوا بالجيش، من الحصول على رخصة قيادة، أو العمل فى المجال الطبى، أو الغناء والعزف فى المناسبات الرسمية، ليضر بذلك بمصدر رزقهم، فإن الأمر يدل على حماقة مثيرة للقلق لدى القيادة العسكرية، من شأنها حتى أن تتحدر إلى تشريع مرفوض فى الكنيست.

ينبغى على الدولة أن تبذل قصارى جهدها فى تجنيد كل من هو مناسب للخدمة العسكرية، وأن تشجع الخدمة المدنية لكل من هو غير مناسب، وأن تكف عن الحملة الموسمية لمطاردة المتهربين، والتى لا معنى لها.

لم تتغير بيانات التجنيد بجيش الدفاع الإسرائيلى بقدر كبير منذ سنوات، وتقع مسؤولية أن نصف السكان تقريباً لا يتجندون، ليس على المرشحين للتجنيد، وإنما على الدولة التى تتراخى فى تجنيدهم. لقد نجح ساسة من جميع الأحزاب، من خلال حيل سياسية، طوال عمر سنوات الدولة، فى إعفاء "الحريديم" من التجنيد بشكل تام، متقبلين، بخنوع، زعمهم بأنه قد أنيط "بالحريديم" على وجه التحديد الدور التاريخى المتمثل فى إعادة ترميم اليهودية بعد المحرقة النازية، سواء من خلال التدريس المكثف للتوراة أو عبر إنجاب أطفال (تعد معدلات الإنجاب بين المتدينين هى الأعلى فى إسرائيل)، حتى أصبح العدد النسبى "للحريديم" بين السكان فى ازدياد طوال الوقت، وهو ما يفسر الزيادة فى نسبة الذين لا يتجندون بجيش الدفاع الإسرائيلى.. لذا، فإن مطاردة الفنانين المتهربين من الخدمة العسكرية ليست فى محلها.

لقد كان جيش الدفاع الإسرائيلى منذ الأزل انتقائياً فى التجنيد. ومن ثم، فمن المريح له أن يلقى بالتهمة على أولئك الذين رفضهم هو، بدلاً من أن يقول الحقيقة البسيطة، والتى مفادها أن من استحدث التهرب من الخدمة العسكرية هو الجيش ذاته. لا يمكن إعادة الزمن إلى الوراء إلى أيام النزاهة التى كانت فيها ثقة المواطن فى النوايا الطيبة للحكام كبيرة، حيث كان الاستعداد للتضحية بالحياة يتطابق مع مقدار الثقة.

فى الدولة غير القويمة التى نشأت هنا بعد احتلال امتد ٤٠ عاماً (يقصد المستعمرات التى نشأت بعد حرب ١٩٦٧)، فإن الرافضين الأيديولوجيين للخدمة العسكرية من اليساريين ليسوا على استعداد للدفاع بأجسادهم عن مستعمرات تبرأت حكومات إسرائيلية أيضاً منها، أما الرافضون اليمينيون فإنهم لا يريدون المشاركة فى تصفية المستعمرات، نظراً لأنهم تربوا على

نظرة واعية في رأس السنة (العبرية)

افتتاحية هآرتس ٢٠٠٧/٩/١٢

رأى في تعيين "بيرتس"، كوزير لم يأت من داخل الهيئة الأمنية، إمكانية لعصر مدني جديد.

إلا أن العالم غارق جدا في حروب دينية وإرهاب، وفي تطوير سلاح غير تقليدي في الخفاء، و"بن لادن" يواصل بث شرائط مسجلة، رغم أن عشرات الآلاف من الجنود ينقبون عنه، بينما الوسائل المتقدمة في التجسس وجمع المعلومات عاجزة عن منع المساس بالمدنيين واستخدامهم كميدان تجارب وكوقود للمدافع في حروب لا أحد يدرك غايتها وكنهها.. كل واحد يُوصف محور الشر الخاص به، وأخياره وأشراره بشكل مختلف، لكن لا أحد يشك في حقيقة أن الأمر يتعلق بعالم يتحول إلى عالم خطر من لحظة إلى أخرى. وعندما يصبح ممكناً أن يحصل شخص يتناول الطعام، في مطعم "سوشي" (للأكلات اليابانية) بلندن، على سم نووي يقتله في غضون بضعة أيام مع المعاناة من آلام، فإنه لا يمكن التوقف عن الدفاع عن الذات من الخطر.

يتشكل في الشرق الأوسط معسكر من الدول المعتدلة، ربما يكون ضعيفاً، وربما يكون مؤقتاً، ولكن على إسرائيل أن تفعل كل ما في وسعها من أجل ضم الدولة الفلسطينية إلى هذا المعسكر. فطالما أن "حماس" ترفض خيار الاعتراف بإسرائيل وتفضل البلاغة التي تقودها إيران، التي تتحدث عن تصفية الدولة الصهيونية، وطالما أن سوريا موجودة في الجانب الإيراني من المعادلة باختيارها وليست مكرهة، فإن على إسرائيل أن تتشبث بـ"عباس" بشكل قوى، وأن تبرهن على أنها مستعدة للتنازل لمن يقبل بوجودها ولديه استعداد للتعاون معها.

لذا، نقول إن المحادثات مع "عباس" هي الآن الضوء في نهاية نفق معتم وخطر، ونموذج لما يمكن أن يكون عليه الشرق الأوسط ذات مرة في عصر من التعقل.

لا يوجد هدوء أمني وليس من المتوقع أن يكون، ورغم ذلك تراءت للمواطن الإسرائيلي، الأسبوع الماضي، كل عناصر الخطر والأمل المحققين به.. ورغم أن المهرجانات المليئة بالمواطنين في أنحاء البلاد تدل على رغبة في الحياة حياة طبيعية والهروب من الواقع، إلا أن فيها أيضاً قدراً لا بأس به من قهر الواقع والتضليل.

يبدى جيش الدفاع الإسرائيلي شواهد من العودة إلى نفسه وإلى قوة الردع المعهودة عنه، دون الانزلاق إلى عجرفة وثقة ذاتية مبالغ فيها. وإذا استمرت القيادة السياسية والعسكرية في ضبطها للنفس ولم تتردد تصريحات متعجرفة، فسيكون من الممكن ربما الإعلان عن بداية عصر من الحصافة والحذر. إن تغيير المسؤولين في مكتبي رئاسة الأركان ووزير الدفاع هو ربما الإنجاز العسكري الرئيسي للعام المنصرم، والمحادثات مع "محمود عباس" هي الإنجاز السياسي.

ثمة شك في أنه كان سيتم استخلاص أي درس، لولا لجنة "فينوجراد"، سواء بسبب الاستخلاصات التي لم تنشر بعد أو بسبب تلك التي نشرت في التقرير الجزئي. لقد تم رفض مظاهرات أفراد خدمة الاحتياط باشمئزاز، واستمر "إيهود أولمرت" في عناده على أنه قد تحقق نصر في لبنان، وقذف بـ"دان حالوتس" و"عمير بيرتس" إلى الخارج، فيما هما يشعران بالإهانة، وكأنهما قد أصابهما ظلم.

تحدث تقرير "فينوجراد" عن إخفاق وعن ضرورة استخلاص دروس منه، وتم توبيخ "أولمرت" بسبب افتقاده للتبصر وبسبب التخطيط السطحي والمعييب. هو لم ينجح في أن يشرح للجمهور: لماذا عيّن وزير دفاع غير مناسب بشكل جلي وخرج لحرب معه..؟ تم استخلاص الدرس ليس فقط في مكتب رئيس الحكومة، وإنما أيضاً في الأحزاب ولدى الجمهور، الذي

ما بين الانتشار والقنبلة

افتتاحية هاآرتس ١٦/٩/٢٠٠٧

حول كشمير مازال دائراً. في مقابل ذلك، حققت الولايات المتحدة نجاحاً في حصر قائمة الشراكة في النادي النووي المعلن على الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن. وتخلت أربع دول - أوكرانيا وكازاخستان وجنوب أفريقيا وليبيا - عن قدراتها النووية، انطلاقاً من إدراك بأن فائدتها بالنسبة لها أقل من ثمنها.

توجد الآن على جدول الأعمال العالمي المسألة النووية الإيرانية، حيث تشتبه الولايات المتحدة في أن نظام آية الله "خامنهئي" والرئيس "أحمدي نجاد"، ينتوي الحصول على رؤوس حربية نووية للصواريخ أرض/أرض من سلسلة "شهاب" للأمداد المختلفة - المتوسط الذي يصل إلى إسرائيل، وبعيد المدى الذي يصل إلى العواصم الأوروبية، والعابر للقارات الذي يهدد "واشنطن" ونيويورك. وإذا أصبح في حوزة إيران قنبلة، فإنها يمكن أن تكون دولة إقليمية عظمى وأكثر حتى من ذلك، وسيصبح الخليج الفارسي برمته، وبمخزونات النفطية، تحت رحمتها. وبقدر أقل، يكمن الخطر في تزود كل دولة عربية أو إسلامية أخرى بسلاح نووي، خصوصاً إذا كانت معادية لإسرائيل.

وبالنظر إلى ما نشر مؤخراً، فإنه إذا أصبح لسوريا سلاح نووي، فإنها تستطيع توفير مظلة لنفسها ولحزب الله، وإذا ارتقت الحكم فيها عناصر إسلامية متعصبة، فإنه من شأنهم هم أيضاً استخدام مثل هذا السلاح في تفجير انتحاري لم ير العالم مثله حتى الآن.. لذا، نقول إن الجهد الأمريكي لوقف الانتشار النووي، سواء في إيران أو في علاقات كوريا الشمالية مع سوريا، يستحق الدعم، لأن البديل سيكون خطراً فعلياً قد يصل إلى حد تبادل ضربات نووية.

صدّق مسئولون رفيعو المستوى في وزارة الخارجية الأمريكية، نهاية هذا الأسبوع، على بعض من التفاصيل التي نشرت في الصحافة بشأن العلاقة النووية بين كوريا الشمالية وسوريا. فقد تناول كل من وزيرة الخارجية، "كونداليزا رايس"، ونائب مساعد وزيرة الخارجية بالوكالة لشؤون سياسة الحد من انتشار التسليح النووي، "آندرو سيمل"، ويقدر ما أيضاً مساعد وزيرة الخارجية لشؤون شرق آسيا، "كريستوفر هيل"، عبر مقابلات صحفية - جميعاً تناولوا التخوف من أن كوريا الشمالية تحاول تصدير معرفة أو مواد نووية لدول أجنبية.. وقد استشهدت "رايس"، في هذا الصدد، بالرئيس "بوش"، الذي أعرب عن القلق من وجود "السلاح الأخطر" في حوزة "الأشخاص الأخطر".

يأتى كبح انتشار السلاح النووي على رأس جدول أولويات "بوش"، إلى جانب أهداف أخرى إقليمية. صحيح أن الأمر كان كذلك بالنسبة للإدارات السابقة، إلا أن الخوف في واشنطن، من تسرب قدرة نووية إلى دول مارقة، وإلى منظمات إرهابية، لا تتردد في تنفيذ تفجير نووي داخل مدينة أمريكية، قد تزايد في السنوات الست الأخيرة منذ تفجيرات ١١ سبتمبر.

من البديهي أن التطلع إلى إحباط مثل هذا التفجير في قلب الوطن، يقض مضاجع "بوش" ورؤساء أجهزته الاستخبارية والأمنية، ولكن ليس هم وحسب الذين يكافحون من أجل وقف الانتشار النووي، فالانتشار النووي وباء يُعدي كل من يلمسه، سواء كانوا جيئراً أو كانوا ممن يريدون اكتساب مناعة ضد التهديد الكامن منه. وقد يشك الولايات المتحدة من إمكانية إقناع الهند وباكستان - اللتين لم توقعاً على معاهدة منع الانتشار النووي - بنزع سلاحهما النووي، طالما أن النزاع بينهما

هناك من يتم تفتيشهم، وهناك من يتم تفتيشهم أكثر

افتتاحية هآرتس ٢٠/٩/٢٠٠٧

لا يوجد سبب لتمييز عرب إسرائيل (للأسوأ) في المطارات، كما في كل مكان آخر. لا يستحق جمهور يبلغ قوامه نحو مليون فرد، لم تشترك الغالبية العظمى منه قط في عملية إرهابية ضد الدولة، أن يكون مشتبهاً به سلفاً.. ولذا، فمن شأن مقاطعة منظمة من جانب المسافرين العرب، وهو إجراء تحاشوه حتى الآن، أن يكون سلاحهم الأخير نحو استعادة كرامتهم.

رد فعل المتحدث باسم "العال"، والذي يزعم بأن كل المسافرين على رحلات الشركة يجتازون عمليات التفتيش، هو رد ساذج. ففي الشركة يعرفون جيداً أن ثمة طرقاً مختلفة لاجتياز التفتيش، وأن كل مسافر عربي يحظى بمعاملة مختلفة عن المسافر اليهودي.

إذا اجتمع عرب إسرائيل على مقاطعة "العال"، فربما يدرك المسؤولون في الشركة، بعد فقدان سوق واسع من الزبائن، أنه لا يمكن الاستمرار في الإجراءات الموجودة بدون دفع ثمن موجه لذلك. الأمر له مغزى أكبر من مجرد إدارة تشغيل الشركة، حيث يتعلق الأمر بوجه قبيح وزائد من التعامل مع عرب الدولة.

تتحمل "العال"، التي ما تزال تتشدد بلقب "شركة الطيران الوطنية" على الرغم من خصخصتها، طبقاً لذلك، مسؤولية خاصة. ينبغي على الشركة التي تعلن عن نفسها من خلال الشعار "الإحساس بالوطن وأنت في العالم" أن توفر شعوراً مماثلاً لكل مسافريها، يهوداً وعرباً.

كل المسؤولين عن تأمين الرحلات الجوية من وإلى إسرائيل - "العال"، وسلطة المطارات، وعناصر الأمن - مطالبون ببذل جهد عاجل من أجل إيجاد وسيلة مثلى للتوفيق بين ضرورات الأمن والحفاظ على حقوق المواطن لعموم المسافرين. المشكلة أن مثل هذه الوسيلة متوافرة، لكنها للأسف البالغ غير مطبقة.

يعرف كل مسافر عبر مطار بن جوريون المشهد: مسافرون عرب من مواطني الدولة يتم تفتيشهم بشكل أوتوماتيكي جانباً لتفتيش أمني، بعضه مهين، ويستغرق ساعات في بعض الأحيان.. وعلى ذلك، قررت "لجنة الدفاع عن الحريات"، المنبثقة عن لجنة المتابعة العليا لعرب إسرائيل، أول أمس، الشروع في نضال، قد يصل إلى درجة مقاطعة السفر على رحلات شركة "العال"، التي يكون التفتيش فيها مشدداً بوجه خاص. هذا نضال مبرر ويجب أن نأمل، ألا تكتفى "العال"، المعروفة بحساسيتها تجاه المقاطعة من جانب جمهور من المسافرين - "الحريديم" على سبيل المثال - بإلقاء المسؤولية على سلطة المطارات، وأن تعمل على تغيير وجه الأمور. لقد صدق المتحدثون العرب الذين قالوا إن "العال" في نظرهم هي المسؤولة تجاه زبائناتها.

لا أحد يختلف على أن التفتيش الأمني أمر حيوي لضمان سلامة الرحلات الجوية والمسافرين، ولكن ثمة طرقاً لتنفيذه بدون الطعن في سمعة جمهور كامل، وكأن كل عربي هو مشتبّه به إلى أن يثبت العكس. المشاهد في المطارات الإسرائيلية، في الرحلات الخارجية والداخلية، هي مشاهد لا تطاق في بعض الأحيان، إذ يحظى مواطنون لا ترقى إليهم أدنى شبهة، باستثناء هويتهم القومية، بمعاملة مهينة، وفي بعض الأحيان يضطرون حتى إلى عدم اللحاق برحلتهم، حيث يتم عزل محاضرين جامعيين، وأطباء، ومحامين بل ومجرد مواطنين أبرياء، عن سائر المسافرين، بسبب كونهم عرباً، حيث يجتازون سلسلة من الإهانات. وعندما نطلب من عرب إسرائيل الولاء للدولة، فإن على الدولة أن تتذكر أسلوب تعاملها حيالهم، والذي تعد معاملتهم في المطارات جزءاً منها.



حرب الآباء ضد الأمهات

افتتاحية هاآرتس ٢٤/٩/٢٠٠٧

لقد تحدت صيغة القانون الذي ينص على حضانة السن الغضة قبل ٤٠ عاماً، ومن الممكن القول بأنها قد تقادمت. ولكن لسوء الحظ، لم يتغير أيضاً وضع اللامساواة بين الجنسين كثيراً خلال تلك السنوات. يكفي أن نرى بعض الرجال يحققون حقهم في الحصول على إجازة ولادة (١٥٠ يوماً في السنة)، ويتغيبون عن العمل عندما يمرض الطفل، ويعدون الواجبات المدرسية مع أطفالهم أو يصطحبونهم إلى رفاقهم، أو يذهبون إلى اجتماعات أولياء الأمور وإلى الأقسام، من أجل أن ندرك أن التوصية بتغيير القانون المتعلق بالحضانة قد سبقت أوانها.

يقول المحامي، "بني دون يحيى"، المتخصص في قضايا الأسرة، إن معظم الرجال المطلقين لا يريدون على الإطلاق تربية الطفل الغض، وإنما يزعمون فقط بأنهم يريدون تربيته من أجل تحقيق إنجازات في المداولات القضائية ومضايق المرأة المطلقة. هناك بالطبع فئة قليلة تريد الحضانة لأسباب صادقة، وربما هم ينتمون حقاً إلى سلالة الآباء الجدد التي يتطلع المجتمع إلى وجودها. بشكل عام، يُطلب من موظفي الخدمة الاجتماعية تقديم تقرير مفصل إلى المحكمة فيما يتعلق بصالح الطفل، وهم يكتشفون بشكل غير مفاجئ، أن المرأة هي ولية الأمر الرئيسية في البيت، وأن صالح الطفل الغض في أن يتربى في معيتها.

لا يمكن بدء المساواة من النهاية. في مجتمع مثالي، يتشارك فيه الرجال والنساء بالتساوي في عبء البيت، والإعاشة والتعليم، يمكن إلغاء أيضاً التسليم الأوتوماتيكي للأطفال الصغار لحضانة الأم. حتى ذلك الوقت، من المحبذ ترك هذه الميزة الصغيرة للمرأة الإسرائيلية.

حتى قبل أن تتجح النساء في تحقيق مساواة في الأجور، وقبل أن يتم العمل بالزواج المدني في إسرائيل، الذي لا يرتبط فيه الطلاق بإرادة الرجل فقط، وحتى قبل أن تتحقق مساواة حقيقية بين النساء والرجال في مجال ما، جلست لجنة خبراء وقررت التوصية بإلغاء "شريعة السن الغضة"، التي تحصل المرأة بمقتضاها بشكل أوتوماتيكي على حضانة الأبناء حتى سن السادسة في حالة الطلاق، إلا إذا كانت هناك أسباب خاصة لدى المحكمة لتقرر أمراً آخر.

يجب الافتراض، بأن نية الخبراء كانت حسنة ونبعت من الرغبة في تعزيز المساواة، إلا أن الأمر يتعلق لسوء الحظ بوضع العجلة أمام الحصان. القصص عن الآباء الذين يطبخون ويحفظون (يضعون الحفاضات) ويلعبون في التراب مع أطفالهم بشكل ثابت، وليس فقط كحالة خاصة، قصص مؤثرة، لكنها ما تزال في حكم النوادر. الحجة القائلة، بأنه قد تم في أوروبا والولايات المتحدة إلغاء القانون الذي ينص على تسليم الطفل الغض أوتوماتيكياً إلى الأم، ربما تناسب الدول التي لا يُطلق فيها الرجل المرأة، والتي يكون فيها الحصول على الطلاق موضوعاً بسيطاً وعادلاً.. أما في إسرائيل، فسيتحول النقاش القانوني حول حضانة الطفل إلى وسيلة ضغط جديدة على النساء الراغبات في الطلاق. الموقف القائل بأن الطفل حتى سن السادسة ينبغي أن يتربى مع أمه هو الممارسة المقبولة في العالم، حتى عندما لا يكون الأمر منصوصاً عليه في القانون. من الممكن القول، بأن هذا يحط بقدر معين من وضع الرجل المطلق، لكن انحطاط النساء ملموس في مجالات كثيرة من مجالات الحياة.

عما قريب سيُتخذ قرار

افتتاحية هاآرتس ٢٧/٩/٢٠٠٧

لم يشغل "إيهود أولمرت" منصبه ولا حتى للحظة واحدة بدون أن يكون في حكم مشتبه به في قضية ما، ولكن ليس هو أول رئيس حكومة تسير ولايته وهي تحت التحقيق. إذا كان هذا يثبت، أن حكم الشخصية الرفيعة كحكم كل مواطن - فإن هذا دليل على أن المواطن العادي أيضاً يعاني من تأخير لا يطاق في الحكم. ولكن إذا كانت في الحالة العادية تتردد الحجة القائلة بأن هناك عجزاً في أفراد التحقيق، وفي الادعاء وفي السلك القضائي، فإنه لا يمكن قول ذلك فيما يتعلق برئيس الحكومة، الذي تتجند الهيئة كلها للتحقيق في قضاياها.

إن الوقت الذي يمر لا يعرقل فقط تحقيق العدالة وإنقاذ الحكم، وإنما يجعل أيضاً من رئيس الحكومة شخصاً يُنظر بريبة إلى كل قرار له على الصعيد السياسي أو الإداري وعلى أنه موبوء بمصالح أجنبية. وسواء قرر "أولمرت" القيام بهجوم فيما وراء الحدود أو بتقسيم القدس، فإنه سيكون هناك دائماً من يربط ذلك بالرغبة في التغطية على وضعه القانوني. الاستخلاص الوحيد هو أن مسئولية ثقيلة لإدارة رشيدة للدولة تقع على كاهل سلطات فرض القانون، وعليها أن تعترف بأن الوقت هو عنصر مهم في عملها. ربما حان الوقت لاختيار رجل من خارج الهيئة لمنصب النائب العام، يقوم بإدخال إجراءات عمل جديدة ومنعشة في النيابة العامة.

سواء حصل رئيس الحكومة على تخفيض مؤثر عندما اشترى البيت القابع في شارع "كرمياه" من عدمه، وسواء تم تقديم تخفيض ما كرشوة لقاء تسريع الحصول على تصاريح بناء في بلدية القدس، من عدمه، وسواء تبلور التحقيق إلى اتهام من عدمه - فإن من الصعب تقبل الفترة الطويلة بين القرار والآخر من جانب هيئات التحقيق والمدعين والمراقبين بفتور.

يشير قرار المستشار القانوني للحكومة بالأمر ببدء تحقيق جنائي في قضية البيت عدم رضا حتى في الشرطة نظراً للوقت الذي فات. فلو أن الشبهات حُوِّلت إلى الشرطة للتحقيق فيها فور الكشف عنها، لكان الإجراء أكثر منطقية، على الرغم من أنه لا توجد ضمانات لأن يكون سريعاً. إنما تحقيق العدالة بهذا المعدل ليس من العدالة في شيء.

القضايا المتعلقة برئيس الحكومة ليست معقدة. إذا كان "إيهود أولمرت" قد أجرى تعيينات سياسية ممنوعة بحكم منصبه كوزير للتجارة والصناعة، وإذا كان قد جامل مستثمراً ما لأنه أتى إليه عن طريق صديقه المحامي "أوري ميسر"، فإنه قد مر وقت طويل منذ ذلك الوقت لبلورة قرار بأي شكل من الأشكال. أيضاً في قضية بيع بنك "ليثومي"، وهي الأكثر تعقيداً من حيث الشكل بسبب وجود المتورطين فيها خارج البلاد، فإن ثمة تعهداً كل أسبوع بأن المدعى العام، "عيران شنيدر"، سيتخذ عما قريب قراراً، حتى إن التأهب لقراره بات يشغل عناوين الصحف منذ شهور.

ترجمات عبرية



إسرائيل - سوريا

ينبغي الاستعداد لاتخاذ قرار من الآن ■ ידיعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٦
بقلم: د. روني برت (❖)

أما بالنسبة لاختيار البديل الثاني (مواجهة الجيش السوري) فسيكون لسبب مختلف، ألا وهو أنه لا يوجد سبيل لتدمير جميع الصواريخ، وبالتأكيد ليس المقصود هنا الصواريخ التي تهدد الجزء الشمالي من إسرائيل. ونظراً لأنه غالباً ما سيتبقى لسوريا قوة نسبية، لذلك فإن السبيل إلى وقف إطلاق النار هو حسم الحرب بالطريقة الكلاسيكية (احتلال الأرض وتدمير الجيش).. بهذه الطريقة وحدها ستتوقف سوريا عن إطلاق النار. إذن، ينبغي أن تتركز الجهود حول القيام بمناورة برية واختراق منظومة الدفاع السورية وضرب دمشق. ويعتبر احتلال الأرض علامة ملموسة وحقيقية على الانتصار، لذا يتعين على رئيس الأركان أن يتخذ القرارات التي من شأنها أن تنهي الحرب القادمة بشكل حاسم.

لا يتعلق الأمر بترجيح خيار على آخر، بل باتخاذ قرار بشأن نوع الجهد الأساسي الذي يجب أن يبذل.. ونظراً لأنه في هذه الحرب لا يوجد خطر التعرض للهزيمة أو خطر على وجود الدولة، فإن الخيار الأول، ألا وهو الحفاظ على حياة المدنيين، هو الخيار الأفضل.. وعلى الرغم من ميل الجيش الإسرائيلي إلى العودة إلى النظام الأخلاقي، وفي الوقت نفسه رغبته في إجراء مناورة حاسمة، ليس من الواضح ما إذا كان من الممكن بشكل عام "هزيمة" سوريا عن طريق احتلالها وتدميرها. فالجيش السوري مدرب على معارك الانسحاب والبقاء، وتتطلب منظومة الدفاع القوية الموجودة على حدود دمشق معركة اختراق طاحنة ستسفر عن الكثير من الضحايا، في الوقت الذي ستكون فيه الجبهة الداخلية مازالت تتعرض للضرب. وحتى يمكن التعامل بشكل أكثر نجاعة مع منظومة الصواريخ قصيرة المدى، وإبعاد خطر

في حالة اندلاع حرب ضد سوريا، سيتعين على إسرائيل أن تقرر ما إذا كان يجب أن تركز جهودها لمواجهة منظومة الصواريخ السورية التي تهدد الجبهة الداخلية، أم تركز جهودها لمواجهة الجيش السوري.. ينبغي على الحكومة، وليس الجيش، أن تتخذ هذا القرار، لأن مهمة الجيش ليست في اتخاذ قرار كهذا، وإنما وضع خطط الطوارئ وبرامج التسليح والتدريب. وهذا معناه إجبار الجيش الإسرائيلي على الاستعداد لهذين الخيارين.

والواقع أن هناك ثلاثة أسباب تستدعي ترجيح الخيار الأول (يقصد مواجهة منظومة الصواريخ السورية التي تهدد الجبهة الداخلية): الأول، أن دور الجيش هو الدفاع عن مواطني الدولة، خاصة أن المئات منهم قد يقتلون أو يتعرضون لخطر حقيقي على ضوء عدد الصواريخ السورية ومداه. الثاني، أن نظرية الانتصار أو الهزيمة ستتحدد وفقاً لوضع الجبهة الداخلية الإسرائيلية. الثالث، أن منظومة الصواريخ التي قام الأسد الأب ببنائها، والتي قام الأسد الابن بتوسيعها، تعد القوة الضاربة للجيش السوري ويأمل الأسد أن يستطيع بواسطتها أن يحقق توازناً استراتيجياً في مواجهة تفوق القوات البرية والجوية للجيش الإسرائيلي. لذلك، ينبغي أن تكون هذه القوة الاستراتيجية (الصواريخ السورية) الهدف الأساسي الذي يجب العمل ضده عن طريق منظومة صواريخ حيثس، وعن طريق قيام سلاح الطيران بمهاجمة أهداف محددة، وكذلك اختراق المروحيات الإسرائيلية عمق الأجواء السورية.

القوات البرية السورية، وتعميق الوعي بأن هناك إنجازاً، سيكون من الأفضل التقدم جهة الشرق لمسافة عشرة كيلومترات، واحتلال جبل الشيخ السوري. ليس مطلوباً الآن بالضرورة اتخاذ قرار يجزم بصحة أى من الخيارين المطروحين، لكن المهم أن تستعد إسرائيل بدراسة الموضوع الآن وبعمق، حتى تكون قادرة،

عندما يحين الوقت المناسب، على اتخاذ القرار الحاسم فى هذه القضية المعقدة والحساسة.

(♦) كاتب المقال رئيس مكتب الولايات المتحدة فى معهد أبحاث الأمن القومي.

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٧
بقلم: يوآف شتيرن

إيران للأسد: "سنساعد طالما تطلب الأمر"

والمكان". وأضاف السايح أن إسرائيل تعرف جيداً أن "سوريا اليوم تختلف عن سوريا الأمس"، وتحديداً بعد حرب لبنان الثانية، محذراً زعماء إسرائيل ومطالباً إياهم بإعادة التفكير مرة أخرى فى الخطوات التى يتخذونها فى ضوء ما حدث خلال هذه الحرب.

هذا، ولم تعقب الدول العربية أمس على ما حدث فى سوريا. فمعظم هذه الدول تعيش هذا القدر أو ذاك من التوتر مع سوريا، وهذا هو أحد الأسباب التى تجعلها تتأخر فى تعقيبها. بالإضافة إلى أن الدول العربية تنتظر الحصول على معلومات جديدة وواقعية حول ماهية الأحداث الجارية فى سوريا. أما روسيا، فمن جانبها نددت بالاعتداء الإسرائيلي. وفى بيان لوزارة الخارجية الروسية، جاء أن "اختراق المجال الجوي" لدولة ذات سيادة هو أمر غير مقبول يتعارض والقانون الدولي. وجاء فى البيان أيضاً أن إسرائيل مطالبة بالامتناع عن القيام بأنشطة مماثلة فى المستقبل، خاصة بسبب الاحتقان الشديد فى المنطقة.

كانت سوريا قد أعلنت عن الاعتداء الإسرائيلي على أراضيها أمس فى الساعة ١٤:٤٠، عن طريق بث بيان عبر وكالة الأنباء السورية الرسمية "سانا"، وكذلك عبر التلفزيون السوري. وجاء فى البيان أن سلاح الجو الإسرائيلي اخترق سماء سوريا من ناحية البحر المتوسط، وأغار على شمال الدولة، بعد منتصف الليل بقليل.

وقد جاء أن نيران المضادات الجوية التى أطلقت على الطائرات المشاركة فى الغارة أجبرتها على مغادرة أراضي الدولة، قبل "إلقاء القذائف" على الأراضي السورية. ولم يذكر البيان بالتفصيل كم طائرة شاركت فى اختراق سماء سوريا، كما لم يتم إيضاح ما إذا كانت الطائرات قد قصفت أم أنها ألقت فقط معداتها لتخفيف حملتها فى الطريق إلى الخروج من سماء سوريا.

وقد أرجع بعض المحللين السوريين سبب التأخير فى الإعلان عن المعلومات إلى أن القيادة السورية -

"سوريا تدرس الطريقة التى سترد بها على الاختراق الجوى الإسرائيلي لسماؤها" .. هكذا صرح أمس وزير الإعلام السوري "محسن بلال" .. وفى حديث لشبكة الجزيرة قال بلال: "سوريا تحتفظ لنفسها بالحق فى اختيار نوعية وطريقة وأسلوب الرد على الهجوم الإسرائيلي.. والقيادة السورية تدرس بشكل جاد كيفية الرد".

وفى مؤتمر صحفى عقده أمس نائب الرئيس السوري، فاروق الشرع، بالاشتراك مع رئيس الوزراء الإيطالي، رومانو برودي، قال الشرع رداً على سؤال مراسلة أخبار القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلي، رينا متسليح، بشأن الرد السوري، إن الهدف من الهجوم الإسرائيلي هو إحداث حالة من التوتر وتبرير الحرب المستقبلية.

هذا، وقد أفادت وكالة الأنباء الإيرانية "إيرنا" بأن السفير الإيراني لدى دمشق، محمد حسن أخري، اتصل أمس هاتفياً بعناصر أمنية سورية، وقال لها إن بلاده مستعدة لتوفير "كل أنواع المساعدة" التى تحتاجها سوريا.

ولم يخرج الرد السوري أمس عما كان مألوفاً خلال السنوات الأخيرة فى أعقاب غارات سلاح الجو الإسرائيلي فى سماء الدولة، وكذلك فى أعقاب الهجوم الإسرائيلي على معسكر تدريبات "عين الصاحب" قرب دمشق فى عام ٢٠٠٣، حيث كان الرد دعائياً، وتضمن مقابلات صحفية منحها وزير الإعلام لشبكة "الجزيرة" ومقابلات أخرى لمحللين سوريين يتعاونون مع شبكات تلفزيونية أخرى.. والكثيرين منهم ألحوا إلى أن سوريا لن ترد عسكرياً.

وقال المحلل السياسى السوري، د. فايز السايح، لقناة المنار التلفزيونية، إنه إذا تكرر الهجوم، ستقرر سوريا كيفية الرد حسب الظروف: "لا يمكن أن تتساق سوريا إلى معركة كهذه يُفرض عليها فيها الزمان

السياسية والعسكرية - كان يتعين عليها دراسة اعتبارات كثيرة ومعقدة تتعلق بالتصريحات الإعلامية والرد الواجب على الدولة. وقال أمس رئيس مركز الأبحاث الاستراتيجية في دمشق، د. عماد فوزي شعيب، أن القيادة كان يجب عليها دراسة عدة اعتبارات قبل اختيار الأسلوب السليم. وأضاف أن ما فعلته إسرائيل يعد بمثابة اختبار لقوة سوريا العسكرية وقدراتها: "إسرائيل تستخدم القوة لاختبار مدى قوة سوريا.. لقد فعلت ذلك أيضاً في الماضي".

كما طرح محللون عسكريون في وسائل الإعلام العربية احتمالات أخرى بشأن الهدف من الطلعات الجوية. ويرى بعضهم أن إسرائيل تسعى إلى إيجاد مسارات طيران في قلب سوريا لا يرصدها الرادار السوري. وربما تكون إسرائيل قد استهدفت القيام بالغارة الجوية قرب الحدود التركية، لكي تبعث برسالة إلى أنقرة ودمشق بأنها لا تريد إحراز تقدم في المسيرة السلمية (على اعتبار أن تركيا سبق أن عرضت وساطة بين إسرائيل وسوريا).

بيريس يدير مفاوضات سرية مع سوريا ■ بقلم: عومر كرمون المصدر: www.nfc.co.il ٢٠٠٧/٩/٧

دفع المبادرتين، الأوروبية والعربية، لدعوة سوريا ولبنان لحضور مؤتمر السلام الدولي، الذي تعتزم الولايات المتحدة عقده في الخريف المقبل. في حين يرفض الأمريكيون مشاركة سوريا في المؤتمر قبل أن تستجيب للمطالب الأمريكية فيما يتعلق بالمسألة العراقية. كما طالب وزراء الخارجية العرب في ختام اجتماعهم بالقاهرة، يوم الأربعاء الماضي (٢٠٠٧/٩/٥)، بدعوة سوريا ولبنان لحضور مؤتمر السلام الدولي. وقد وجه مستشار النمسا دعوة مشابهة



نقلت صحيفة "هيرالد تريبيون" البريطانية عن محللين سوريين قولهم إن الطلعة التي نفذتها المقاتلات الإسرائيلية شمال شرق سوريا كان هدفها إفشال المباحثات السرية التي يديرها الرئيس الإسرائيلي "شمعون بيريس" في روما مع نائب الرئيس السوري "فاروق الشرع" ورئيس الوزراء اللبناني "فؤاد السنيورة". ويشيرون في سوريا إلى أن الطائرات الإسرائيلية كانت تحلق على ارتفاع منخفض وكسرت حاجز الصوت، وهو ما يؤكد، حسب قولهم، إن هذه العملية لم تكن لأغراض استخباراتية أو هجومية.

وإنما لمجرد الاستفزاز والتحرش بهدف إهانة دمشق واستعراض مدى قدرة إسرائيل على اختراق منظومات الدفاع الجوي السورية بسهولة.

على الجانب الآخر، ينفي المسؤولون في القدس هذه الأنباء، ويقولون "لا علم لنا بوجود مثل هذه المحادثات السرية".

◆ المبادرتين الأوروبية والعربية:

تشير التقديرات إلى أن الرئيس الإسرائيلي يحاول

خلال زيارته للقدس يوم الثلاثاء الماضي.

◆ "استفزاز إسرائيلي":

في ختام لقائه بنظيره الإيطالي، قال وزير الخارجية السوري، فاروق الشرع، إن "تسلل المقاتلات الإسرائيلية يعد استفزازاً إسرائيلياً يثبت زيف الادعاءات الإسرائيلية بأنها تريد تهدئة الوضع.. إن إسرائيل راغبة في تصعيد الوضع من أجل عرقلة عملية السلام".

معاريف ٢٠٠٧/٩/١٩
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

نتنياهو هنا أولمرت على العملية في سوريا

الزعيم السوري، وأود أن أجرى معه مفاوضات سلام بلا شروط مسبقة.. ومع ذلك، رفض طلب الصحفيين بالتطرق مباشرة إلى العملية التي تسبب للجيش الإسرائيلي في شمال سوريا.



لم تقنع تصريحات أولمرت القيادية السورية، حيث سارعوا بالرد.. ففي مقال افتتاحي بصحيفة "تشرين" السورية الحكومية وصفوا بالأمس أولمرت كمن يحاول أن يبدو كحمامة سلام، بينما هو في الحقيقة "ذئب حرب".

كما كتب عصام داري، رئيس تحرير صحيفة "تشرين"، يقول: "إسرائيل ترفض التطرق لتفاصيل العملية غير المشروعة التي نفذتها طائراتها الحربية منتهكة المجال الجوي السوري، ورغم ذلك، تتحدث - على لسان رئيس حكومتها إيهود أولمرت - عن سلام مع سوريا بلا شروط مسبقة".

ويرى داري أن تصريحات رئيس حكومة إسرائيل المتسامحة تجاه دمشق ليست إلا مجرد تغطية (على العملية السابقة). وكتب يقول: "هكذا يرتدى أولمرت لباس حمامة السلام، لكنه نسي أن يخلع مخالب وأنياب ذئب الحرب".

خالف رئيس الليكود، بنيامين نتنياهو، سياسة الصمت الرسمية الإسرائيلية تجاه الأنباء حول اختراق طائرات سلاح الجو الإسرائيلي للأجواء السورية.. ففي تصريح أدلى به، مساء أمس، للقناة الأولى الإسرائيلية، قال نتنياهو إنه عندما يقوم رئيس حكومة

بأمور مهمة وضرورية لدولة إسرائيل، فإنني أقدم له الدعم المطلوب. وقد أضاف نتنياهو: "كنت مطلعاً على هذه العملية منذ الوهلة الأولى ولازال من السابق لأوانه مناقشة هذه المسألة. لم يحن الوقت بعد لتقديم التهاني.. ولكنني هنأت أولمرت بشكل شخصي".

جاءت تصريحات نتنياهو بعد الأسابيع الأخيرة التي حرصت خلالها القيادة الإسرائيلية على عدم التطرق مباشرة لما حدث في سوريا قبل نحو أسبوعين.

من جانبه، وقبل ثلاثة أيام، تطرق أولمرت لأول مرة للشأن السوري، وطلب إنهاء حالة التوتر التي نشأت في الأشهر الأخيرة، بين إسرائيل وسوريا، عن طريق إرسال رسالة سلام للزعيم السوري.

وخلال لقاء مع ممثلي الصحافة الناطقة بالروسية في إسرائيل، قبل ثلاثة أيام، قال أولمرت: "إنني أحترم

بقلم: د. حنان رايج (❖)
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٩

حول العملية الإسرائيلية في سوريا

وفي ظل غياب المعلومات الكاملة عن هذه العملية، أسبابها ونتائجها، فلا غرابة في انتشار شائعات كثيرة فوراً في وسائل الإعلام. وقد ذكرت مراسلة "سي. إن. إن"، كريستيان أمبور، أن طائرات الجيش الإسرائيلي هاجمت قافلة أسلحة كانت في طريقها من إيران لحزب الله، تم نقلها عبر الأراضي السورية. كما زعمت أن قوات برية إسرائيلية شاركت في الهجوم.

في المقابل، أفادت صحيفة "واشنطن بوست" أن الهدف من القصف كان منشآت اشتبهت بإسرائيل في أنها تحتوي على مواد نووية سلمتها كوريا الشمالية لسوريا.

في الأسبوع الماضي، بينما كان شعب إسرائيل منشغل بالاستعدادات الأخيرة لاستقبال السنة العبرية الجديدة، قصفت الطائرات المقاتلة الإسرائيلية أهداف مجهولة في سوريا. وفي حين رفض المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي التعليق على هذه الأنباء، أعلن الجيش السوري أن قواته أطلقت النيران على طائرات تابعة للجيش الإسرائيلي قصفت أهدافاً في بلاده على حد زعمه. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الرد السياسي السوري كان منضبطاً، فرغم أن دمشق أرسلت خطاب احتجاج للأمم المتحدة، إلا أنها لم تطالب بعقد جلسة لمجلس الأمن.

وقد ذكرت مصادر في حلف شمال الأطلسي (الناتو) أن غارات طائرات سلاح الجو الإسرائيلي كانت تهدف لإرسال رسالة تحذير لسوريا، وليس للتسبب في ضرر كبير أو إشعال نار الحرب، وكانت بمثابة إعلان للسوريين بأن إسرائيل على علم بجهود سوريا لتطوير منظومة صواريخ محطتها النهائية ستكون حزب الله. وحسب ما أوردته تلك المصادر، فإن الطائرات أطلقت أربعة صواريخ على المنطقة التي ترجح إسرائيل أنها تضم منشآت لتطوير وصنع الصواريخ. في تلك المنشآت يوجد خبراء إيرانيون وكوريون شماليون. وأضافت المصادر أنه ربما كانت إسرائيل ترغب في دراسة مدى فاعلية منظومة الدفاع الجوي الروسية التي سلمتها روسيا لسوريا مؤخراً.

كما ذكرت صحيفة الكويت أن عناصر استخباراتية تركية ساعدت الجيش الإسرائيلي في الهجوم على الأراضي السورية، دون إبلاغ الحكومة التركية. كما زعمت الصحيفة أن طائرات مقاتلة إسرائيلية اخترقت الأجواء التركية بعلم الجيش التركي، وذلك من أجل نقل رسالة للحكومة الإسلامية التركية، برئاسة رجب طيب أردوغان، مفادها أن إسرائيل بالتعاون مع الجيش التركي، معقل العلمانية في البلاد، لا ينظرون بتهاون للتسامح التركي حيال نقل أسلحة من إيران إلى سوريا ولبنان عبر تركيا.

وقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية أن دمشق أقامت علاقات سرية مع موردين من أجل الحصول على مواد نووية. وفي إطار تلك العلاقات، زار دمشق وفد من كوريا الشمالية. ربما تكون العلاقة بين سوريا وكوريا الشمالية جزءاً من شبكة أقامها العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان. وتجدر الإشارة إلى أن كوريا الشمالية هي الدولة غير الإسلامية الوحيدة التي أدانت إسرائيل.

ومن جانبها، قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق إزاء انتشار أسلحة الدمار الشامل، وأضافت أنه "ينبغي انتهاج سياسة تحول دون امتلاك الأشخاص الأكثر خطراً في العالم لأخطر سلاح، وهذا ما نفعله الآن". تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الإسرائيلية السورية تشهد توتراً منذ اليوم الأول لإقامة دولة إسرائيل. ففي

مايو ١٩٤٨، هاجم الجيش السوري أراضي دولة إسرائيل واحتل مناطق تسيمح، وامتسدا، وشاعر هجولان (بوابة الجولان)، لكن تم صد هذا الهجوم بعد مرور شهرين. كانت سوريا هي الدولة العربية الأخيرة التي وقعت مع إسرائيل على اتفاق وقف إطلاق نار في يوليو ١٩٤٩. وكانت الفترة بين حرب الاستقلال (حرب ٤٨) وحرب الأيام الستة (حرب ٦٧) مليئة بحوادث إطلاق نار خطيرة، بما في ذلك قصف بلدات على امتداد الحدود المشتركة، وإطلاق النار على سفن الصيد في بحيرة طبريا. ونتيجة لذلك، احتلت إسرائيل في حرب الأيام الستة (حرب ٦٧) هضبة الجولان.

وفي حرب عيد الغفران (حرب أكتوبر ١٩٧٣)، هاجم الجيش السوري هضبة الجولان ونجح في السيطرة على أجزاء منها لعدة أيام، غير أن قوات الجيش الإسرائيلي احتلت تلك المناطق قبل انتهاء الحرب، كما سيطرت على مناطق في العمق السوري. في مايو ١٩٧٤، تم توقيع اتفاقية فصل القوات بين إسرائيل وسوريا وتم نشر قوات الأمم المتحدة بين الجيشين. وفي ديسمبر ١٩٨١، أقر الكنيست قانون هضبة الجولان الذي ضم الهضبة لإسرائيل.

في سبتمبر ١٩٩٤، أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلي الراحل "إسحاق رابين" أن إسرائيل ستكون على استعداد للانسحاب من هضبة الجولان مقابل اتفاقية سلام سورية - إسرائيلية. ولكن المفاوضات بين الجانبين دخلت في نفق مسدود بعد الخلاف بين الجانبين (الإسرائيلي - السوري) فيما يتعلق بالوضع النهائي للحدود، والترتيبات الأمنية التي سيتم اتخاذها بعد الانسحاب الإسرائيلي.

كما أجرى رئيسا الحكومة الإسرائيليين اللذين خلفا رابين، بنيامين نتنياهو وإيهود باراك، اتصالات علنية وسرية مع السوريين، لكنهما لم ينجحا في إنهاء مسألة الحدود والسيطرة على مياه بحيرة طبريا.

(♦) كاتب المقال أستاذ كبير في قسم العلوم السياسية في أكاديمية عيمق يزراعيل، وباحث في مركز دراسات الثقافة اليهودية بجامعة موناخ في ملبورن - أستراليا.

ترجمات عبرية

٢

الشأن الفلسطيني

خمسة أطفال في أسبوع

افتتاحية هآرتس
٢٠٠٧/٨/٣١

استخدامها. وعلى الرغم من أن الفلسطينيين يزعمون بأنه ليس في مقدور الأطفال رفع مثل هذه الراجمة بسبب ثقلها، فإن المسؤولين في جيش الدفاع الإسرائيلي يرون غير ذلك، فمن وجهة نظرهم أن الراجمة خفيفة والمقذوف ثقيل، ولذا فإن عملية جمع الراجمات يمكن أن يقوم بها الأطفال أيضاً.

تسيطر "حماس" بشكل كامل على عمليات إطلاق (صواريخ) القسام صوب "سديروت" والبلدات المحيطة بغزة، ولا يمكن أن ننسبه إلى عصابات منفلة مثلما كان في الماضي.. صحيح أن "حماس" تقوم باستخدام منظمات أخرى كمقاولين من الباطن، وتوفر لها الصواريخ، بينما تقوم هي نفسها بالعمل الأكثر "احتراماً"، والمتمثل في المساس بأهداف عسكرية، إلا أنها في النهاية تسيطر على العملية برمتها.

أمام هذا الإطلاق المستمر (للسواريخ)، الذي لا توجد أي شواهد على ضعفه، على الرغم من النشاط البري وتصفية النشطاء من الجو، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي لا يملك أية وسيلة أثبتت ذاتها لإجهاض هذا الإطلاق. إن تصفية مطلقى الصواريخ هو عمل "سيزيفي" (عبيثي)، لأنه لا يوجد نقص بهم، وفي الوقت نفسه ليست هناك جدوى من المساس بهم. ومن المؤكد أن قتل الأطفال الفلسطينيين لا يضيف أمناً لأطفال "سديروت"، وإنما يزيد فقط من غريزة الانتقام، ومن الرغبة في الإضرار بأطفال الطرف الثاني.

ربما كان من الممكن أن يدرك الفلسطينيون أن وقف الإطلاق أكثر جدوى لهم لو أنهم لاحظوا وجود فجوة حقيقية بين تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين في الضفة وتعاملها مع المقيمين في غزة، ولو اتضح لهم أنه في المكان الذي يوجد فيه إرهاب أقل، فإن معاملة إسرائيل

قُتل ثلاثة أطفال فلسطينيين أول أمس في شمال قطاع غزة بنيران جيش الدفاع الإسرائيلي. الثلاثة أبناء عمومة من أسرة "الغزالة" - يحيى ابن الثانية عشرة، محمود ابن العاشرة، وسارة ابنة العاشرة.. رد فعل الجمهور الإسرائيلي على مقتل الثلاثة، كما كان على مقتل طفلين آخرين قبل ذلك ببضعة أيام بنيران جيش الدفاع الإسرائيلي، هو "لامبالاة شبه مطلقة"، وكأن الأمر يتعلق بقوة عليا، أو بثمن منطقي يوازن الإحباط من الإطلاق المستمر لصواريخ القسام.

هذه اللامبالاة خطيرة، لأنها تشجع على عدم توخي جيش الدفاع الإسرائيلي للمزيد من الحذر في تحديد الأهداف. لا يدل رد الفعل الأوتوماتيكي من الأسف الذي يعرب عنه المتحدثون باسم الحكومة، خاصة مقولة أن "المنظمات الإرهابية ترسل أطفالاً بشكل متعمد إلى الأماكن التي تمثل أهدافاً للهجوم" - لا يدل على محاولة لاستخلاص الدروس من الأخطاء. وهذه الدلالة تكون أكثر وضوحاً عندما يتم إطلاق النار من البداية على مناطق مأهولة بمدنيين، ويكون الخطر معروفاً. لا تستطيع إسرائيل التصرف كمنظمة إرهابية توجه النيران إلى أهداف مدنية، ولا حتى عندما يتعلق الأمر برد على إطلاق نار، خاصة أن هذا هو السبب الرئيسي الذي يحدو بإسرائيل لأن تشجع على مقاطعة "حماس" في العالم كله.

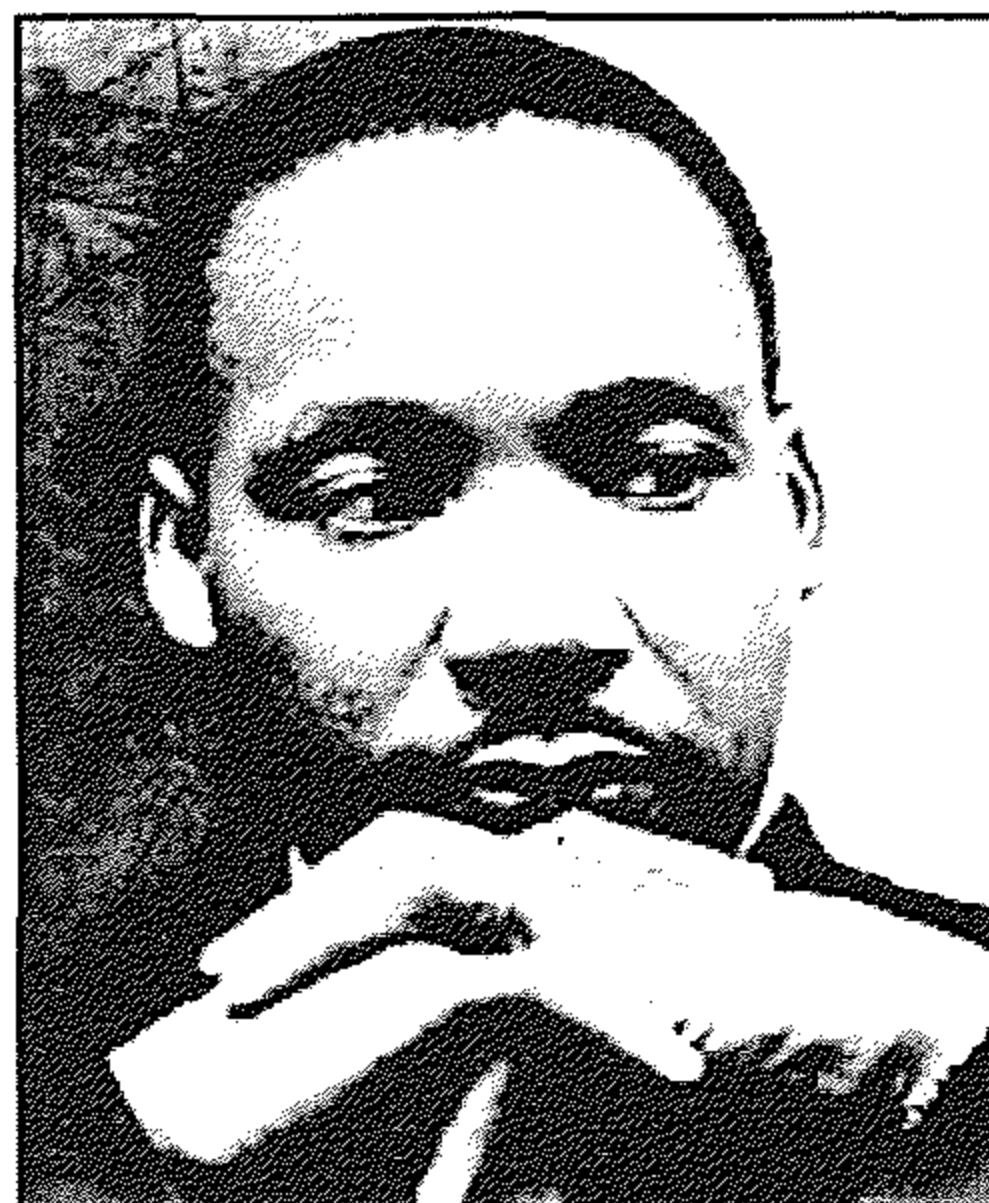
لا خلاف على أن الأطفال الذين قُتلوا كانوا يطوفون بالقرب من راجمات صواريخ، إلا أن من يطوفون بالقرب من هذه الراجمات هم في النهاية مدنيون وليسوا من يقومون بتشغيلها. يتم تشغيل راجمات القسام من على بعد، ثم يتم إرسال آخرين بعد ذلك، بمن فيهم أطفال أيضاً، لجمع الراجمات لإعادة

للسكان تكون محسوبة أكثر. صحيح أنه توجد شواهد في الضفة على حدوث تغيير في المناخ - إنقاذ الضابط الإسرائيلي على يد قوات فلسطينية من عملية تنكيل هو

تعبير عن ذلك - لكن الكلام عن تسهيلات في الحياة اليومية عن طريق تقليل عدد الحواجز هو حتى الآن مجرد تصريحات فارغة.

مطلوب لوثر كينج فلسطيني

بقلم: مولي بيلج (❖)
يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٨/٣١



الزيارة التي يقوم بها إلى إسرائيل "مارتن لوثر كينج الثالث" - الابن الأكبر لزعيم حركة الحقوق المدنية الأمريكية الذي اغتيل قبل أربعة عقود في ممفيس بالولايات المتحدة - تعيد إلى الأذهان فكرة الاحتجاج بلا عنف.

ومستلهما التأثير الروحي للمهاتما غاندي وزعامته في الهند، ركز الدكتور كينج الأب على مبدأ "اللاعنف" باعتباره تكتيكا واستراتيجية لتعزيز نضال السود من أجل الحصول على المساواة في بلادهم. وكان السبب الرئيسي لنجاح

النضال هو طريقة إدارته المواظبة والمستمرة إزاء العنف الفظ والمنهجي. وقد نجح أسلوب اللاعنف نجاحا ساحقا، وغير للأبد التاريخ في الولايات المتحدة وفي العالم بأسره. وأصبحت هذه السابقة - التي تشبه الثورة الفرنسية قبل قرنين من ذلك التاريخ - رمزا له تبعات آنية ومستقبلية على النضال السياسي في أماكن متفرقة من العالم.

ولكن خلافا للثورة الفرنسية - التي غرست فكرة أن الحرية والمساواة لا يمكن نيلهما إلا بالعنف - كانت رسالة مارتن لوثر كينج ورفاقه مختلفة تماما: المجتمع العادل لا يمكن أن ينمو إلا من خلال نضال غير عنيف. فالعنف - حتى لو كان ناتجا عن أسباب حقيقية أو عن ضائقة فعلية - يؤدي بالتبعية إلى عنف مضاد ويكرس مزيداً من الألم والمعاناة.

يحتاج الفلسطينيون اليوم، أكثر من أي شعب آخر في العالم، إلى محاكاة هذا النموذج. فلو فعلوا ذلك مع الاحتلال الإسرائيلي، لكان يمكن الافتراض أن أعدادا غفيرة من الإسرائيليين - ممن سئموا انتهاكات حقوق الإنسان والسيطرة على شعب آخر - كانوا سينضمون إليهم، ولأصبحت لديهم دولة مستقلة منذ أمد طويل.. إن العنف الفلسطيني المتواصل، سواء في طابعه العفوي والشعبي للانتفاضة الأولى أو من خلال الإرهاب الدامي الذي لا يميز، أطالا في عمر البؤس الفلسطيني وعملا على تكريسها.. وحقيقة أن كثيرا من الفلسطينيين يبنون العنف ويدركون أن نتائجه ستكون مدمرة بالنسبة لهم، لا تغير من الأمر شيئا: فمنذ بداية

الصراع، كان الأسلوب العنيف والقمعي هو المسيطر. وحتى بالنسبة للإسرائيليين، فإن أسلوب اللاعنف كان أسلوبا غريبا عليهم، أسلوب غير مقبول ومحل سخيرة واستهجان من مجتمع اعتاد العنف والبطش والاستفزاز منذ وجوده على سطح البسيطة.

وهنا تكمن مأساة الصراع: اللاعنف هو المفتاح لتغيير الوضع الذي يخسر فيه الطرفان يوميا. والتغيير لن يحدث إلى أن يتم تبني هذا النهج. غير أن هذا النموذج يعاني من الصورة الخاطئة المأخوذة عنه، والنابعة أساساً من عدم فهم لماهية

الظاهرة، مفاده أن "اللاعنف نهجا متساهلا عديم الجدوى". غير أن الواقع عكس ذلك تماما، فالطالب الأعزل الذي يقف أمام طابور من الدبابات في ساحة تيانانمين في الصين، وجموع الطلاب التي تقف أمام بنادق الجنود في شوارع أوكرانيا، والدكتور كينج نفسه الذي كان يسير منتصب القامة أمام الجمهور المعادي في ولاية جورجيا - كل هؤلاء ليسوا نماذج ضعف، وإنما أمثلة للقوة والعزيمة.

❖ العنف كوظيفة:

إن الانسياق وراء العنف ومحاكاة سلوك الجانب الآخر مثله كالتنازل عن المبادئ والمواثيق الدولية والاستسلام لقوانين اللعبة التي يملها الجانب الآخر، كما أن العنف ينبع في أحوال كثيرة من اليأس، وفقدان الصواب، وعدم وجود خيارات أخرى. أما اللاعنف فهو متعدد الصور ويتيح العديد من الخيارات، وهو أيضا رمز للجدوى السياسية: فبعد ٣٨١ يوما من إضراب سائقي الحافلات في مدينة مونتجمرى بولاية ألاباما، رضخت شركة الحافلات وسمحت بجلوس الركاب السود في أي مكان بالحافلة. كما نجح الأمر نفسه في المطاعم والمقاهي، رغم الضرب والإهانات الفظة. وفي النهاية أدى اللاعنف إلى إلغاء قوانين التمييز العنصرية بكافة أشكالها وصورها.

ولكن رغم المزايا الواضحة لنهج اللاعنف، ورغم التجارب التاريخية المتراكمة لأهميته، فإن تبني هذا النهج

في منطقتنا ليس بالأمر اليسير، إذ إن كثيراً من الفلسطينيين والإسرائيليين بنوا تاريخهم المهني على العنف المتبادل، وطورا هويتهم الخاصة، وحياتهم وانتمايتهم القومي، على أساس النظرة إلى الآخر كعنيف.. وبالطبع هذا التصور السلبي والشيطاني المأخوذ عن العدو تطور بسبب الاحتلال من جهة، والإرهاب من جهة أخرى. واللاعنف حينما يأتي الآن فكأنه يهدد هذا الوضع، الذي بُني وحُصِّن طوال سنوات. فكلم إسرائيل، على سبيل المثال، يعرفون "المنظمة الفلسطينية لللاعنف والديموقراطية"، والتي تقوم بأنشطة متعددة في المدارس والمؤسسات العامة..! من المؤكد أنهم ليسوا كثيرين، لأن معرفتهم بمنظمة كهذه تحدث شرخاً في التصور الجماعي المأخوذ عن الفلسطينيين كمجتمع عنيف.. ولا شك أن هناك نماذج مماثلة موجودة أيضاً لدى الجانب الآخر - وعلى ذلك، ومرة أخرى، سنجد أنفسنا حبيسين حالة التناظر البائسة للصراع.

ولكن إذا عدنا ثانية إلى أكبر ثوربين عرفهما التاريخ - ماكسيميليان روبسبير ومارتن لوثر كينج - لسألناهما السؤال التالي: بماذا أتت الثورة الفرنسية، باستثناء الإدراك بأن عصر الحكم المطلق قد ولى، وأن المساواة والحرية أصبحتا ثمة العصر..! الإجابة: أنها أتت بالعنف كأداة لتحقيق الأهداف. وبماذا عاد علينا العنف في القرن العشرين..! لقد عاد علينا بسلب المساواة والحرية من أناس كثيرين جداً، بالإضافة إلى حصد أرواح كثيرين غيرهم.

هذه الوسائل المفزعة لا يمكن أن تكون مقدسة لتحقيق أي هدف.. ومن ثم، إذا أحسن الفلسطينيون والإسرائيليون بالتعلم من عبر التاريخ، فلزاماً عليهما أن يتبنيا ويشجعا فوراً نهج اللاعنف.

(♦) كاتب المقال أستاذ الاتصال السياسي في كلية نتانيا.

إزاء سديروت وغزة

افتتاحية هاآرتس ٢٠٠٧/٩/٦

تتعرض بلدات النقب الغربي إلى هجوم بصواريخ القسام للسنة السابعة على التوالي.. وينبع عجز إسرائيل عن إحباط الهجمات من التخوف من أن تبوء أية عملية عسكرية تقوم بها داخل غزة، التي انسحب منها جيش الدفاع الإسرائيلي قبل عامين، بالفشل، ومن أن يصاب العديد من الجنود، وكذلك من وقوع ضحايا بين الفلسطينيين، ومن أن يتلاشى التفهم الدولي للضرورات الدفاعية الإسرائيلية، ومن أن يتضح في نهاية الحملة العسكرية أنه قد تحققت هدنة فقط، استعداداً للمعركة القادمة بين إسرائيل والمنظمات التي تستخدم ضدها وسائل مختلفة، ليست فقط بالضرورة تكون صواريخ.

تصدر من حين لآخر، وبقوة، هذا الأسبوع، انطلاقاً من المحنة التي تعيشها الحكومة الإسرائيلية، اقتراحات يائسة، أحدها هو ما يوصى به الوزير "حاييم رامون"، وبشكل أكثر تحفظاً وزير الدفاع "يهود باراك"، بالإضرار بمنظومتى الكهرباء والماء الخاصتين بغزة، حيث يزعم أصحاب هذا الاقتراح أن الماء والكهرباء هما وسيلة عقابية موجهة، لكنها غير قاتلة، وأن الهدف منها هو دفع السكان إلى الضغط على "حماس" و"الجهاد الإسلامي" كي تكف عن إطلاق الصواريخ.

ولكن هذه الفكرة في حقيقة الأمر هي محض هراء. فمن الناحية الواقعية، قطع المياه والكهرباء يمكن أن يكون قاتلاً، فضلاً عن أنه لا يوجد أي برهان على أن التسبب في معاناة السكان الفلسطينيين سيثير شفقة "حماس" عليهم ويؤدي إلى وقف إطلاق الصواريخ.. إن ما يُطرح ليس مجدياً وغير أخلاقي وغير قانوني. من الصعب أن نصدق أن أناساً جادين يتحدثون أولاً ثم يتشاورون مع القانونيين بعد الفعل، رغم أنهم يدركون جيداً أنه ليس ثمة فرصة للحصول على ترخيص قانوني بالإضرار المتعمد بسكان غزة في عصر يتم فيه اتهام دول وضباط ووزراء في لاهاي بجرائم حرب. إن التعلق إلى الجمهور لن يحل مشكلة صواريخ القسام ولن يحمي أطفال "سديروت".. يتعين على الحكومة أن تتقل الدراسة من البلدات التي تتعرض لضربات القسام إلى أماكن أبعد - وهو ما كان مطلوباً أن تفعله في كل الأحوال أثناء القيام بحملة عسكرية كبيرة ضد صواريخ القسام - وأن تحذر سلطات "حماس" في غزة من أنهم إذا لم يتحملوا مسئوليتهم ويضعوا حداً للنشاط ضد إسرائيل انطلاقاً من داخل القطاع، فإن إسرائيل ستشن معركة ضد كل من يكيدون لها هناك في الموعد الذي تختاره وبدون مراعاة للوسائل التي قد تستخدمها وقد تضرر بالمدينين.

بقلم: د. تشلو روزنبرج (❖)
المصدر: www.amedia.co.il
٢٠٠٧/٩/١٠

كيف نتصرف إزاء ما يحدث في غزة..؟ ■

أن هذه حلولاً خيالية، وبالتالي لا يمكن تطبيقها. ولكن في مقابل ذلك، تدمير البنى التحتية التي يستخدمها الإرهاب إجراء متاح ويمكن تنفيذه.. ولكن ينبغي بداية دراسة الأهداف جيداً، وبعد ذلك ضربها دون خوف أو تردد.. كما ينبغي أن يتحول محور فيلادلفي إلى نقطة مراقبة صارمة، فينبغي أن تكون أية حركة لشاحنات مدنية هدفاً دائماً لإسرائيل يتعين عليها المساس به. وهذا أمر من السهل تنفيذه إذا أردنا أن نحول بأي ثمن دون القيام بعمليات تهريب الأسلحة، وحتى موضوع الاتفاق يبدو أنه يمكن معالجته بصورة أكثر نجاعة، فينبغي دراسة جميع الاحتمالات بهدف إيجاد وسيلة لجعل هذه الأنفاق تنهار فوق رؤوس الذين يقومون باستخدامها. وينبغي على سكان قطاع غزة أن يعرفوا أن أي اقتراب من محور فيلادلفي سينتهي بالموت. وعلى الرغم من أن هذا الحل لن يحول تماماً دون القيام بعمليات تخريبية، إلا أنه سيجد منها بصورة كبيرة.

كما ينبغي أن تكون قيادات حركة حماس والمنظمات الأخرى أهدافاً للضرب بشكل مستمر دون توقف. كذلك ينبغي أن تكون منازل كبار المخبزين أهدافاً، وأن يصبح منزل المخرب بمثابة فخ للموت بالنسبة له. لا يجب أن نتظر حتى يتم إطلاق صواريخ القسام. إن سياسة ضبط النفس لن تجدي نفعاً، ولكن سياسة الهجوم المتواصل دون إعطاء المخربين فرصة للراحة من شأنها أن تساعد في الحد من إطلاق صواريخ القسام.

والأهم من ذلك أنه يتعين على إسرائيل أن تسعى لإقامة شريط أمني يتوغل داخل غزة لمسافة عشرة كيلومترات.. ومن غير المستبعد القيام بعملية عسكرية في سبيل تحقيق هذا الهدف وتثقيف المنطقة من المخربين. وحتى يحدث هذا، يتعين على إسرائيل أن تهئي الرأي العام العالمي لذلك، وأن تعد الحكومات الأجنبية للمساعدة في تحقيق هذا الهدف. ولن يكون هذا بمثابة أمر جديد، بل عودة إلى طريقة المناطق منزوعة السلاح، كما حدث في منطقة جنوب لبنان. ويمكن للقوات الدولية أن تكون الخط الفاصل الذي سيحول دون الاقتراب من الحدود مع إسرائيل وإطلاق صواريخ القسام.

❖ ينبغي التركيز على إجراء محادثات مع أبو مازن: حتى يمكن تطبيق التوصيات السابقة الذكر، ينبغي

يتسبب الإطلاق المتواصل لصواريخ القسام على سديروت وبلدات النقب الغربي، والعجز الحقيقي في التصدي لها، في قدر كبير من الارتباك بين القادة، كما يتسبب في بلبلة ولامبالاة من جانب الجمهور. وفي خضم الضائقة الحقيقية التي يعيشها الجميع، يتم الإدلاء بتصريحات جوفاء، كما تطرح حلول لا معنى لها. لا يوجد أي مجال للمقارنة بين صواريخ القسام، وما حدث في لبنان. فعلى الرغم من جميع إخفاقات هذه الحرب، إلا أن حزب الله خرج منها ضعيفاً. وصحيح أن إسرائيل لم تظهر كامل قوتها في هذه الحرب، لكن الفرق بين غزة ولبنان يكمن في أن حزب الله كان يتواري خلف نهر الليطاني، وتفصل بين إسرائيل ولبنان قوة دولية ضخمة، والأهم من ذلك أن الهدوء عاد مرة أخرى، ولم يتم إطلاق النار على القرى الشمالية، وهذا في حد ذاته أمر جيد.. أما غزة فهي منطقة مشاع، ومن يحاول أن يقارن بين غزة ولبنان يكون مخطئاً في أحسن الأحوال، ويكون قد تعرض للتضليل في أسوأ الأحوال، لأن حركة حماس لم تسيطر بهذه السهولة على غزة.. ينبغي أن نشير إلى أن إسرائيل هي التي سمحت بذلك، وبموافقة زعماء السلطة الفلسطينية الذين وافقوا على إجراء انتخابات حرة، والتي كانت نتيجتها معروفة للجميع. وعلاوة على ذلك، هناك من يزعم أن قيادات حركة حماس لا يكثرثون بتاتاً للسكان الذين يعانون، إلا أن هذه المزاعم تتجاهل الحقيقة الأساسية ألا وهي أن سكان غزة هم الذين جعلوا حماس تتولى السلطة، وذلك بناء على نتائج الانتخابات البرلمانية.

إذن كيف يمكننا أن نتصرف..؟ الأمر الذي يدعو للقلق هو أن إسرائيل المعروفة بقدراتها على "الابتكار" والإبداع والقيام بمفاجآت، لم تعد كذلك. وفي هذه الأوضاع المعقدة، ينبغي على القيادة السياسية والعسكرية أن تمهد الطريق، وأن تكرر جميع الطاقات البشرية لتنفيذ خطة تقدم في النهاية بارقة أمل لإنهاء الكابوس الذي يعيشه الجنوب، أو على الأقل الحد من أضراره بشكل واضح. وفي هذه الحالة، لا يجب أن نخشى القيام بإجراءات خارجة عن المألوف إذا كنا على قناعة بأن نتائجها ستحسن الوضع.

هل نفرض عليهم عقوبة جماعية..؟ في إمكاننا أن نفعل ذلك ونتركهم بدون كهرباء أو نقطع عنهم المياه، إلا

التسليم بحقيقة أن أبو مازن لا يمكن أن يفرض سيطرته مرة أخرى على غزة. وسوف يصاب بخيبة الأمل كل من يعتقد أن هناك إمكانية للتوصل معه إلى تسويات بشأن قطاع غزة. والسبيل الوحيد لمساعدة أبو مازن هو قطع الاتصال بين غزة ويهودا والسامرة (الضفة الغربية)، لأن انعزال غزة سيجعل الفلسطينيين يعيدون التفكير، وسيدرك الكثير منهم أن العمليات، على غرار إطلاق صواريخ القسام، لن تسفر سوى عن أضرار لا يمكن تجنبها.

إن من يفكر مجرد التفكير في العودة إلى غزة واحتلالها بأكملها، فإنه لا يفعل شيئاً سوى ذر الرماد في العين. فمن الناحية العسكرية، يمكن القيام بذلك، ولكن من الناحية العملية لا يجب على إسرائيل أن

تحاول أن تقوم بدور "حارس غزة" وألا تكثر بالسكان هناك.

وإلى جانب القيام بعملية في غزة، ينبغي على إسرائيل أن تواصل المباحثات السياسية التي تقوم بها من أجل التوصل إلى تسويات بشأن يهودا والسامرة (الضفة الغربية). صحيح أنه لا يمكن التأكد من مدى قدرة أبو مازن على الوفاء بما يُطلب منه، إلا أنه الزعيم الآن الذي ينبغي إجراء حوار معه. ولكن على أية حال، لا يجب أن نغض الطرف إزاء كل ما يحدث في الضفة الغربية، حتى لا نفاجأ، كما حدث في الكثير من المرات، بما سيخلقه الواقع الجديد.

(♦) كاتب المقال مؤرخ وخبير في الأمن القومي.

بقلم: يونس بن مناحم
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٠

حكم حماس

تعتبر استقالة غازي حمد، المتحدث الرسمي باسم رئيس حكومة حماس المقالة، إسماعيل هنية، بسبب خلافات في الرأي حول سياسة حركة حماس مع فتح، وحول الخطوات التي اتخذتها حماس بموجب كونها المسيطر على قطاع غزة - تعتبر أبلغ دليل على الأزمات التي تعيش فيها الحركة بعد مرور أشهر على سيطرتها العسكرية على قطاع غزة.

في البداية شعر الفلسطينيون بالخوف من أن تقيم حركة حماس "إمارة إسلامية" في القطاع ونظام حكم شبيه بنظام حكم طالبان في أفغانستان.. صحيح أن حماس تؤجل هذه النية مؤقتاً، إلا أنه سرعان ما اتضح أن حماس التي تأثرت "بنشوة النصر" تستغل القوة التي تمتلكها في الانتقام من أبناء شعبها، حتى نجحت في هدم صورتها في نظر الفلسطينيين والعالم.

يحاول قياديو حماس الزعم بأن تراجع شعبيتهم في الشارع الفلسطيني يرجع إلى الحصار الاقتصادي الذي تفرضه إسرائيل على القطاع، ووقف الكهرباء، وغلق المعابر واستمرار المقاطعة الدولية من جانب الرباعية الدولية، غير أن استطلاعات الرأي الفلسطينية وانطباعات الزوار الأجانب في غزة تفيد بأن أسباب ذلك مختلفة تماماً. فالجمهور الغزوي، الذي سئم فساد حركة فتح، بدأ يكتشف أن نظام حماس أيضاً يتبنى معايير فاسدة وسمات الحكم الديكتاتوري. وقد تحولت القوة الشرطية الخاصة التابعة لحماس، التي تعرف باسم "القوة التنفيذية"، إلى قوة القمع الرئيسية لحكم

حماس ومصدر الكراهية من جانب سكان القطاع. فهذه القوة تقوم بمدهامات للمنازل، واعتقالات، وأعمال تمشيط يومية وتمس بحرية وحقوق المواطنين. حتى حفلات الزفاف والمناسبات العائلية السارة تمكنت هذه القوة من إفسادها بحجج مختلفة.

وقد رصدت الصحافة الفلسطينية الصادرة في رام الله، نهاية الأسبوع الماضي، ممارسات "القوة التنفيذية" التابعة لحركة حماس، من إطلاق النار على آلاف المتظاهرين المنتمين لفتح خلال صلاة الجمعة في قطاع غزة، إلى الاعتداء الجسدي على الصحفيين الفلسطينيين الذين يحاولون تغطية عمليات ناشطي حماس.. كما بدأت الصحافة الفلسطينية في تشبيه ممارسات حماس بممارسات "الاحتلال الإسرائيلي"، الأمر الذي يوضح مدى الكراهية الشديدة التي تمكنت حركة حماس من تأجيحها، بأفعالها ضد نفسها.. وأول أمس، نشر موفق مطر، الصحفي الفلسطيني، مقالاً في صحيفة "الحياة الجديدة"، ذكر فيه أن نحو ١٩٠ سجيناً فلسطينياً توفوا في السجون الإسرائيلية خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلي الأربعين، بينما قتلت حركة حماس خلال ٤ أيام، سيطرت خلالها على قطاع غزة، ٦٩٠ فلسطينياً، ولا زالت تواصل أعمال القتل واعتقال آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني.

وقد انبرت حكومة سلام فياض في رام الله للدفاع عن الصحفيين الذين تعرضوا للاعتداء من جانب أفراد حركة حماس. ومن جانبه، ذكر رياض المالكي، وزير

الإعلام، أن الحكومة متضامنة مع الصحفيين المتضررين، في حين نظمت نقابة الصحفيين الفلسطينية مظاهرة ضخمة في رام الله.. يُذكر أن حركة حماس تتحدث بصوتين، فمن جهة، أعلن رئيس الوزراء المقال إسماعيل هنية أن الحركة لن تمس بحرية التعبير، ومن جهة أخرى، بات التكيل بالصحفيين في غزة أمراً يومياً وروتينياً.

كما فقدت حركة حماس الكثير من صورتها المأخوذة لدى سكان غزة بأنها حركة تناضل ضد إسرائيل، بعد أن أوقفت إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل واكتفت فقط بقذائف الهاون، كما أوقفت حركة حماس العمليات الانتحارية داخل إسرائيل، وتحافظ على نوع من "الهدنة"، مع محاولة التوصل مع إسرائيل إلى صفقة للإفراج عن مئات السجناء الفلسطينيين مقابل الجندي المختطف جلعاد شاليط. وأكبر هدية، في نظر الكثير من الفلسطينيين، قدمتها حركة حماس لإسرائيل، كانت

قيام عناصرها بإطلاق النار على أبناء شعبها المنتمين لحركة فتح، وهكذا حققت حركة حماس، في رأى الكثير من الفلسطينيين، الأمل الإسرائيلي في اندلاع حرب أهلية في قطاع غزة.

مع ذلك، فإن تراجع شعبية حماس في الشارع الفلسطيني يُعرض إسرائيل للخطر. وتقدر مصادر استخباراتية إسرائيلية أن الإحباط بين صفوف حركة حماس يرجع إلى أنها لا تحظى بشريعة دولية أو حتى بشرعية داخلية فلسطينية كافية، وهو ما قد يدفعها للقيام بعمليات إرهابية ضد إسرائيل. كما أن العزلة السياسية وتحييد حركة حماس في المفاوضات بشأن التسوية الدائمة واجتماع "المؤتمر الدولي" تزيد من حدة مواقفها. وإذا أضفنا إلى ذلك تطلعات إيران وسوريا، التي تستضيف قيادة حماس في دمشق، لإجهاض فرص التوصل لتسوية سياسية إسرائيلية قريبة، فإننا بصدد موجة عنف ستقودها هذه المرة حركة حماس.

يوهان.. رجل السلام

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١
بقلم: عكيفا إدار

يقترحه يوهان).. والواقع أن الحلول المبتكرة لجالتونج في كل ما يتعلق بالتسويات السلمية لا مثيل لها، فهو يقترح بدلاً من نقل العرب وإخلاء المستعمرات، تبني النموذج السويسري: كانتونات يهودية في فلسطين وكانتونات عربية في إسرائيل.

جدير بالذكر أن جالتونج لعب دوراً محورياً في أكثر من ٤٥ نزاعاً دولياً ومحلياً، بما في ذلك النزاع بين الكوريتين (الشمالية والجنوبية)، وكذلك الأزمة التي شهدتها الدنمارك في أعقاب نشر الرسوم الكاريكاتيرية للنبي محمد.

ووفقاً لجالتونج، فإن حديقة السلام على الحدود بين بيرو والإكوادور تعد مثلاً لحل مبتكر قابل للتطبيق، ويقول: "الحلول الوسط عادة ما تترك الجانبين خائباً الأمل. حديقة السلام هي الحل الذي يلبي احتياجات الطرفين ويخلق واقعاً جديداً. فبمرور الوقت، جعل الشريكان من الحديقة منطقة تجارية حرة، وانضمت الحكومات إلى مبادرة المواطنين لتطوير المكان".

وفي المقابل، فإنه يرى اتفاق أوسلو - الذي وُلد في المدينة التي أسس فيها جالتونج المعهد الدولي لبحوث السلام قبل ٤٨ عاماً - وصفاً أكيدة للفشل. ويقول: "عملية أوسلو لم تكن عملية سلام حقيقية، وإنما مجرد إجراء مختصر بين حركة فتح وحزب العمل الإسرائيلي. وعندما همشت أوسلو قوى أخرى، مثل الليكود وحماس، كان واضحاً أن هذه القوى ستعارض المسيرة وستحاول

لو أن البروفيسور يوهان جالتونج، داعية السلام النرويجي، ابن السادسة والسبعين عاماً، قد دُعي لمقابلة رئيس الوزراء إيهود أولمرت أو وزير الدفاع إيهود باراك، لكان قد قال لهما إنه حتماً يوماً ما، عندما تأسس الولايات المتحدة من الصراع الإسرائيلي العربي، ستضطر إسرائيل للبحث عن حلول غير عسكرية.

ولكن جالتونج - الذي زار إسرائيل الأسبوع الماضي (للمرة السادسة والثلاثين)، كضيف على منتدى الشباب الإسرائيلي للتعاون (YIFC) ومنظمة "شتيل" (❖) - اكتفى باجتماع وجيز مع نائب رئيس الوزراء حاييم رامون. وأثناء هذا الاجتماع، كرر يوهان الفكرة التي سبق أن طرحها في حديثه مع هاآرتس: إقامة جماعة شرق أوسطية، أي كونفدرالية بين إسرائيل وجيرانها الخمسة: سوريا، لبنان، الأردن، مصر وفلسطين.

يقول يوهان، الذي كتب ما يزيد عن ألف مقال بشأن الوساطة في مجال منع العنف وتصعيد الصراع: "فقط كونفدرالية كهذه ستتمكن إسرائيل من العيش في حدود آمنة والحفاظ على طابعها اليهودي.. وقبل الشروع في إقامة جماعة كهذه، من الجدير التعلم من نموذج الجماعة الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية".

ولكن يوهان يطور هذا النموذج، ويقترح أنه، إلى جانب عضويتها في كونفدرالية إقليمية، يجب أن تتضمن إسرائيل إلى الاتحاد الأوروبي، في حين يصبح جيرانها جزءاً من الجماعة الإسلامية المتحدة (الاسم الذي

تخريبها". وحسب قوله، فإن السلام الحقيقي يتطلب عملية إحصاء دقيقة لجميع اللاعبين الفاعلين في النزاع، وتحديد أهدافهم، وتشخيص السبل للتقريب بين الرغبات المختلفة. وحتى اليوم، عشية مؤتمر السلام في واشنطن، لا يتم أى شيء من ذلك. وهذا هو السبب في أن جالتونج لا يؤمن بأن مؤتمر نوفمبر سيسفر عن نتائج كبيرة.

يقترح جالتونج ثلاث طرق لمعالجة حل النزاع: البدء بالصعب، أى من القضايا الشائكة والصعبة؛ أو البدء من الهامش، أى من القضايا الأسهل إلى الأصعب؛ أو الانطلاق في الوقت نفسه على كل المسارات. ولو أنهم سألوا جالتونج، لأوصى بالخيار الأول، أى صياغة إعلان مبادئ لا يطرح حلاً سوى للمشاكل الجوهرية بين إسرائيل والفلسطينيين.. وهو يقترح أيضاً جهوداً موازية عبر القنوات الأخرى، وتحديد القناة السورية.

كما ينتقد جالتونج طريقة إدارة المفاوضات، ويقول إنه قبل شروع القادة في التفاوض، ينبغي أن تكون هناك مرحلة سابقة يقوم فيها الوسيط بدور حاسم، ويجتمع على حدة بكل طرف من الأطراف ويدير معهم حواراً جاداً، وذلك قبل أن يخوضوا في صراعات القوى المرتبطة بالمفاوضات نفسها، لأن هذه، وفقاً له، هي المرحلة التي تتضح فيها احتياجات الأطراف وتظهر فيها أفكار إبداعية.

يرى جالتونج أن قوة حماس تتزايد في المجتمع الفلسطيني، على خلفية أفول نجم النخب القديمة، ويحذر من أن هناك احتمالاً بأن تسيطر حماس على الضفة الغربية في غضون خمس سنوات. ويتساءل عن القوة المقابلة التي ستظهر في صفوف المجتمع الإسرائيلي. ويأمل الوسيط العجوز في أن تكون هذه القوة من الشباب، ويقول: "الشباب أكثر إصغاءً وأكثر انفتاحاً فكرياً. لديهم الرغبة في تقديم أفكار مبتكرة،

تختلف عن أفكار رؤسائهم، وذلك لكي يشقوا لأنفسهم مسارات بديلة".

الغرض الرئيسى من زيارة جالتونج لإسرائيل هو تدريب الفنيين الشباب. في حلقة عمل مشتركة جمعت ٢٠ إسرائيلياً وفلسطينياً، حث جالتونج المشاركين على عدم ترك مصيرهم في أيدي القيادات السياسية القائمة، وشجعهم على البدء في صياغة المستقبل الذي يريدونه لأنفسهم في حقبة ما بعد الصراع، والبدء من الآن في خلق الواقع الذي يريدون العيش فيه.

ويشكو الضيف النرويجي قائلاً: "إسرائيل تعاني من نقص كبير في أبحاث ودراسات السلام. إنكم تبذلون جهوداً مضنية في تسوية النزاعات وإدارتها، دون أن تشغلون بشكل كافى بالدراسات والأبحاث عن عصر السلام. عليكم أن تستعيدوا الإيمان بالسلام وأن تظهروا للجماهير أن هناك فائدة من هذا السلام. مثلاً لجيل الشباب دور، فإن وسائل الإعلام لها دور أيضاً في هذا الصدد. يجب أن تخصصوا مجالا أكثر لأنشطة المنظمات السلامية، بدلا من الانشغال بالجوانب العنيفة من العلاقات بين الشعبين.. التوازن الصحيح ليس بين تقارير العنف الإسرائيلى والعنف الفلسطينى، بل بين السلام والعنف".

♦ شتيل: جمعية ذات صفة قانونية مسجلة،

مهمتها تدعيم وتقديم المشورة لجمعيات التغيير الاجتماعى الناشئة، سعياً لتحقيق المزيد من العدل الاجتماعى والديموقراطية والمساواة والحقوق وحماية البيئة. تأسست "شتيل" عام ١٩٨٢، بمبادرة من صندوق إسرائيل الجديد ولا تزال تمول في ميزانيتها الجارية من هذا الصندوق، وإن كانت تحصل على الدعم المالى لمشاريع وأنشطة فيها من صناديق مانحة عديدة خارج إسرائيل.

بقلم:

ألف بن وآفى يسخروف
وباراك رافيد
هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١

مكتب رئيس الوزراء مهمم بوثيقة "بيلين - أبو مازن"

طلب مكتب رئيس الوزراء "إيهود أولمرت" مؤخراً من رئيس ميريتس عضو الكنيست "يوسى بيلين" تسليمه "وثيقة بيلين - أبو مازن" التى أعدت عام ١٩٩٥، وهى الوثيقة التى كانت قد حاولت رسم إطار لتسوية دائمة إسرائيلية - فلسطينية. ومن المحتمل أن يكون أولمرت ومساعدوه سعوا إلى دراسة تاريخ المفاوضات، أو معرفة ما الذى وافق عليه محمود عباس (أبو مازن) فى

الماضى، ومحاولة استغلال ذلك كتمهيد للمحادثات الحالية.

وقد التقى أولمرت وعباس أمس مرة أخرى فى منزل رئيس الوزراء فى القدس، وأعلنوا فى ختام اللقاء عن تشكيل فريقين لصياغة التفاهات، التى سيعرضانها على مؤتمر السلام (اللقاء الدولى المزمع عقده فى نوفمبر المقبل)، الذى دعا إليه الرئيس الأمريكى جورج

بوش. وحسب بيان مكتب رئيس الوزراء، سيعمل الفريقان على دفع "نبوءة الدولتين". ويشارك في الفريق الإسرائيلي مساعدا أولمرت يورام تريوفيتش وشالوم ترجمان، ومندوبان عن وزارتي الدفاع والخارجية. أما الفريق الفلسطيني فيضم رئيس الفريق المفاوض في منظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات، ورئيس مكتب عباس "رفيق الحسيني". وقد وافق أولمرت على إطلاق سراح سجناء فلسطينيين آخرين كبادرة طيبة بمناسبة شهر رمضان.

وكانت "وثيقة بيلين - أبو مازن" قد تم بحثها سرا بين بيلين، الذي كان في حينه نائب وزير الخارجية، وعباس الذي كان في حينه نائبا لياسر عرفات في منظمة التحرير الفلسطينية. وقد جرت محادثاتهما بالتوازي مع المفاوضات الرسمية على الاتفاق الانتقالي (أوسلو ب)، وتم الانتهاء منها قبل أربعة أيام من اغتيال يتسحاق رابين.

وكانت الوثيقة أول محاولة لشخصيات رسمية من الجانبين لاقتراح إطار لتسوية شاملة، ولكن رئيس الوزراء شمعون بيريس، الذي خلف رابين، رفض اقتراح بيلين للانتقال من الوثيقة إلى المفاوضات على التسوية الدائمة. ولم توقع الوثيقة، بل وتكرر لها عباس، إلا أنه أكد تأييده لها في حديث له مع مسئول أمريكي كبير بعد مرور عدة سنوات.

وكان بيلين وعباس قد اتفقا عام ١٩٩٥ على أن تبقى كل المستعمرات في الدولة الفلسطينية، على أن يبقى المستعمرون على جنسياتهم الإسرائيلية ولكن يخضعون للسيادة الفلسطينية ولحكم القانون الفلسطيني.. وربما مثل هذه التسوية، إذا ما تم إقرارها في المستقبل، كانت ستوفر على إسرائيل إخلاء المستعمرات في الضفة، مثلما فعلت في قطاع غزة.

كما جاء في وثيقة بيلين - أبو مازن أن اللاجئين الفلسطينيين سيمارسون حق العودة إلى الدولة الفلسطينية، ويتم تقسيم القدس إداريا، في ظل تأجيل حسم مسألة السيادة على المدينة، على أن تضمن مبدئيا أن يكون رئيس البلدية يهوديا.

وفي الجزء الأول من لقاء أولمرت وعباس أمس، والذي خصص كالمعتاد لمناقشة الشؤون المشتركة، شارك لأول مرة رئيس الوزراء الفلسطيني، سلام فياض، والذي عرض الخطة الأمنية، التي تمت بلورتها

بمساعدة المنسق الأمريكي، كيت دايتون. وتنص الخطة على تشكيل ونشر خمس كتائب من قوات الأمن الموالية لعباس، في أنحاء الضفة الغربية. ولم يطلب فياض في المرحلة الحالية نقل المسؤولية الأمنية عن مدن فلسطينية في الضفة إلى السلطة الفلسطينية، وإنما قال إن النقل سيتم بالتوازي مع إحراز تقدم في الخطة الأمنية.

وقد طلب عباس من أولمرت إطلاق سراح السجناء الفلسطينيين المسجونين في إسرائيل، كبادرة طيبة بمناسبة شهر رمضان، الذي سيبدأ نهاية الأسبوع الحالي. وقد وافق أولمرت قائلًا إنه سي طرح إطلاق سراح السجناء على الحكومة للتصديق، دون تحديد عدد السجناء. وقال عريقات بعد اللقاء إنه قد تم الاتفاق على أن تطلق إسرائيل سراح السجناء في الأسبوع الأول من رمضان. وقد استجاب أولمرت لطلب عباس، بأن ترسل السلطة الفلسطينية المواد الغذائية والمشروبات والسجائر إلى السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بمناسبة شهر رمضان.

وقد طرح عباس أهمية تسهيل الحركة والتنقل بين المدن الفلسطينية في الضفة، بينما أعرب أولمرت عن تقديره بأنه سيطرأ تحسن بعد الأعياد.. ومن المنتظر أن يلتقى عباس وأولمرت مجددا في ٢٥ سبتمبر المقبل.

وقد أعلن حزبا شاس ويسرائيل بيتينو أن وزراءهما سيعارضون إطلاق سراح السجناء الفلسطينيين بمناسبة رمضان، وذلك إذا طرح اقتراح في هذا الشأن في جلسة الحكومة يوم الأحد القادم.. فقد قال رئيس حزب يسرائيل بيتينو، الوزير أفيجدور ليبرمان، إنه ينبغي على الفلسطينيين الآن إظهار البوادر الطيبة، على غرار مكافحة الإرهاب، ونزع السلاح ووقف التحريض.. وبعد ذلك فقط تستطيع إسرائيل التفكير في بوادر طيبة أخرى من جانبها.

وفي تلك الأثناء، يتضح من استطلاع أجرى في السلطة الفلسطينية أنه إذا أجريت الانتخابات الرئاسية الآن، سيحصل عباس على ٥٩٪، مقابل ٣٦٪ لرئيس الوزراء المقال إسماعيل هنية. فوفقا للاستطلاع، الذي أجره معهد الاستطلاعات الذي يديره خليل الشقاقي في رام الله، أن ٤٨٪ سيصوتون لفتح في الانتخابات التشريعية، مقابل ٣١٪ لحماس.

بقلم: يهوناتان داحوح هاليقي

المصدر: www.nfc.co.il

٢٠٠٧/٩/١٧

حزب كاديما الفلسطيني يشق طريقه

قضايا فساد - وبعض أعضاء حماس المعتدلين وشخصيات من أحزاب أخرى.. وهذا من أجل ضمهم إلى اللجنة التأسيسية للحزب أو على الأقل الحصول على تأييدهم العلني. ويعتقد الأعضاء المؤسسون أن الحزب لديه طاقة انتخابية كبيرة، حيث يتمنى كثير من الجمهور الفلسطيني ظهور رؤية سياسية جديدة تكفل لهم مستقبل أفضل.

اللجنة التأسيسية ستشمل ١٢٠ عضواً، على رأسهم رجال الأعمال منيب المصري (أحد مؤيدي أبو مازن)، ومازن سونوكروت (أحد مؤيدي حماس)، وسعيد كنعان (ناشط سياسي من نابلس)، وباسم خوري، ومحمد خرباوي ومها أبو شوشة. ومن المتوقع الإعلان عن تأسيس الحزب رسمياً في شهر أكتوبر، وسيصدر برنامجاً للانتخابي موضعان رئيسيان: إعادة توحيد الضفة الغربية وقطاع غزة، وتحسين الوضع الاقتصادي للفلسطينيين.

يشعر الفلسطينيون بالغيرة من النجاح الذي حققه حزب "كاديما".. لذا، يبادر رجال أعمال فلسطينيون هذه الأيام بإقامة حزب جديد يعمل على إيجاد بديل لفتح وحماس، يركز برنامجه الانتخابي على إعادة الوحدة بين الضفة والقطاع وتحسين الوضع الاقتصادي الفلسطيني. تجرى في الشهور الأخيرة اتصالات على الساحة السياسية الفلسطينية لإقامة حزب مستقل ("كاديما" الفلسطيني) يكون قادراً على توفير بديل لحماس وفتح. وقد أعلنت مصادر فلسطينية أن رجال الأعمال والأكاديميين الذين يعملون على تأسيس الحزب الجديد، تلقوا رسائل مشجعة من رئيس السلطة الفلسطينية، أبو مازن، ومن مسئولين في حماس، وأنهم يعتزمون خوض الانتخابات القادمة للبرلمان الفلسطيني. وتتجه الجهود حالياً نحو تعبئة نشطاء للحزب الجديد، من بينهم مسئولون في فتح - غير المتورطين في

بقلم: جاي فارون

المصدر: www.glz.msn.co.il

٢٠٠٧/٩/١٨

مبادرة: تعويضات لمستعمري الضفة الغربية مقابل ترك منازلهم

التي أجريت، فإن ٧٠٪ من الجمهور الإسرائيلي يؤيد هذه الخطوة: "هذا عمل إنساني لا علاقة له بالسياسة أو الأحزاب. حسب استطلاعات الرأي التي أجريت، فإن نصف السكان الذين يعيشون هناك على استعداد للتفكير جدياً في الانتقال إلى داخل حدود دولة إسرائيل".

وقد أثارت المبادرة الجديدة حالة من السخط في كثير من الدوائر اليمينية، وفي مقدمتهم رجال مجلس مستعمرات الضفة الغربية وقطاع غزة "مجلس يشع"، الذين رفضوا أي حديث عن رحيل طوعي للمستعمرين من منازلهم. تجدر الإشارة إلى أن أبرز معارضي المبادرة هو آرييه إلداد، عضو الكنيست عن كتلة الاتحاد القومي-المفدال، والمقيم في مستعمرة كفار أدوميم التي لم يتم تضمينها في مسار الجدار الإلكتروني حتى الآن. وقال إلداد: "إذا كان فيلان مستعد لجمع أموال، فسنرى من الأكثر استعداداً للتبرع، هل هم من يريدون رحيل العرب أم من يريدون رحيل اليهود..؟".

ويأملون في وزارة الدفاع أن يتم الانتهاء من بناء الجدار الإلكتروني خلال الأشهر القليلة القادمة. وحتى ذلك الحين، سيتعين على قادة الدولة البحث عن حل أممي - اجتماعي لآلاف المستعمرين الذين سيظلون خارج الحدود الجديدة لدولة إسرائيل.

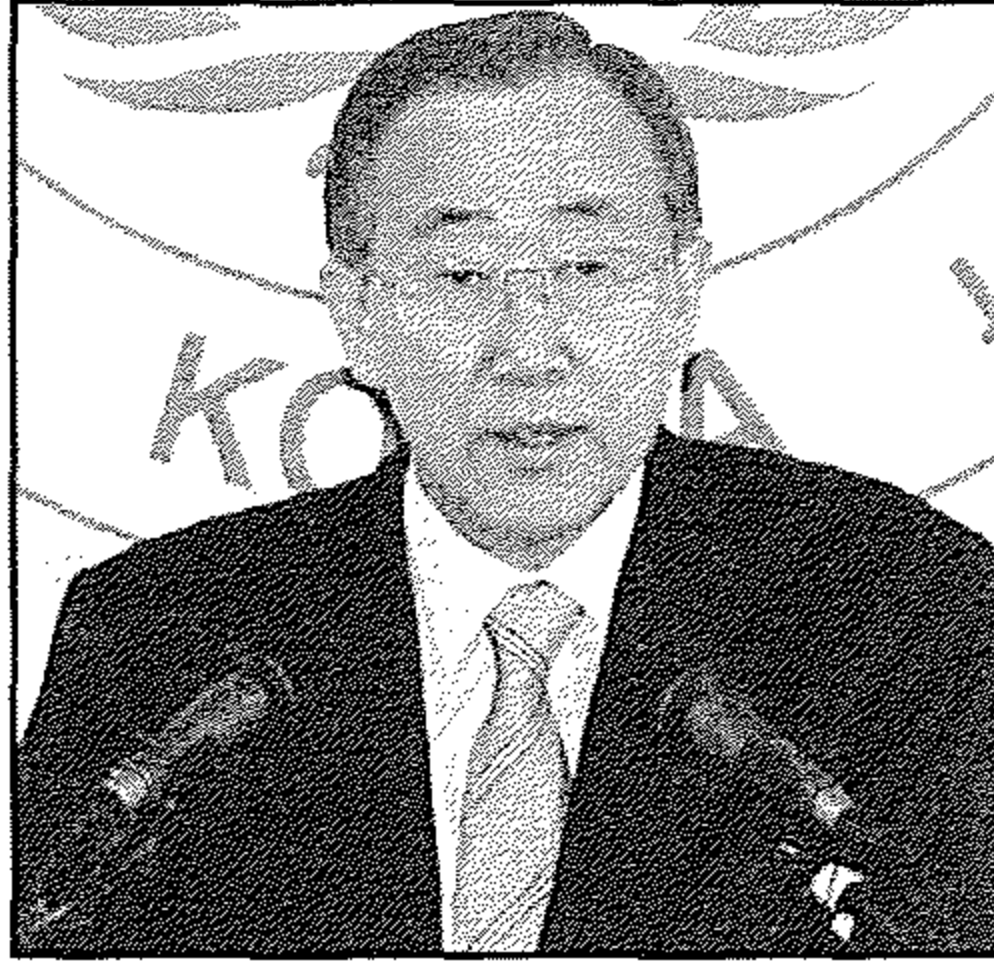
طرح مجموعة من الشخصيات العامة، من اليمين واليسار، مبادرة جديدة تدعو مستعمري يهودا والسامرة (الضفة الغربية) إلى الحصول على تعويضات من الدولة مقابل ترك منازلهم والانتقال للعيش داخل حدود دولة إسرائيل. ويقول عضو الكنيست أفشالوم فيلان، اعتماداً على استطلاعات رأي مختلفة، أن ٧٠٪ من الجمهور يؤيد هذه الخطوة. وفي الأسابيع الأخيرة، أبدى بالفعل ما يزيد عن ألفين من مستعمري الضفة الغربية استعداداً لترك منازلهم مقابل الحصول على تعويضات من الدولة.

وقد عرضت حركة "بيت إحداد" (بيت واحد)، التي أسستها شخصيات عامة من اليمين واليسار، تسوية يحصل في إطارها سكان المستعمرات التي ستظل خارج الجدار الإلكتروني - والذي سيتم الانتهاء منه خلال الأشهر القليلة القادمة - على تعويضات من الدولة مقابل ترك منازلهم. ويقول قادة هذه الحركة: "هذا الأمر سيرحم الآلاف من تهديد الإرهاب. الجدار الإلكتروني سيُبقى آلاف السكان خارجه بدون حماية.. وتسوية كالتى نطرحها ستوفر حلاً لهذه القضية".

ويقول أفشالوم فيلان، عضو الكنيست عن حزب ميريتس ومن مؤسسي الحركة، إنه وفقاً للاستطلاعات

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٩
بقلم: باراك رافيد

بان كي مون: "قطع الخدمات عن غزة يتعارض مع القانون الدولي"



قرر المجلس الوزاري المصغر اليوم (الأربعاء ٢٠٠٧/٩/١٩) تعريف قطاع غزة بأنه "كيان معاد"، وهو التعريف الذي يستتبع المساس بإمدادات الكهرباء والوقود للقطاع رداً على إطلاق صواريخ القسام، مع استثناء إمدادات المياه. وقد ناشد الأمين العام للأمم المتحدة "بان كي مون" إسرائيل بإعادة النظر في قرارها، وحذر من أن قطع الخدمات الحيوية يعارض القانون الدولي ويعاقب السكان المدنيين الذين يعانون أصلاً.

يقول الأمين العام للأمم المتحدة: "يعيش في غزة ١,٤ مليون نسمة، من بينهم مسنون، أطفال ومرضى لا ينبغي معاقبتهم بسبب الممارسات المرفوضة من جانب مسلحين ومتطرفين".

وفي واحد من أكثر التصريحات تطرفاً إزاء إسرائيل، منذ توليه هذا المنصب في يناير الماضي، قال الأمين العام إنه يشعر بقلق بالغ من القرار الإسرائيلي، وإن الأمم المتحدة تتحمل مسؤولية توفير الاحتياجات الإنسانية للسكان المدنيين في غزة. كما دعا لوقف إطلاق الصواريخ من قطاع غزة، وقال إنه يدرك مدى القلق الأمني الإسرائيلي.

ينص القرار الصادر عن المجلس الوزاري المصغر للشئون الأمنية والخارجية أنه في حالة إطلاق صواريخ على إسرائيل ستقتل إسرائيل في البداية إمدادات الكهرباء لقطاع غزة. وكان من بين مبررات قطع الكهرباء أن الورش تستخدمها في صنع الصواريخ.. ولكن لن يتم تقليل إمدادات الوقود إلا في المرحلة الثانية، وذلك لأن قضية الوقود مرتبطة بدراسة قانونية العقود المبرمة بين وزارة البنى التحتية الإسرائيلية والجهات المعنية في قطاع غزة، وهي الدراسة التي لم تنته حتى الآن. وإلى أن تتم هذه الدراسة القانونية، ستتوقف إسرائيل تماماً عن تزويد قطاع غزة بالوقود، باستثناء الوقود المستخدم في الأغراض الإنسانية، مثل تشغيل مولدات الكهرباء الخاصة بالمستشفيات، وذلك بهدف تجنب انتهاك القانون الدولي.

وقد قالت وزيرة الخارجية الأمريكية "كونداليزا رايس" إن الولايات المتحدة أيضاً تعتبر حماس كياناً معادياً.. وقد جاءت تصريحات رايس هذه في مؤتمر صحفي بالقدس في ختام لقائها مع وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني.. وخلال المؤتمر الصحفي، قالت

وزيرة الخارجية تسيبي ليفني إن "هذا القرار يعني أن إسرائيل لن توفر لسكان غزة سوى الاحتياجات الإنسانية فقط". مؤكدة أن قرار المجلس الوزاري المصغر يتماشى مع القانون الدولي.. ومن جانبها، ذكرت رايس أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق من تصرفات حماس في غزة.. ورغم أنها لم تعرب صراحة عن معارضتها لقرار المجلس الوزاري المصغر، إلا أنها قالت: "إننا لن نتخلى عن الفلسطينيين الأبرياء في غزة، وسنبذل قصارى جهدنا من أجل توفير الاحتياجات الإنسانية للسكان. فالضفة الغربية وقطاع غزة وحدة إقليمية للدولة الفلسطينية المستقبلية، ولن نفصل بينهما".

♦ **حماس: "القرار إعلان حرب" .. وننتياهو بيارك القرار**

وصف المتحدث باسم حماس، فوزي برهوم، القرار بأنه بمثابة "إعلان حرب" .. أما رئيس حزب الليكود عضو الكنيست بنيامين نتنياهو، فقد بارك القرار وقال إنه "أخيراً وبعد أشهر كثيرة من دعوتى ودعوة أعضاء حزب الليكود لاتخاذ مثل هذه الخطوة، عادت الحكومة لصوابها وقررت اتخاذها".

من جانبه، وصف رئيس حزب ميريتس "يوسى بيلين" القرار بأنه "أحمق وخطير". ودعا بيلين الحكومة لبذل قصارى جهدها من أجل وقف إطلاق النار مع غزة، لأن هذا الوقف هو الذى سيحرر سديروت من إطلاق صواريخ القسام، وكذلك جلعاد شاليط من خاطفيه.

وقال عضو الكنيست طلب الصانع "رغم- تغل" (القائمة العربية الموحدة - الحركة العربية للتغيير) إن "إسرائيل هي المحتل والمعتدي، في حين تصف المحتل (يقصد احتلال حماس لغزة) بأنه كيان معاد حتى تعفى نفسها من المسؤولية عن جرائم حرب". بينما قال عضو الكنيست أحمد الطيبي "رغم- تغل" إن هذا القرار سيزيد من حدة الأزمة الإنسانية في غزة. وأضاف: "حكومة أولمرت تأثرت بأفكار ليبرمان".

♦ **السماح بعبور الغذاء والأدوية فقط من المعابر:**

على أرض الواقع، سيتم تقليص نشاط المعابر بين إسرائيل وقطاع غزة، التى تعمل اليوم بصورة جزئية فقط وتستخدم في عبور الغذاء والأدوية بشكل خاص، ولن يتم السماح إطلاقاً بعبور البضائع غير الأغذية والأدوية. على سبيل المثال، ستمنع إسرائيل دخول أنابيب المياه لقطاع

غزة، تخوفاً من استخدامها في تصنيع القذائف. كما ستمنع إسرائيل تماماً حركة الأفراد من القطاع وإليه. كان هذا القرار قد صدر بعد دراسة قانونية أجرتها وزارة الخارجية بحثاً عن توصيف قانوني يحظى بقبول العالم، وانبثقت عنها الخطوات التي تقرر إجراؤها. وقد جاء في القرار أن هذه الخطوات "سيتم تطبيقها بالتنسيق مع الفتوى القانونية والوضع الإنساني على أرض الواقع". كما جاء في نص القرار أن حركة حماس هي المسئولة عما يحدث في قطاع غزة، وأن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ستواصل عمليات التصفية ضد حماس وباقي المنظمات الإرهابية. ويصف المجلس الوزاري المصغر حركة حماس بأنها "منظمة إرهابية حوّلت قطاع غزة إلى منطقة معادية، تخرج منها عمليات معادية لإسرائيل".

◆ الولايات المتحدة: "إسرائيل أوضحت أن هذه الخطوات لن تمس بالوضع الإنساني"

خلال جلسة المجلس الوزاري المصغر، قال الوزير يتسحاق كوهين (حزب شاس) إن الخطوات الإسرائيلية يجب أن توضح أنه مقابل كل عملية فلسطينية، سيكون هناك رد فعل إسرائيلي فوري ضد السكان.

من جانبه، يقول المتحدث باسم حركة حماس، فوزى برهوم، إن هذه الخطوة تهدف لتجويع شعبنا، وإجبار الفلسطينيين على إحناء رؤوسهم والخنوع وقبول الصيغ المجحفة التي سيتم طرحها خلال ما يطلقون عليه مؤتمر السلام في نوفمبر".

وقد قال وزير الإعلام في حكومة أبو مازن، رياض المالكي، إن السلطة الفلسطينية ستطلب من الولايات المتحدة ممارسة تأثيرها على إسرائيل حتى تحول دون اتخاذ خطوات عقابية ضد السكان في قطاع غزة.

◆ باراك لرايس: "سنزيل ٢٤ حاجزاً في المناطق (الفلسطينية)"

في تعليقه على القرار، قال وزير الدفاع، إيهود باراك، إن كل يوم يمر يقربنا من عملية واسعة النطاق في غزة، لكننا سندرس احتمالات أخرى قبل ذلك. من ناحية أخرى، التقى اليوم باراك بوزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس، وقد ناقش الاثنان القضية الفلسطينية، حيث أبلغ وزير الدفاع وزيرة الخارجية قائلاً: "أعتقد أنه يجب خلق أفق سياسي مع الفلسطينيين والتيسير على حياتهم اليومية، لكن أمن مواطني إسرائيل يحتل جدول أولوياتنا".

كما عرض باراك على رايس نوايا إسرائيل بإزالة ٢٤ حاجزاً في أنحاء يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، وذلك بهدف تيسير حركة الفلسطينيين. وقال باراك إنه "بعد إزالة الحواجز سيتم النظر في الوضع الأمني والإزالة التدريجية للمزيد من الحواجز". وأضاف باراك أنه سيتم النظر فيما بعد في زيادة التنسيق بين قوات الأمن الفلسطينية وقوات الجيش الإسرائيلي حسب الوضع على الأرض. فضلاً عن ذلك، ستتم دراسة انتشار قوات الشرطة الفلسطينية خلال ساعات النهار في مدينة أو مدينتين من مدن الضفة الغربية.

وقد شارك في اللقاء أيضاً رئيس الأركان جابي أشكنازي، الذي استعرض الاعتبارات الأمنية وجهود الجيش الإسرائيلي لتيسير الحياة اليومية للسكان الفلسطينيين في يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، فضلاً عن ضمان أمن مواطني إسرائيل.

تجدر الإشارة إلى أنه في ختام اللقاء بينهما، اجتمع باراك مع رايس اجتماعاً مغلقاً.

بقلم: شارون نوفيك
المصدر: موقع والا
الإلكتروني ٢٠٠٧/٩/٢٣

أدباء إسرائيليون يدعون لإجراء مفاوضات مع حركة حماس

مفاوضات مع حماس، في محاولة للوصول إلى وقف إطلاق نار شامل يحول دون مزيد من المعاناة لدى الجانبين". هذا، وقد وقع على البيان، الذي تبلورت صيغته بالتعاون مع مهندسي مبادرة جنيف، كل من: أ. ب. يهوشوع، وعاموس عوز، ودافيد جروسمان، ومائير شاليف، ويهوديت كتسير، وإيلي عمير، وسفيون ليبركت، ويهوشع سوبول، وإستي ج. حايم، والبروفيسور أليس شلفي ودوريت رفينيان.

كما ناشد المفكرون الحكومة عدم إهدار فرصة السلام.

من المقرر أن يقوم غداً (الاثنين الموافق ٢٠٠٧/٩/٢٤) ١١ أدبياً بارزاً ومفكراً إسرائيلياً بنشر بيان يطالبون فيه رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، ببذل قصارى جهده من أجل التوصل إلى اتفاقات جوهرية مع رئيس السلطة الفلسطينية، أبو مازن، خلال المؤتمر الدولي المقرر عقده في نوفمبر القادم. وعلى حد قولهم، فإنه يجب إجراء مفاوضات مع حركة حماس لإحلال الهدوء في المنطقة.

وجاء في البيان أن "إسرائيل تفاوضت في الماضي مع أعدائها. وسيكون من الصواب اليوم أيضاً إجراء

بلا مشاكسة وبلا تقدير

افتتاحية هآرتس
٢٠٠٧/٩/٢٥

ثانياً، لا ينبغي أن تعرقل اعتبارات الحيثية والصراعات السياسية الجهد السياسي. لا يوجد خلاف حقيقي بين وزراء "كاديما"، أو بين "كاديما" وحزب العمل، حول الصيغة المرغوبة للتسوية. الكل تقريباً موحد حول ذات المبادئ وذات الخريطة. أما محاولات بعض الوزراء، وعلى رأسهم وزير الدفاع "إيهود باراك"، عزل أنفسهم عن رئيس الحكومة من خلال تقديم تقييمات متشائمة وشروط صارمة للتسوية مع الفلسطينيين، فإنها تعقد فقط، وبدون داع، سير المفاوضات.

ثالثاً، من المهم أن تظهر محاولات دعم "عباس" والمعتدلين في الضفة على الأرض أيضاً، وليس في الخطابات والتصريحات فقط. لقد كان إعلان رئيس الحكومة في خطابه يوم الخميس الماضي، بأن "عباس شريكاً"، لائقاً من حيث مضمونه وتوقيتته، وأظهر تمسك "أولمرت" بالعملية السياسية، لكنه لا يتسق مع المماثلة التي تنتهجها الهيئة الأمنية حيال رفع حواجز في الضفة، وحيال إخلاء بؤر استيطانية غير قانونية. أيضاً كان قرار الحكومة إطلاق سراح ٩١ سجيناً فلسطينياً كلفتة في رمضان شحيحاً، وبدا الإعلان عن وضع أفراد شرطة السلطة في "نابلس" وكأنه استهزاء بها. من الصعب رؤية كيف ستدفع هذه الخطوات الميكروسكوبية هدفها المعلن، والمتمثل في تعزيز وضع "عباس" بين الجمهور الفلسطيني، إذا لم يشعر بها الجمهور في الضفة.

بقى نحو شهرين حتى انعقاد مؤتمر واشنطن، ومن المهم استغلال الوقت في دفع العملية التي هي في صلب المؤتمر، وفي التحضير للمراحل القادمة من المفاوضات لحل النزاع، وإقامة دولة فلسطينية.

يدفع النشاط الدبلوماسي الدائر هذا الأسبوع في الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك عقد مؤتمر السلام في واشنطن خطوة إضافية إلى الأمام. فقد أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية، "كونداليزا رايس"، أن المؤتمر يستهدف دعم المحادثات التي يجريها رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت"، ورئيس السلطة الفلسطينية، "محمود عباس"، لدفع النقاشات في "القضايا الجوهرية" لحل النزاع ولتدعيم جهود مبعوث الرباعية، "توني بلير"، في بناء مؤسسات فلسطينية.

وقالت "رايس" في ختام لقاء الرباعية أول أمس: "كالمعتاد دائماً في الشرق الأوسط، الطريق إلى الأمام صعب جداً". وانطلاقاً من الاعتراف بأن هذا هو الوضع، ومن الافتراض بأن لإسرائيل مصلحة عليا في عقد مؤتمر السلام وفي نجاحه، فإن من المهم أن تبذل الحكومة كل جهد لتأمين هذه الخطوة السياسية وأن تمتنع عن القيام بأعمال تعرقلها.

أولاً، على إسرائيل أن تبتدئ انفتاحاً ومرونة في المفاوضات حول صياغة إعلان المبادئ الذي سيُقدم إلى المؤتمر. لا ينبغي أن تتحول المحادثات بين الأطقم، والتي ستبدأ الأسبوع القادم، إلى مساومة عقيمة وخالية من المضمون بين متفاوضين عنيدتين. ينبغي أن يكون المناخ الموضوعي الذي اتسمت به حتى الآن محادثات أولمرت وعباس ممهداً لمثلهم أيضاً. يؤيد معظم الجمهور الإسرائيلي إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، على أساس الخط الأخضر، وببديل أراض في مقابل الكتل الاستيطانية الكبيرة في الضفة، التي سيتم ضمها إلى إسرائيل. ينبغي أن يكون هذا أيضاً هو الأساس لإعلان المبادئ المشترك، بما في ذلك صيغ لحل قضايا القدس، واللاجئين والترتيبات الأمنية المستقبلية.

ترجمات عبرية

٣

تقرير الفقر نصف السنوي في إسرائيل

الفقر "استقر" والفجوة اتسعت

بقلم: ياعيل برنوفسكي
يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٤

بنسبة ٢٪ (من ٢٤,٤٪ عام ٢٠٠٥ إلى ٢١,٥٪ في العام الماضي).
فضلا عن ذلك، يتزايد عدد الأطفال الفقراء في إسرائيل.. فوفقا للبيانات، كان هناك نحو ٧٩٦ ألف طفل فقير يعيشون في إسرائيل في العام الماضي، أي ٣٥,٨٪ من إجمالي الأطفال الذين يعيشون في إسرائيل - وهو ما يمثل ارتفاع بنسبة ٠,٥٪ مقارنة بعام ٢٠٠٥. كما انخفضت نسبة الأسر الفقيرة التي تعول الأطفال عام ٢٠٠٦، من ٢٦,٢٪ إلى ٢٥,٥٪. لذلك، وبسبب الانخفاض في مخصصات الأسر كثيرة الأطفال، تحتل هذه الأسر جزء أكبر من إجمالي الأسر الفقيرة، والتي تمثل الآن نحو ٦٠٪ منها، مقارنة بـ ٥٨,١٪ في العام الماضي.

يكشف تقرير الفقر نصف السنوي، الذي نشرته اليوم مؤسسة التأمين الوطني، أنه في عام ٢٠٠٦ كان يعيش في إسرائيل مليون و ٦٥٠ ألف فقير، نصفهم تقريبا من الأطفال.. ومع هذا، فقد انخفضت نسبة الفقراء في إسرائيل بـ ٠,٢٪ مقارنة بالعام الماضي، ولكن عدد الأطفال الذين يعيشون تحت خط الفقر ارتفع بنسبة ٠,٦٪.
وفقا لبيانات التقرير، فقد طرأ عام ٢٠٠٦ انخفاض طفيف في معدلات الفقر في إسرائيل، حيث انخفضت نسبة الأسر التي تعيش تحت خط الفقر من ٢٠,٦٪ إلى ٢٠٪، كما انخفضت نسبة الأشخاص الذين يعيشون في أسر فقيرة من ٢٤,٧٪ إلى ٢٤,٥٪. وانخفضت نسبة أسر المسنين الفقراء الذين يعيشون في إسرائيل

تقرير الفقر		
التقرير الحالي	التقرير السابق	
٢٤,٥٪	٢٤,٧٪	نسبة الفقراء
٤٠٤,٤٠٠	٤١٠,٧٠٠	أسر فقيرة
٧٩٦,١٠٠	٧٧٥,٠٠٠	أطفال فقراء
٣٥,٨٪	٣٥,٢٪	نسبة الأطفال الفقراء
٢١,٥٪	٢٤,٤٪	نسبة المسنين الفقراء

وفي مقابل الانخفاض في معدلات الفقر، اتسعت الفجوة بين الطبقات في إسرائيل. فوفقاً لتقرير الفقر لعام ٢٠٠١، طرأ ارتفاع بنسبة ٤,٦٪ في دخل الفرد، ولكن الارتفاع الكبير تجلّى في نسبة العشرة في المائة الأكثر ثراءً. فبينما ارتفع دخل ٩٠٪ من الشرائح الدنيا من ٣ إلى ٥٪، زاد دخل الـ ١٠٪ الأكثر ثراءً بما لا يقل عن ٧٪.

وقال وزير الرفاه "يتسحاق هرتسوج": "توجد هنا

نسبة كبيرة من الفقر في إسرائيل، ولا يزال الطريق طويلاً. ورغم البيانات الخطيرة، فإن هناك جموداً في الظاهرة". وأضاف: "يمكن الإشارة إلى الجمود والاستقرار مع حدوث تحسن طفيف بعد التردى الاقتصادي الشديد الذي شهدته فترة ننتياهو، إلا أن هذا لا يكفي. فظاهرة عدم المساواة تواصل التفشي، والسبب واضح. فالنمو الاقتصادي يخدم الطبقات الأكثر ثراءً فقط".

كثرة المواليد تعني الحصول على مزيد من المخصصات

بقلم: درور عزرا
المصدر: www.nana.co.il
٢٠٠٧/٩/٥

يتضح من مطالعة تقرير الفقر الأخير، أن الفقر موجود بشكل خاص داخل الأسر كثيرة العدد. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحل المطلوب للوهلة الأولى هو زيادة مخصصات المواليد لهذه الأسرة، مثلما كان يحدث في الماضي. ولكني أعتقد أن ذلك يعد خطأ رهيباً، خاصة أن الخوف كله من الحلول السحرية في إسرائيل التي تظهر في أفضل الأحوال كوههم كاذب، وككارثة في أسوأ الأحوال، فنسبة مخصصات المواليد في إسرائيل لو زادت ستعمل على تشجيع الانفجار السكاني، من خلال زيادة عدد المواليد في الأسر.

تشجع نسبة مخصصات المواليد في إسرائيل الآن، حتى بعد الاقتطاعات التي قام بها ننتياهو، الأسر الفقيرة على إنجاب المزيد من الأطفال، من أجل زيادة دخلهم. وجدير بالذكر أنه تم عام ٢٠٠٠ تمرير "قانون هالبرت" في الكنيست، والذي أقر بحصول الأسر ذات الخمسة أطفال فأكثر على مخصصات إضافية. لست رجل اقتصاد، ولكن وفقاً لانطباعي، هذا القانون وسياسة المخصصات التقليدية لإسرائيل صنعا دائرة مفرغة، لم تقلل من عدد الأطفال الفقراء، وإنما ضاعفت عددهم، بسبب ازدياد عدد الأسر كثيرة الأطفال، والبيانات الإحصائية خير دليل على ذلك.

حتى الاقتطاع الذي قام به ننتياهو في المخصصات عام ٢٠٠٣ كان متفرداً وغير أخلاقي. فليس من الأخلاق أن يتضرر الطفل الذي وُلد في واقع يتمثل في الحصول على مخصصات معينة، نتيجة استبداد صناع القرار.

ولكن خلافاً للمسألة المتعلقة بالميزانية، لم يُطرح تقريباً في إسرائيل السؤال الأساسي وهو: هل تعد

سياسة تشجيع الانفجار السكاني بشكل عام سياسة صائبة؟ إن إسرائيل دولة صغيرة، مزدحمة وفقيرة في الموارد الطبيعية، ويعد معدل الزيادة السكانية فيها من أعلى المعدلات في العالم الغربي، ورغم ذلك تعد المخصصات "شديدة الكرم" مع الأسر كثيرة الأطفال. جدير بالذكر أنه كلما زاد عدد السكان، زاد المساس بالمستوى المعيشي للسكان في إسرائيل. فالمزيد من الأفراد يعني المزيد من البيوت التي تقلل من مساحة الأراضي المفتوحة، والمزيد من الأفراد يعني المزيد من السيارات التي تزيد من تلوث الهواء، والمزيد من الأفراد يعني المزيد من الصرف الصحي والكثير من المخلفات التي تزيد من تلوث المياه والتربة والهواء، والمزيد من الأفراد يعني المزيد من التكديس في جهاز التعليم والصحة والرفاه، مما يؤدي إلى انخفاض جدواهم.

في ظل هذه الأزمة البيئية العميقة التي نشهدها، يمكن أن ينتهي الانفجار السكاني بكارثة هائلة على دولة إسرائيل. وسيكون لذلك أبعاد أمنية واقتصادية واجتماعية وبيئية صعبة على المدى البعيد جداً.. إنني لو كنت ضمن صناع القرار كنت سأوصي بالمضي في هذا الطريق:

أولاً، ينبغي أن يوضع في قانون الأساس أن مخصصات المواليد تتحدد في يوم مولد الطفل، ولا محل لتغييرها. فليس من الممكن أن يولد الطفل في واقع مخصصات محدد، ثم يتم تغيير هذه المخصصات بعد عدة سنوات.

ثانياً، ينبغي إلغاء حق الحصول على مخصصات المواليد من الطفل الرابع فصاعداً نهائياً، كما ينبغي زيادة مخصصات الطفل الأول والثاني، وكذلك منح تسهيلات ضريبية للآباء في الأسر الصغيرة. ولا بد أن

تكون المساعدة المقدمة للأسرة كثيرة العدد مختلفة، وتتمثل في إكمال الدخل الكافي.

ثالثاً، ينبغي تشغيل برنامج "كروت غذاء". هناك الآن العديد من الدول في العالم التي تسمح بمنح الشخص المحتاج كارت ممغنط، يعمل في كل الشبكات التسويقية، التي تسمح بشراء منتجات الغذاء الأساسية وفقاً لمبلغ محدد، دون الاحتياج إلى الجمعيات الخيرية بأنواعها والإهانة المرتبطة بذلك.

وأؤكد أن النية هي تطبيق هذه الأفكار فقط على الأطفال التي تولد في المستقبل، لذلك لن يكون أثر الميزانية لهذه الخطة فوراً وإنما بعد سنوات طويلة. وأرى أن الأفراد والجماعات الأكثر استغلالاً للموارد الطبيعية والمجتمع ينبغي أن يسددوا المزيد من الضرائب. إن عدد الأفراد في الأسرة يعد معياراً مهماً في هذا الأمر، إن لم يكن الوحيد.

عدد الأطفال	المخصص الشامل (بالشيكل)	حق الطفل الواحد من المخصصات (بالشيكل)
1	148	148
2	296	148
3	474	158
4	803	200.75
5	1132	226.4
6	1461	243.5
7	1790	255.71
8	2119	264.87
9	2448	272
10	2777	277.7
11	3106	282.36
12	3435	286.25

العرب أكثر فقراً

بسبب الدخل المتدني. وفي عام ٢٠٠٦، بعد انخفاض نسبة البطالة والعمل المكثف في شتى أنواع خطط التأهيل، ارتفع عدد الأسر الفقيرة التي يعمل عائلها إلى ١٦٢ ألف أسرة - أي زيادة بنسبة ١٦,٥% - وهي في أغلبها أسر تنتمي للوسط العربي.

كلما ازداد فقر "العرب" في إسرائيل أكثر فأكثر، كلما ازداد أيضاً "فقر العمال". فحينما يجد اليهودي عمل، يكون المقابل الذي يحصل عليه كافياً لرفع مستوى الأسرة إلى ما فوق خط الفقر، أما في الوسط العربي فإن ما يحدث هو العكس، حيث يحصل الملتحقون الجدد بدائرة العمل على أجر قليل جداً لا يكفي لزيادة دخل الأسرة، من أجل انتشارها من دائرة الفقر.

تتضمن الأجندة الاجتماعية التي تبنتها حكومة أولمرت، وفقاً لتوصيات المجلس القومي للاقتصاد، برئاسة البروفيسور مانويل ترختبرج، هدفاً لزيادة معدل العمالة في الفئة العمرية التي تتراوح ما بين ٢٥ - ٦٤ سنة. ويهدف ذلك إلى زيادة عدد العاملين في قطاعات الاقتصاد إلى نحو ٧٢% - نسبتهم الحالية ٦٩% - من إجمالي السكان في هذه الفئة العمرية حتى عام ٢٠١٠. وهذه زيادة تقدر بحوالي ٩٠ ألف عامل، وهي تفوق نسبة الزيادة الطبيعية. ومن المقرر أن يحل نصف العاملين الجدد محل العمال الأجانب.

السؤال: هل سيؤدي تحسين ظروف العمل إلى تقليل نسبة الفقر؟ الحقيقة أن هذا لن يحدث دون أن تتوقف الحكومة عن التحدث بأسلوب التعميم واستخدام صيغ لا تراعي الأبعاد الديموجرافية، وعدم التركيز على المكان الذي يوجد فيه الجزء الأكبر من "العمال الفقراء": الوسط العربي، ويليهِ - بمسافة كبيرة - الوسط الحريدي. ويجب أن تكون السياسة الفاعلة التي أوصى بها البروفيسور ترختبرج متناسبة مع احتياجات القطاعات المحتاجة لتحسين وضعها. وإذا كان التغيير الوحيد الذي سيحدث حتى عام ٢٠١٠ هو استبدال العمال الأجانب بعمال "عرب - إسرائيليين" بنفس الراتب، فإن زيادة الفقراء العرب ستتواصل رغم ارتفاع نسبة العمالة.

يمكن أن نستمر في تجاهل هذه النتائج، ويمكن للقنوات التليفزيونية المختلفة بث الصور المستهلكة للطوابير التي تقف للحصول على حقائق السلع الغذائية في البلدات اليهودية، كأمر بداً بديهياً، ولكن هذا في حقيقة الأمر يعد تجاهل للب المشكلة.

إن الفقر عند اليهود، الذي لم يكن مأساوياً حتى قبل عامين، أصبح يتقلص تدريجياً. أما الفقر العربي، الذي كان مأساوياً في الماضي، أصبح أزمة حقيقية.

وفقاً لما ورد في تقرير الفقر الشامل الذي أصدرته مؤسسة التأمين الوطني بالأمس، "انخفضت" نسبة الأسر اليهودية الفقيرة من ١٦% في عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ إلى ١٤,٧% خلال العام الماضي، حيث انخفض عددها بنحو ١٥ ألف أسرة. وفي نفس الوقت، "ارتفعت" نسبة الفقر وسط الأسر العربية من ٥٠% إلى ٥٤%، وارتفع عدد الأسر الفقيرة بـ ٢٠ ألف أسرة. وهكذا، نجد أنه بينما اليهود يخرجون من الفقر، أصبح العرب غارقين فيه: فقبل ثلاث سنوات، كانت نسبة الأسر العربية الفقيرة نحو ٣١% من إجمالي الأسر الفقيرة في إسرائيل، وفي العام الماضي، ارتفعت نسبتها إلى ٣٦%. وأثناء إحصاء إجمالي عدد الفقراء، تبدو أمامنا صورة أكثر قتامة، حيث تقترب نسبة المواطنين العرب الفقراء من ٥٠% من إجمالي الفقراء في إسرائيل - في مقابل ٤٠% خلال عام ٢٠٠٤. هذه هي النتيجة الديموجرافية، لأن الأسرة العربية الفقيرة تتكون من أكثر من خمسة أفراد، أما الأسرة اليهودية الفقيرة فتتكون من ثلاثة أفراد.

ينعكس ارتفاع معدل الفقر العربي في تنامي الفقر وسط الأطفال: حيث تتكون الأسرة العربية الفقيرة من ٢,٧ طفل، أما العائلة اليهودية الفقيرة فتتكون من ١,٤ طفل فقط. لذا، كلما ارتفع حجم العرب الفقراء، كلما تعاظم الفقر وسط أطفال دولة إسرائيل.

في عام ٢٠٠٤، كان يعيش في إسرائيل ٧١٤ ألف طفل فقير، منهم ٢٣٥ ألفاً من الأطفال العرب (٤٧%). وفي عام ٢٠٠٦، كان يعيش في إسرائيل ٨٠٠ ألف طفل فقير، منهم ٤٢٠ ألفاً من العرب (٥٢%). وفي الأعوام الثلاثة الأخيرة، ارتفع عدد الأطفال العرب الفقراء بنسبة ٢٥%، بينما تراجع قليلاً عدد الأطفال اليهود الذين يعيشون في أسر تحت خط الفقر. وبينما يعيش اثنان من كل عشرة أطفال يهود في أسر لا يتجاوز دخلها الصافي خط الفقر، نجد أن ستة أطفال من كل عشرة أطفال عرب يعيشون في أسرة فقيرة.

كما ينعكس الوجه العربي للفقر في الزيادة غير المتوقعة لنسبة الأسر الفقيرة ذات العائل الواحد، حيث اتضح من تحليل تقرير الفقر أن خروج رب الأسرة العربي للعمل لا ينقذها من الفقر، وإنما يغير فقط من موقعها في السجلات - أي من عائلة تحصل على إعانات إلى عائلة لديها دخل. ففي عام ٢٠٠٤، كانت توجد ١٣٩ ألف أسرة فقيرة يعمل ربها من أجل الحصول على دخل بكرامة، إلا أنه لم ينجح في ذلك

علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

بقلم: إيتسيك وولف
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٨/٣٠

قدرتنا على مهاجمة إيران محدودة

◆ "إسرائيل قادرة على تنفيذ عملية في إيران":
وعلى حد قوله، فإن كل التخطيطات الإسرائيلية ناجمة فقط عما إذا لم يهاجم الأمريكيون إيران، فيقول عميدور: "إذا قررت الولايات المتحدة أنها ليست في حاجة لإسرائيل عند القيام بعمل ضد البرنامج النووي الإيراني، فإنه من الغباء إقحام إسرائيل في الأمر". وأردف قائلاً: "إنها ليست في حاجة لإسرائيل، نظراً لأن قوتها العسكرية كبيرة بالقدر الكافي للتعامل مع هذا التهديد وحدها، وسوف ترتكب خطأ جسيماً إذا أقحمت إسرائيل في الأمر، لأن هذا لن يبدو آنذاك كعملية لإنقاذ العالم، وإنما عملية لإنقاذ دولة إسرائيل".
وأضاف أن: "المصلحة الإسرائيلية العليا، وكذلك المصلحة العالمية، تتمثل في عدم امتلاك إيران سلاحاً نووياً، وأى شيء آخر يجب أن يكون مرهوناً بهذه الضرورة"، مشدداً على أن "بمقدور إسرائيل تنفيذ عملية عسكرية في الأراضي الإيرانية، ولكن السؤال الوحيد الذي يجب أن تطرحه إسرائيل على نفسها هو: هل ما تستطيع إسرائيل فعله سيؤدي إلى وقف البرنامج النووي الإيراني لوقت طويل بما يكفي؟.. وهل الأمر يستحق كل المخاطر المترتبة على عملية كهذه؟..".
كما أشار عميدور إلى أن عبارة "الرب يعرف كل صغيرة وكبيرة" تخاطب عقله في هذه الأزمة التي تواجهها دولة إسرائيل، فيقول: "هنا أنت تدخل في عالم غير واضح إطلاقاً، عالم مرهون بمستوى المعلومات الاستخباراتية والقدرة على اختراق المنظومات الدفاعية التي طورها الإيرانيون. ولذلك، أى رد على هذا السؤال من أناس غير متخصصين، استناداً إلى معلومات استخباراتية غير حديثة، هو رد غير جاد".

صرح اليوم (الخميس ٢٠٠٧/٨/٣٠) اللواء احتياط يعقوف عميدور، من المركز اليروشاليمى لشئون الجمهور والدولة، تعقيباً على بحث أجرته جامعة لندن، يتناول خطط الجيشين الأمريكى والبريطانى للتصدي للبرنامج النووى الإيراني، بأن "قدرة إسرائيل الفعلية على ضرب المنشآت النووية الإيرانية محدودة".
في الوثيقة التي نشرت للمرة الأولى في موقع (nfc) الإلكتروني، زعم الباحثون البريطانيون أن إسرائيل غير قادرة على تدمير كل المنشآت النووية الإيرانية، ولكنها تستطيع فقط ضربها بشكل جزئي.
وأضاف: "لقد تكون لدى انطباع بأن كلام البريطانيين صحيح، ولكنه مجحف جداً. صحيح أن إسرائيل ليست لديها نفس القدرة التي يمتلكها الأمريكيون في إحضار كميات لا حصر لها من الذخيرة إلى إيران، والسبب الرئيسي في ذلك هو المسافة. وصحيح أن إسرائيل ليست لديها حاملات طائرات أو قاذفات ثقيلة، ولذا فإن قدرتها على نقل كميات كبيرة من الذخيرة لفترات طويلة إلى داخل إيران لن تكون مثل أمريكا. ولكن إسرائيل لديها قدرة جيدة جداً، كما أثبتت في الماضي، على رصد نقاط الضعف في منظومة كبيرة، ومن خلالها توجه الضربة في الزمان والمكان الصحيحين، ومن ثم تستطيع أن تصيب المنظومة الإيرانية في مقتل".
أشار عميدور إلى أن المسألة الصعبة التي قد تواجهها حكومة إسرائيل هي معرفة كم من الوقت يمكن أن تحتاجه العملية التي ستدمر جزءاً فقط من المنشآت الإيرانية: "أى التأكد من مساحة الوقت اللازمة لإصابة هذا النمر، والتأكد من أنه لن يستطيع المهاجمة لفترة طويلة، لأنه إذا أصبنا النمر فقط وأفاق بعد فترة قصيرة، سيكون هذا أكبر خطأ، لأن نمرأ مصاباً (جريحاً) سيكون أسوأ بكثير من نمر لم يلحق به ضرر".

إهانة ملكية

افتتاحية هآرتس
٢٠٠٧/٩/٧

منذ نحو إثني عشر عاماً، لكن المشاركة في جنازة رسمية لا تعد زيارة رسمية طبقاً لقواعد البروتوكول. ربما تكون الرسالة غير الرسمية التي تريد بريطانيا توصيلها إلى إسرائيل، من خلال هذا التصرف الملكي، هي أن إسرائيل ستتمتع بتطبيع في وضعها الدولي فقط عندما يتم إرساء سلام في المنطقة. لقد قال اللورد "جرفيل جانر"، أحد زعماء الطائفة اليهودية البريطانية، إن القيام بزيارة ملكية "سيكون مثار خلاف سياسياً". ويتضح من كلامه ثمة تلميح إلى الخوف البريطاني الزائد من إغضاب الطائفة المسلمة الكبيرة في بريطانيا.. هذا فضلاً عن منظمات وهيئات بريطانية اصطفت في السنوات الماضية على رأس النضال لتشويه شرعية إسرائيل، وخرجت من بريطانيا دعوات بمقاطعة الجامعات والباحثين الإسرائيليين أكاديمياً. كما صدرت بها أوامر اعتقال ضد ضباط رفيعي المستوى اشتبه في اقترافهم جرائم حرب في المناطق (الفلسطينية).. والدليل على ذلك تقرير برلماني خطير صدر العام الماضي حول تفشي ظاهرة معاداة السامية في بريطانيا. لقد صرح رئيس الحكومة البريطانية، "جوردون براون"، مع توليه منصبه، بأن دولته وقفت إلى جانب إسرائيل في "أوقات سيئة وحسنة على السواء". لكن هذا لا يكفي، فعندما يوجد تشكيك زائد عن الحد في شرعية الدولة اليهودية ذاتها، فإن حكومة بريطانيا ينبغي أن تظهر أن إسرائيل في نظرها دولة مثل سائر الدول وتستحق الاحترام والزيارات الملكية أيضاً، لأن في ذلك سيكون تشجيع مهم أيضاً للإسرائيليين الداعمين للنهوض بالسلام والمصالحة مع العرب والراغبين في تدعيم الوضع الدولي لدولتهم.

رغم أن الأمير "إدوارد"، البالغ من العمر ٤٢ عاماً - أصغر أبناء ملكة بريطانيا "إليزابيث الثانية" - يزور إسرائيل هذا الأسبوع كضيف على منظمة الشباب اليهودي - العربي، إلا أن هذه الزيارة أيضاً وُصفت بأنها "خاصة" مثل زيارات سابقة لأفراد من الأسرة المالكة لإسرائيل. لا توجد في القرن الحادي والعشرين أهمية سياسية للزيارات الملكية، ولا يتفاوض الأمراء باسم حكوماتهم، لكن ثمة أهمية رمزية لضيافة الدولة المضيضة. ومن المؤكد أن الأمر مهم عندما يتعلق الأمر ببريطانيا، القوة العظمى المهمة والمملكة الكبرى التي بقيت على حالها. لقد أدت بريطانيا دوراً حاسماً في تاريخ الشرق الأوسط بوجه عام وفي تاريخ الصهيونية بوجه خاص، وهي تريد أن تقود حل النزاع الإسرائيلي - العربي.. وهاهو رئيس حكومتها المنصرف، "توني بليز"، يمثل اليوم المجتمع الدولي (يقصد بذلك منصب بليز الجديد كمبعوث للجنة الرباعية الدولية)، حيث يكرس جهده من أجل إقامة دولة فلسطينية. عما قريب ستحتفل إسرائيل بمرور ٦٠ عاماً على إقامتها، منذ انتهاء الانتداب البريطاني وإعلان الاستقلال. لكن الحكومات البريطانية، على اختلافها، تصر، رغم الوقت الكبير الذي مضى، على منح إسرائيل وضعاً متديناً عن جاراتها في المنطقة وترفض التصديق على زيارات ملكية هنا. فالملكة "إليزابيث"، التي اعتلت كرسى الملك منذ ٥٥ عاماً وزارت منذ ذلك الوقت ١٢٩ دولة، لم تقم حتى الآن بزيارة إسرائيل.. صحيح أنها استضافت رؤساء إسرائيليين في قصر باكنجهام، إلا أنها لم ترد عليهم بزيارة مماثلة.. كما أن الأمير "تشارلز"، ولي العهد، شارك في جنازة "إسحاق رابين"

هآرتس ٢٠٠٧/٩/١١
بقلم: يواف شتيرن
وباراك رافيد

تركيا: اختراق إسرائيل للمجال الجوي السوري عمل غير مقبول

حد قول السوريين - فجر يوم الخميس الماضي، من حدة التوترات القائمة. ويعتقد د. آلون ليتل، مدير عام سابق بوزارة الخارجية، وخبير في الشؤون التركية، أنه في الوقت الذي تتدهور فيه العلاقات بين إسرائيل وتركيا، تتوطد العلاقات بين سوريا وتركيا.

وفي هذا السياق، يشير باباجان إلى قرار بعض الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية بإدانة تركيا بارتكاب جرائم إبادة جماعية في حق الأرمن مع مطلع

انتقد وزير الخارجية التركي علي باباجان، أمس، بشدة اختراق الطائرات الإسرائيلية للأجواء السورية عبر تركيا، وهو ما تزعم سوريا حدوثه. وصرح باباجان، بينما كان يقف بجانبه وزير الخارجية السوري وليد المعلم، بأن "تركيا لا تقبل مثل هذا الوضع"، منوهاً إلى أن بلاده طلبت توضيحات من إسرائيل حول هذا العمل.

تعد العلاقات الثلاثية بين إسرائيل وتركيا وسوريا هي الأكثر حساسية. وقد زاد الحادث الذي وقع - على

القرن العشرين، الأمر الذي أثار غضباً شديداً في تركيا، وكذلك مسيرة الأسلمة التي تجتاح تركيا الآن وتقض مضاجع الكثير من الإسرائيليين. وعلى حد قول ليثيل، فإنه يتعين على إسرائيل أن تتوخي الحذر في علاقاتها مع تركيا. واستطرد بقوله: "حتى وإن كنا نستطيع السكوت على ادعاءات الجانب السوري، فإننا مطالبون بتقديم العديد من التوضيحات لتركيا".

منذ سنوات طويلة وإسرائيل وتركيا تقيمان علاقات استراتيجية، تقوم في الأساس على التعاون العسكري - الاستخباراتي والأمني. علاوة على ذلك، هناك تعاون بين الدولتين في مجالات التجارة، والسياحة، والبنى التحتية. وقد لعبت تركيا خلال العام الأخير دور الوسيط الرئيسي بين إسرائيل وسوريا، حيث ناشد الأتراك إسرائيل دراسة إمكانية استئناف المفاوضات السياسية مع سوريا، كما تصدر الشأن السوري جدول أعمال الموضوعات التي تمت مناقشتها خلال الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت لأنقرة في يناير الماضي. وفي مقابل التوتر الذي يري ليثيل أنه أصبح السمة المميزة للعلاقات الإسرائيلية التركية، يلاحظ حدوث

تحسن لاسيما خلال السنوات الأخيرة في العلاقات بين تركيا وسوريا. فمنذ أن تلقت سوريا الإنذار التركي بوقف تأييد تنظيم "حزب العمال الكردستاني" السري المناهض للنظام التركي، والاعتراف بالسيادة التركية على إقليم كردستان، الذي يقطنه الكثير من العرب، طرأ تحسن ملحوظ على العلاقات التركية السورية.. فكلتا الدولتين تتقاسمان المصلحة المشتركة الراضية لإقامة إقليم كردي مستقل شمال العراق. ومع ذلك، فإنهما مختلفتان بشأن موضوع العلاقات مع إيران. فبينما يعد التحالف بين سوريا وإيران تحالفاً استراتيجياً، نجد أن التوتر يغلب على علاقات تركيا بالجمهورية الإسلامية.

يعتقد البروفيسور آيال زيسر، رئيس مركز ديان، ورئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب، أن العلاقات بين سوريا وتركيا ليست وطيدة كما ينبغي. وقد قال بالأمس: "صحيح أن تركيا هي الجارة الوحيدة الأقرب لسوريا، حيث نجح الرئيس السوري في توطيد العلاقات مع جارته الشمالية، ولكن إذا كانت تركيا هي الصديقة الوحيدة لسوريا، فإن هذا يُظهر حجم المشكلة التي تواجه بشار".

يديعوت أحرونوت

٢٠٠٧/٩/١٥

بقلم: يتسحاق بن يسرائيل (❖)

■ محور الشر .. عزلة، كراهية وأسلحة دمار شامل

خمسة وثلاثين عاماً (حرب عيد الغفران - حرب أكتوبر ١٩٧٣)، وهي مسلحة بعتاد سوفيتي. ربما يمكن "تفهم" موقف ليبيا والعراق، اللتين أرسلتا قوات لمساعدة "أشقائهما" العرب. كما يمكن أيضاً تخمين أن إرسال أسراب طائرات لسوريا من فوق دولة غير عربية، مثل باكستان، تم باسم التضامن الإسلامي. لكن لازل السؤال المطروح هو: لماذا أرسلت كوريا الشمالية أسراب طائرات مقاتلة للمشاركة في حرب ضد إسرائيل..؟

القاسم المشترك بين هذه الدول هو العزلة والخوف من العالم الخارجي: فهي تخشى من تسرب أفكار جديدة لأراضيها، ومن المخاطر التي تهدد نظامها الحاكم، ونظامها الاجتماعي والاقتصادي. هذه عزلة تسلب مواطني الدولة حريتهم، وتحول دون أي اتصال مع العالم الخارجي. لدى كل هذه الدول أنظمة شمولية تتسم بغياب الحرية السياسية، والقمع، وأحياناً تجويع بعض فئات الشعب، وعدم المساواة للنساء وغيرها. فعلى سبيل المثال، أوضحت دراسة أجرتها الأمم المتحدة مؤخراً أن عدد الكتب التي تمت ترجمتها للغة العربية منذ عصر الخليفة المأمون (في القرن التاسع) يعادل عدد الكتب التي تترجم للغة الإسبانية في العام الواحد فقط.

لم ينقشع بعد الضباب الذي أحاط بالعملية الإسرائيلية التي تمت أو لم تتم في سوريا، وها هي بعض الدول قد انبرت لإدانة إسرائيل. لم تخلو القائمة من إيران وليبيا بالطبع، حتى روسيا عادت لسلوكها الذي كان سائداً قبل انهيار الإمبراطورية السوفيتية - وأدانت العملية بصورة تلقائية.. وحتى كوريا الشمالية، الدولة غير العربية وغير الإسلامية، الواقعة في الطرف الآخر من قارة آسيا، كانت ضمن الدول التي أدانت إسرائيل.

ما هو القاسم المشترك بين هذه الدول..؟ لماذا سارعت لإدانة إسرائيل دون غيرها من دول أوروبا، وأمريكا، وأفريقيا، وباقي دول العالم..؟ القارئ الجيد سيلاحظ فوراً أن سلوك هذه الدول ربما هو الذي دفع الإدارة الأمريكية لتسميتها بـ "محور الشر" أو بالدول "المارقة" في أكثر من موضع. لكن ما هو الأمر الذي جعل هذه الدول تتصرف بأسلوب لا يتماشى مع القواعد الدولية المتعارف عليها..؟ فضلاً عن ذلك، ووفقاً للسياق الإسرائيلي: ما هو القاسم المشترك بين هذه الدول والعراق قبل الاحتلال الأمريكي وكذلك باكستان قبل عهد مشرف..؟ الإجابة هي أن كل هذه الدول (فيما عدا إيران التي كانت خاضعة لحكم الشاه الحديدي)، شاركت في حرب ضد إسرائيل، قبل نحو

لكن هذه ليست عزلة فكرية فقط.. فعلى غرار ما حدث في الإمبراطورية السوفيتية حتى انهيارها، كانت العزلة مادية أيضاً. تكاد لا تكون هناك سياحة وافدة أو خارجة. فالنظام الحاكم لا يحرص على اتصال مواطنيه بثقافات تتبنى الحرية والمساواة. فقد تحول الحفاظ على النظام القائم، أو ربما العودة "للوراء" للنظام الذي كان سائداً ذات مرة، إلى قيمة عليا. حتى المنظمات المارقة من غير الدول، مثل تنظيم القاعدة، تشارك في ذلك.. حيث يتطلع بن لادن وأمثاله لإعادة الوضع لما كان عليه أيام ازدهار الإسلام، وفرض نظام الشريعة الإسلامية الطاهرة والطيبة على العالم الكافر..!!

إن هذه الدول والمنظمات، في النهاية، لا تفهم العالم الحر ويعتبرونه خطراً على وجودها.. وبطبيعة الحال أن الخوف من تغير النظام وتسرب أفكار جديدة يدفع دول محور الشر للدفاع عن وجودها بأي ثمن، ومحاربة التهديد الذي تراه في المجتمعات المتقدمة بأي وسيلة. ومن هنا، فإن الطريق قصير نحو امتلاك السلاح

البديل: القنبلة النووية، أو على الأقل وسائل أخرى للدمار الشامل، مثل السلاح الكيماوي أو البيولوجي، وهي أسلحة أصبح من السهل الحصول عليها.

لقد رفعت إسرائيل راية القيم الثقافية للعالم الحر، القائمة على فكرة المجتمع المفتوح والسعى لتطويره بكافة الأشكال. ومن هذا المنظور، أصبحت بمثابة "الشیطان الصغير" في منطقة تعتبر العزلة قيمة عليا، أما "الشیطان الكبير" فهو الثقافة الغربية كلها، المتمثلة في الولايات المتحدة. من يفهم ذلك، يدرك أنه لا ينبغي علينا توقع حدوث تغير سريع. فالتغير الثقافي الحقيقي هو عملية طويلة الأمد تستغرق سنوات طويلة للغاية. وفي غضون ذلك، حكم علينا أن نعترف بالواقع الذي نعيشه، وبذل قصارى جهدنا من أجل مواجهة نتائج التوجهات الرئيسية للدول والتنظيمات التي تعرف اختصاراً بـ "محور الشر".

♦ كاتب المقال لواء (احتياط) وعضو كتيست عن كتلة كاديما.

بقلم: هيدر فريز
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٧/٩/١٩

تعاون بين إسرائيل وإيران

بعد الكوارث التي تقع إلى تقديم المساعدة وحل المشاكل بأسرع ما يمكن". كما صرح عوفيد قائلاً: "في مثل هذه الظروف ننسى الخلافات. ويصبح أهم ما في الأمر هو تقديم المساعدة. نحن لا نفكر في السياسة الآن".

وقال شافعي إنه تم التعرف على خمسة عشر قتيلاً إيرانياً، وأكد على أن بصمات الأصابع وتحليل الحامض النووي لأقارب أسر الضحايا في إيران سيساهم في التعرف على الضحايا الثلاثة الباقين.

وقال عوفيد من جانبه: "حينما شعر الوفد الإسرائيلي، الذي وصل إلى تايلاند، بمخاوف شافعي بشأن المفقودين الإيرانيين، أخبرته إنه يمكننا مساعدتهم".

وسيحاول الطاقم - المزود بوسائل إنقاذ وطوارئ - مطابقة أشعة أسنان المفقودين وبصمات أصابعهم وحمضهم النووي وما إلى ذلك، بالجثث التي تم العثور عليها. وقال ليئور فينترافوف، المتحدث الرسمي باسم الوفد الإسرائيلي في بوكيت: "نحن دائماً على استعداد لتقديم المساعدة لمن يعانون من ضائقة بشكل عام، حتى لو كانوا إيرانيين".

وقال المحققون إن تغييراً مفاجئاً في اتجاه وسرعة الرياح أدى إلى تغيير مسار الطائرة، الأمر الذي أدى إلى عدم استقرار الطائرة وخروجها عن سيطرة الطيار.



تجاهلت مصادر رسمية إسرائيلية وإيرانية الخلافات السياسية بينهما، عندما عملوا سوياً يوم (الثلاثاء ٢٠٠٧/٩/١٨)، حيث ساهم خبراء إسرائيليون وإيرانيون في التعرف على ضحايا الطائرة التي تحطمت على جزيرة بوكيت التايلاندية.

وفي تلك الأثناء، كشفت عناصر في هيئة المطارات التايلاندية أن منظومة الإنذار في المطار لم تعمل كما يجب عندما تحطمت الطائرة يوم الأحد.

وكان من بين الضحايا، البالغ عددهم ٨٩ قتيلاً، ستة إسرائيليين وثمانية عشر إيرانياً، كانوا يستقلون طائرة تابعة لشركة الطيران One-Two-Go Airlines التي حاولت الهبوط في مطار الجزيرة.

ورغم أن العلاقات بين الطرفين، أي بين إسرائيل وإيران، التي دعا رئيسها لتدمير إسرائيل وأنكر أحداث النازي، مقطوعة، إلا أن دبلوماسيين من كلا الجانبين صرحوا بأنهم لا يتطرقون في بوكيت إلى الموضوعات السياسية، وأنهم يبذلون قصارى جهدهم للتعرف على ضحايا الكارثة.

وقال "سافدر شافعي"، أحد ممثلي سفارة إيران في بانكوك، بعد مصافحته لياكي عوفيد رئيس مفوضية الشرطة الإسرائيلية في جنوب شرق آسيا: "إن الطبيعة البشرية تميل

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٢٠
بقلم: موطي أشكنازي (❖)

كونفدراليات على الطريق: العراق، سوريا وإيران

للحكم ودعم الجيش وأجهزة الأمن للحكم، والفقر والتخلف الصارخين في مقابل استثمارات هائلة في قوات الأمن، والسيطرة المحكمة من جانب الحكم على البؤر الاقتصادية، خاصة الطبقة الوسطى الصغيرة، حتى لا تشكل أساساً لنظام ديمقراطي.

ينتشر الفيروس بسرعة كبيرة للغاية في لبنان. هناك، يهدد الشيعة، بمساعدة سوريا، نمط الحياة الذي يجنح إلى الغرب من جانب الطوائف الأخرى. لكن سوريا - في جهودها لابتلاع لبنان وبتدخلها غير المباشر فيما يحدث في العراق - تسرع بيديها من انتشار الفيروس في أحشائها هي أيضاً. فهي تعزز بيديها نموذجاً انعزالياً من جانب جماعة أغلبية تشعر بأنها مميزة (للأسوأ) على يد جماعة أقلية. يراقب الإسلام السني، الذي يضم بين جنباته إسلاماً متطرفاً، ما يحدث سواء في العراق أو في لبنان ويدرسه عن كثب. من شأن انتفاض السنة، أن يسرع بتطور هيكل كونفدرالي هنا أيضاً.

إيران أيضاً ليست محصنة ضد مطلب جماعات أقلية بالحصول على حكم ذاتي ولاحق، بتغيير الهيكل القومي وبلورة هيكل كونفدرالي، إذا أخذنا في الاعتبار أن الأقليتين الكردية والأذرية فيها، تراقبان عن كثب التحولات في العراق، وحقيقة أن جزءاً ملموساً من شبابهما يتبنى قيماً ثقافية غربية. من شأن التطرف اليوم، أن يمثل عاملاً مساعداً على وجه التحديد في تغيير هيكل في المستقبل القريب.

بالنسبة لإسرائيل، فإن عملية الانفصال العرقي من ناحية، ونشوء هياكل طائفية فوق قومية من ناحية أخرى، يخلقان أوضاعاً بيئية مريحة جداً لقبول دولة يهودية كجزء لا يتجزأ من المنطقة التي تتحدث اللغة العربية. هذا ليس "نافذة فرص" عابرة وإنما عملية مفهومة.. في الشرق الأوسط، ومطلوب صبر وبرود.

(❖) كاتب المقال كان من مؤسسي حركة الاحتجاج بعد حرب يوم الغفران (١٩٧٣).

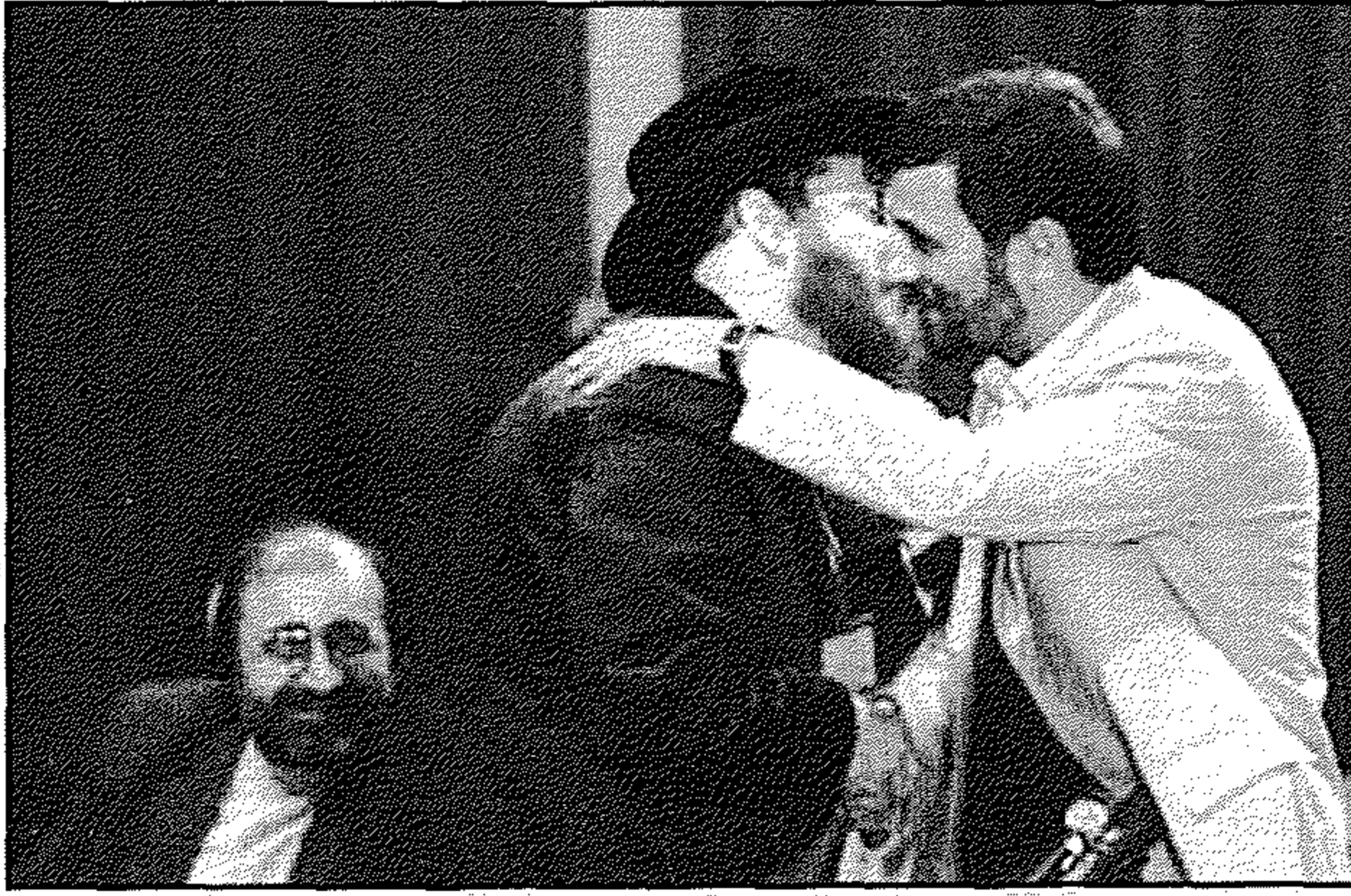
لا، لن يحدث هذا غداً ولا بعد عام أيضاً. لكن، الشرق الأوسط، الذي كان منذ عقود هو المنطقة الأكثر استقراراً في العالم، من ناحية استقرار الحكم، يواجه سلسلة من الهزات والتحويلات التي ستغير شكله تدريجياً. نحن نشهد في هذه الأيام بالذات بداية الطريق نحو شرق أوسط آخر مختلف. إذ ترفع قوى، كانت واقعة حتى الآونة الأخيرة تحت احتلال هياكل ديكتاتورية صارمة، رأسها.. العراق هو اللبنة الأولى فقط، والساحة الأولى التي تتصارع فيها - تصارعا حراً - قوى تحررت عبر عنصر خارجي، من القبضة الخانقة لحكم مهيمن وقمعي، كان حتى اليوم هو السمة الاجتماعية للمنطقة التي تتحدث اللغة العربية.

إن من يتابع ما يحدث في العراق بعينين متجردتين، يستطيع أن يرى كيف يحدث من خلال المذابح المنفلتة والمتبادلة "تعويم عرقي" شامل، يجعل كل واحدة من الجماعات المهيمنة (المليشيات سواء السنية أو الشيعية أو الكردية) تسيطر بالتدريج على منطقة نفوذها الرئيسية منذ الأزل. يحتك الشيعة والسنة والأكراد مع بعضهم البعض في قتال متبادل خاصة في المناطق التي اختلط فيها السكان مع بعضهم بعضاً خلال الأجيال الأخيرة. يتشكل العراق بالتدريج في شبه كونفدرالية على الرغم من وجود حكم مركزي به في الظاهر. لا يشذ مستوى العنف البادي في العملية، عن مستواه في المنطقة وليس فيه جديد.. إن ما يتقوض ليس الثقافة المشتركة، وإنما البناء السياسي الذي فرض على المنطقة من الخارج، من خلال ثقافة سياسية مغايرة.

عملية التغيير لا يمكن العدول عنها، وهي اتجاه سوف ينعكس بالتدريج على استقرار دول أخرى في المنطقة وسيصيبها بنفس الفيروس، نظراً لأن الهيكل الذي ساد في العراق حتى إزاحة "صدام حسين"، يتشابه تقريباً في كل الدول الأخرى في المنطقة، بمعنى: العداء العرقي، وسيطرة مجموعة أقلية (السنة كانوا في العراق والعلويون مازالوا في سوريا) من خلال قمع الجماعات الأخرى، والصلة بين تشكيلة الجيش وأجهزة الأمن وبين المؤسسة السياسية عن طريق تعيين الأوفياء

حركة "ناطوري كارتا": "نجد محب للسلام وودود" ■ ידיעות أحرونوت ٢٥/٩/٢٠٠٧ بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

وهذه الأيديولوجية تدفع بدولة إسرائيل لانتهاج سلوك عدائي تجاه شعوب أخرى. هذه الدولة تسمع شعوب أخرى دائماً باسم اليهودية، كما تسببت في انتشار معاداة السامية في أنحاء العالم. والرئيس أحمدى نجاد يفرق جيداً بين الديانة اليهودية والحركة الصهيونية".



استطرد فايس في

البيان قائلاً: "إن أحمدى نجاد أثبت نواياه الطيبة عن طريق معاملته الإيجابية ليهود إيران". وكتب يقول: "من المؤسف أن القليلين فقط هم الذين حاولوا الحوار مع الرئيس الإيراني، أو مع يهود إيران الذين يعيشون في هدوء وحسب معتقداتهم في دولته. لقد أثبت هذا الرجل المرة تلو الأخرى أنه يحرص حقاً، وعن صدق، على سلامة يهود إيران، وأنه يكن شديد الاحترام للعالم اليهودي وتوراته. والمحاولة الصهيونية لعزله وعزل شعبه هي محاولة غير أخلاقية".

وعلى حد قوله، فإن المجتمع الدولي يجب أن يحتذى بالزعيم الإيراني، وخاصة القيادة في القدس.. "نحن نعتقد أن تعامله مع إيران يجب أن يكون مثلاً يحتذى به كل اليهود والبشرية بأسرها. إن التوراة تنص على الرحمة والعدل لكل البشر، وقد سرنا على هذا النهج في علاقاتنا مع الرئيس الإيراني، واكتشفنا أنه إنسان يضحى بنفسه من أجل هذه الأهداف...".

"إن المأساة الكبرى لمنطقتنا هي القوة الفتاكة التي يمتلكها الصهاينة. وهم يرون أن القوة هي السبيل الوحيد لإنهاء الصراعات، وهو ما دفع بعضهم للتخلي عن نهج التوراة. نحن ندعو الرب ليهديهم إلى نهج التوراة الذي يدعو إلى الاحترام والتسامح".

ورغم الأمل في مستقبل أفضل، فقد فضل فايس إنهاء كلامه بنغمة تشاؤمية فيما يتعلق بمصير المنطقة: "الحرب شيء رهيب وفظيع.. إن السحب القاتمة التي تكسو الصراعات المستقبلية باتت تتجمع فوق الشرق الأوسط، ونتمنى ونصلي من أجل الحيلولة دون وقوع ذلك".

حظى الرئيس الإيراني، محمود أحمدى نجاد، باستقبال عاصف تضامن إهانات واحتجاجات من جانب آلاف الطلاب على دعوته لإلقاء كلمة مساء أمس (الاثنين) في جامعات كولومبيا بالولايات المتحدة. كما أعربت المنظمات اليهودية عن احتجاجها على هذه الزيارة. لكن يبدو أن هناك يهوداً يرحبون بحضور الرئيس الإيراني.

وبمناسبة لقاء جديد بين زعماء حركة "ناطوري كارتا" والرئيس الإيراني، أصدر الحاخام يسرائيل دافيد فايس، المتحدث باسم المنظمة اليهودية العالمية، بياناً وصف فيه الزعيم الإيراني بأنه "محب للسلام وودود". وكتب فايس يقول: "دائماً ما سررنا بلقاء الرئيس الإيراني أحمدى نجاد. هذا هو اللقاء الثالث معه، بجانب الزيارات الكثيرة لنا لإيران. دائماً ما أكدنا للقيادة الإيرانية أنه رغم التاريخ الإعلامي والدعائي لبعض اليهود، فإننا نعتقد أن الشعب الإيراني وقادته محبوبون للسلام وودودون".

وعلى حد قول فايس، فإنه لا أساس من الصحة للاتهامات الدولية للرئيس الإيراني بأنه يسعى من أجل اندلاع حرب. ويرجح أن إسرائيل هي السبب في حالة التوتر السائدة في الشرق الأوسط، وكتب يقول: "رغم أننا كيهود لا يفترض أن نتدخل في السياسة، إلا أننا نرى أن الرئيس الإيراني هو إنسان متدين بشدة، ومحب للسلام العالمي القائم على الاحترام المتبادل والحوار.. والديانة اليهودية تسعى للسلام. وللأسف أن بعض اليهود الآن متأثرون بالنظرية الصهيونية التي يعود عمرها لمائة عام بالكاد، ويؤمنون بأن العنف هو الرد اليهودي الملائم على الأعداء. للأسف، أنهم يحاولون جر شعوب أخرى لطريق حربهم...".

"إن الصهيونية تعارض نوااميس التوراة. وحسب المبادئ الصهيونية، يجب علينا بناء وطننا بأنفسنا..

ترجمات عبرية

٥

المجتمع الإسرائيلي

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٧/٨/٢٦

الأمر يتوقف على الحاخامات

التي جرت، من خلال قانون "طال"، الذي استهدف تمكين الشباب من التكسب بدون التجند، بالفشل، حيث أصّر الحاخامات، كما سبق القول، على الإبقاء على المعسكر الدارس والمنغلق بأى ثمن، رغم أنه أصبح أكثر فقراً.. ولكن ليس التسامح إزاء انغلاق المعسكر على ذاته يعد بمثابة اتصال من جانب الدولة من مسؤوليتها تجاه شباب الحريديم.. هل من السليم بشكل عام التعاون مع نمط حياة يفتقر إلى الحرية الشخصية، ويرفض المساواة بين النساء والرجال.. ولكن أيضاً هل من الجائز فرض تعليم عصرى على من لا يرغب فيه..؟

تقترح وزيرة التعليم، "يولي تامير"، الآن، على غرار نموذج ابتدعه "أمون روبنشتاين"، عندما كان وزيراً للتعليم، الاستمرار فى تخصيص ميزانية للمعاهد الدينية الصغيرة بشكل جزئى كما هو متبع اليوم، مع فتح باب الاختيار، أمام الشباب الراغب فى إكمال التعليم العادى (المدنى) فى إطار فصول خاصة حتى سن الثلاثين. بذا، تعترف الدولة بمسؤوليتها عن توفير تعليم عام للتلاميذ الحريديم، حتى ولو كان متأخراً. فربما تستوعب الفصول الدراسية للكبار "حريديم" متزوجين من أولئك الراغبين فى تعلم مهنة. ومن ناحية أخرى، سيكون خيار "الفرصة الثانية" مفتوحاً أيضاً أمام العلمانيين الذين لم يحصلوا على حقهم فى تعليم أساسى لأسباب أخرى.

يتوقف نجاح هذا المشروع بقدر كبير على الحاخامات.. فقددر الاستجابة هو الذى سيحدد قدر النجاح. ربما يتضح أن هذه خطوة علمانية جديدة لم تتجج، لكن هذه المحاولة، مثل محاولة تجنيد "الحريديم" فى الخدمة المدنية بدلاً من العسكرية، هى القليل الممكن فعله.

سلّمت الدولة، طوال كل سنوات وجودها، بحقيقة أن القطاع "الحريدي" غير متعاون مع قانون التعليم الإلزامي، وبأن هذا القطاع اعتاد فى واقع الأمر أن يقيم منظومة منفصلة ومغلقة من التعليم ترفض دمج مواد أساسية مثل العلوم، والمواطنة، واللغتين العبرية والإنجليزية، فى المناهج الدراسية.

يقتنع حاخامات الطائفة الحريدية بأن وصفتهم لتعليم الصغار هى الوصفة الناجعة، فهم لا يريدون تضيق وقت نفيس فى تعليم دنيوى فى سن تتشكل فيه شخصية الصغير.. يقول الحاخام "يسرائيل آيخلر" إن لمثل هذا النوع من التعليم وقتاً فى سن أكبر، وبالنسبة للحريديم، فإن مرحلة الصبا تنتهى فقط عندما يتزوج الصبي.

والواقع أن كل الحكومات الإسرائيلية على مر الأجيال تشترك فى التخوف من التدخل بشكل فظ وقسرى فيما يحدث فى القطاع "الحريدي".. هناك من يقولون إن الأمر يحدث لأسباب سياسية، ولكن يجب الافتراض بأنه كان هناك سبب آخر هو توفير دارسى التوراة، الحافظين للعهد، والخوف من إشعال حرب أهلية. لقد خلق اشتراط الإعفاء من الخدمة العسكرية بتكريس الحياة للدراسة فى المعهد الدينى، المزيد من المعاهد الدينية التى تحولت إلى ملاذ للهرب من الخدمة فى جيش الدفاع الإسرائيلى، وتحولت أعداد الدارسين إلى مشكلة بالنسبة "للحريديم" أنفسهم، الذين أصبحوا أكثر انغلاقاً وفقراً كلما زاد عددهم. ومن جانبهم، فضّل الحاخامات الحفاظ على معسكر "مغلق وفقير ودارس" حتى لا يتنازلوا أمام الدولة.

السؤال الملح الآن هو: ما هى الوسيلة السليمة لدمج "الحريديم" فى المجتمع العامل بدون تهديد نمط الحياة الذى تبنيه لأنفسهم..؟ لقد منيت المحاولة الأولى

يشاي يقترح سحب الجنسية من النازيين الجدد

الإسرائيلي لا يمنع اجتماعات النازيين الجدد. ويقول: "سوف أعمل أيضاً من أجل سد هذه الثغرة.. يبدو أن لدينا الكثير من العمل قبيل العودة من العطلة الصيفية".

♦ أورليف: "ممارسات تثير القشعرية":

أعلن عضو الكنيست زوفولون أورليف (الاتحاد القومي- المفدال) أنه مع انتهاء العطلة سي طرح للتصويت في الكنيست مشروع قانون لسحب الجنسية من النازيين الجدد وطردهم من البلاد، بعد أن يمضوا فترة عقوبة في السجن.

على حد قول أورليف، فإن أفعال عصابة النازيين الجدد العنيفة، والتي تم ضبطهم وهم يمارسونها أمس، تثير القشعرية ويجب التعاطي معها بصرامة. دولة إسرائيل والشعب اليهودي، اللذان عانيا من معاداة السامية أكثر من أي دولة وشعب آخر في العالم، يجب أن يمثلان قدوة للعالم أجمع في مكافحة معاداة السامية".

ويطالب عضو الكنيست أحمد الطيبي السلطات التعامل بصرامة أكثر مع عصابة النازيين الجدد. ويقول الطيبي إن هذه الظاهرة مخيفة ومستفزة. ومع ذلك، أشار إلى أن تلك الجماعة هاجرت إلى إسرائيل وحصلت على الجنسية فوراً، وفقاً لقانون العودة، في حين أن سكان الطيبة والناصرية لا يستطيعون لم الشمل مع أزواجهم لمجرد أنهم مواطنون عرب.

كما تطرق عضو الكنيست جمال زحالقة (التجمع الوطني الديمقراطي) إلى وجهة نظر هذه الجماعة، وقال إنه "لا يجب التمييز بين الأجناس، ويجب التعامل بنفس الدرجة من الصرامة مع النازيين الجدد الذين هاجروا من روسيا، فالعنصرية المعادية للعرب الإسرائيلية المصدر". وأضاف زحالقة أن "جماعة النازيين الجدد العنصرية تتكيف جيداً مع جو العنصرية المتفشى في المجتمع الإسرائيلي".



طالب نائب رئيس الوزراء إيلي يشاي وزير الداخلية شطريت بسحب الجنسية أو تأشيرة الإقامة في إسرائيل فوراً من أعضاء عصابة النازيين الجدد وطردهم. وقال الوزير يشاي إن العصابة هي سرطان ينخر في عظام المجتمع الإسرائيلي، ولا يعقل أن تترك قبلة موقوتة كهذه داخل الدولة.

وقد أدى ضبط الشرطة لمجموعة الشباب النازيين الجدد إلى استياء عضو الكنيست إيفي إيتام (الاتحاد القومي- المفدال) الذي قرر العمل على تعديل قانون العودة وسد الثغرة الموجودة فيه، والتي بموجبها لا يوجد حظر على تنظيم جماعات النازيين الجدد، بسبب حقيقة أنه في إسرائيل لم يتوقعوا ظاهرة من هذا القبيل بين اليهود.

ويزعم إيفي إيتام أن هذه تحديداً مشكلة قانون العودة المعمول به حالياً. وعلى حد قوله: "إن القانون يسمح لآلاف الأشخاص الذين ليست لديهم هوية يهودية، أو ربما في الماضي السحيق كان أحد أفراد أسرته يهودياً، بالهجرة إلى إسرائيل. إن الظاهرة السائدة في إسرائيل، والمتملة في الاعتراف بالمواطن آلياً، دون فحص صلته بالدولة، مسألة خطيرة وتتطلب حلاً عاجلاً".

ويضيف إيتام: "يؤسفني أن قانون العودة يتيح هجرة عناصر تشكل خطراً على الطابع اليهودي لدولة إسرائيل. إنهم يعيشون هنا حياة الأغيار، ويقومون اجتماعات وتنظيمات مختلفة وسيئون استغلال الحق الذي أعطتهم دولة إسرائيل إياه".

ويقترح إيتام: "لابد من إجراء فحوصات لخلفية المهاجرين الجدد. هكذا يفعلون في كل الدول الغربية القوية. يجب علينا التفكير جيداً لمعرفة كيف يمكن الحفاظ على الهوية اليهودية والصهيونية في دولة إسرائيل".

علاوة على ذلك، لا يدرك إيتام كيف أن القانون

لنغير قانون العودة

معاريف ٢٠٠٧/٩/١٠
بقلم: بامبي شيلج

الكشف عن وجود منظمة للنازيين الجدد في إسرائيل، والتي نقلت الأنباء عنها مساء يوم السبت، ليس إلا قمة الجبل الجليدي في مسألة ثقافية وسياسية لا تترك أي مجال للراحة. إن مسألة من يستحق الهجرة لإسرائيل، وهل بند الحفيد في القانون - الذي يمنح أحفاد اليهود، حتى وإن كانوا ليسوا يهوداً، إمكانية تلقي سلة الاستيعاب وباقي الامتيازات التي تمنحها الدولة للمهاجرين - تجاوزت منذ زمن بعيد حدود المعقولية...٩.

عملياً، دولة إسرائيل، التي تتطلع إلى استقبال المهاجرين، تنتهج سياسة تشجع هجرة كل من تسيل في عروقه قطرة صغيرة من دم يهودي، وفي معظم الحالات، يدور الحديث عن أشخاص معينين بربط مصيرهم بمصير الدولة اليهودية، ولديهم الاستعداد العميق للانخراط في المجتمع الإسرائيلي. في عدد صغير، ولكن هام، من الحالات، يدور الحديث عن استغلال يتم من قبل من يتطلعون إلى تحسين مستواهم المعيشي في دولة تعتبر غريبة من حيث مستوى معيشة سكانها، في ظل الاستخفاف التام بقيم وثقافة المجتمع الذي يستوعبهم. وهكذا، جاء إلى إسرائيل في الخمسة عشر عاماً الأخيرة نحو مليون مهاجر من الاتحاد السوفيتي، منهم نحو ٢٥ ألف عائلة مسيحية.

إن هجرة العائلات غير اليهودية - التي في بعض الحالات تواصل انتهاج نمط حياة مسيحي علانية - أو

تلك التي تربت في حضن المشاعر اللاسامية، يعد عملاً حقيراً وسخيفاً ليس فقط من جانبها، بل أيضاً من جانب الدولة.

هذه هي ذات الدولة التي تتشدد بشكل لا يُعقل في السماح لمن يرغب في التهود والانضمام للشعب اليهودي من كل قلوبهم ونفوسهم.. وفي نفس الوقت، تدخل من الباب الرئيسي - في ظل منح امتيازات كبرى - أناساً لا يريدون صالحها ومصلحتها.

المشكلة هي أن وقف هذه السياسة السخيفة، التي لا تزال مُتبعة، يعد عملاً سياسياً بعيد الأثر. فإذا تم إيقاف هذه السياسة، فأى سياسة سترتها...؟ أو بتعبير آخر، تغيير قانون العودة سيثير عاصفة سياسية واجتماعية لا أحد يحتاجها الآن، لاسيما الحكومة الحالية.

ومع ذلك، يُخيل لي أنه لم يعد هناك خيار آخر، ونحن ملزمون بأن نشرع في الحديث عن تغيير قانون العودة، الذي يتعلق بالمسألة الأكثر هشاشة في الهوية اليهودية الإسرائيلية - مسألة من هو اليهودي...؟. لذا، نقول إن تأسيس مركز إسرائيلي جديد، يُجري حواراً في هذه المسألة الحرجة ومسائل كثيرة غيرها، هو واجب حتمي من أجل وجودنا.

إن وجود منظمة نازية جديدة في إسرائيل، تتشكل من أشخاص نحن جليبتهم إلى البلاد بأيدينا في إطار قانون حق العودة الحالي، هو شهادة على الوهن واليأس للمنظومة الدستورية الحالية، وتعبير حقيقي عن انعدام الرغبة في التصدي لمسائل صعبة، تتطلب أخذ المسؤولية الجماهيرية الواسعة، والزعامة والشجاعة.

الشمس تشرق علينا جميعاً

بأن تغيير التوقيت يستهدف التخفيف على المتدينين من أجل النهوض مبكراً لصلوات الاستغفار، حيث إن التوقيت الشتوي قد دخل أصلاً حيز التنفيذ وفترة صلوات الاستغفار توشك أن تنتهي. بقيت فقط الذريعة بأن صوم يوم الغفران يكون أخف إذا انتهى في السادسة مساءً وليس في السابعة، وهي ذريعة تنتمي إلى مجال علم النفس ولا تمت بصلة إلى المجال الديني. لذا، فإن الصراع حول التوقيت هو صراع قوة، ويسعد المتدينون كل مرة بإعادة اكتشاف أنهم ما يزالون أقوى.

أراد العلمانيون دائماً تثبيت التوقيت في القانون طبقاً لما هو معمول به في العالم، أما الأحزاب الدينية فقد أرادت الحفاظ على الجدول مفتوحاً. في عام ٢٠٠٥ تم سن القانون بمبادرة من وزير الداخلية "أوفير بينيس"، وبذا مُنح طابع رسمي قانوني للحل الوسط المشوّ، الذي لا يفيد لا المتدينين ولا العلمانيين. وتقرر بعد مواءمات، أن يتم تغيير التوقيت عشية يوم الغفران. لقد تقرر الخنوع لنزوة سياسية غريبة، ثمنها الاقتصادي مكلف وتضرر بسلامة الحياة، في موضوع غير جوهري وغير ديني بشكل جلي، ليس فيه أي مغزى على الإطلاق لتنازل المتدينين، لأنهم يستطيعون في جميع الأيام التي ليست يوم غفران أن يستمتعوا مثل الجميع بيوم أطول.

ينبغي أن يقول أحد ما، من المعسكر "الحريدي" على وجه التحديد، الحقيقة من أجل وقف هذه المهزلة. الصراع ليس له أية علاقة بالدين. وهو ليس في صالح المتدينين، لا من الناحية العملية، ولا من ناحية صورتهم. وهو أيضاً لا يخفف في الحقيقة على الصائمين في يوم الغفران، لأنه في نهاية الحساب تظل الـ ٢٥ ساعة، التي هي عدد ساعات الصوم، ٢٥ ساعة - أي كانت طريقة حسابها.

ليس العلمانيون فقط هم من يشعرون بأن شيئاً ما غير طبيعي قد حدث هذا الأسبوع، عندما تم تقصير النهار فجأة "ساعة" في منتصف الصيف، عقب إتباع التوقيت الشتوي في السادس عشر من سبتمبر. ونظراً لأن ذات الشمس تشرق علينا جميعاً، علمانيين ودينين على حد سواء، فإن ثمة شكاً في أن هناك من لم يشعر بهذا السخف.. ففي شهر يوليو، قال الحاخام "نفتالي روتبرج" من بلدة "هار آدار"، إن هذه حماقة نابغة من رأي خاطئ، وإن على المتدينين في الكنيسة أن يعملوا على تغيير القانون، بحيث يبدأ التوقيت الشتوي في نهاية شهر أكتوبر. والزعم بأن التوقيت الشتوي المبكر هو انتصار للمتدينين، زعم مثير للاستغراب، فالمتدينون أيضاً، وربما هم على وجه الخصوص، يريدون أن يطول يوم الجمعة بقدر المستطاع حتى يتمكنوا من إنجاز الكثير من الأمور قبل حلول السبت. يريد المتدينون أيضاً التمكن من الذهاب إلى البحر عند الأصيل مع أولادهم في ساعات الضوء المتبقية بعد انتهاء يوم العمل. من ناحية أخرى، ثمة شك في أن المتدينين يريدون زيادة الاستهلاك المنزلي من الكهرباء عندما يحل الظلام مبكراً جداً، ويجب الافتراض بأنهم لا يريدون أن تختصر راحة السبت ساعة.

لقد تحول موعد انتهاء التوقيت الصيفي إلى موضوع للجدل بين المتدينين والعلمانيين - رغم أنه لا يتصل على الإطلاق بقضايا دينية جوهريّة مثل التهويد، والزواج والطلاق، والطعام الحلال، والحفاظ على قدسية يوم السبت. الجدول هو نموذج للخدمة السياسية العامة الوضيعة بوجه خاص، التي يحاول سياسة من المعسكر الديني تقديم إنجازات لناخبيهم من خلالها، والنتيجة هي انتصار خائب. فلا أساس للزعم القائل

ترجمات عبرية

٦

حوارات

حوار مع وزير المالية "روني بار أون" ■ أجرى الحوار: سيفر بلوتسكرو يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/١٢

ليقله ضده، ولكنه لم يوجه أى إهانة إليه أيضاً، حيث يتوخى الحذر من أن يدعو باسمه، وكان يقول فقط "المحاسب العام".

♦ ما هي القشة التي قسمت ظهر البعير مع زليخا؟..

- "لا توجد قشة، ولا يوجد بعير. الرجل أنهى فترة ولايته. انتهى عقد عمله، وقررت عدم التجديد له. إنتى من أنصار نظام تناوب المناصب. ويبدو لى أن المحاسب العام أيضاً من مؤيدى ذلك".

♦ زليخا يعتقد أنك تتقم منه، لأنه أثار الشبهات لدى مراقب الدولة ضد صديقك، إيهود أولمرت، فى قضية بيع بنك ليثومي.

- "لم أتحدث قط، ولو بكلمة واحدة، مع أولمرت بخصوص المحاسب العام، ولولا أن عقده انتهى لما كنت لأطالبه بالاستقالة".

♦ لماذا، هل يروق لك عمله؟..

- "عندما كنت وزيراً للداخلية، جمعنى لقاء عمل واحد مع المحاسب العام، ورغم وجود خلافات فى الآراء بيننا، إلا أن الخلافات كانت موضوعية تماماً. وزراء المالية السابقين لى حاولوا إقالتة، وتشاوروا مع مستشارين قانونيين، وبعد أن تلقوا إجابات سلبية انصرفوا عن هذا الموضوع. عندما علمت ذلك، لم يخطر ببالى محاولة إقصاءه عن منصبه قبل انتهاء فترة ولايته".

♦ إذا عمل مراقب الدولة على توفير الحماية لزليخا حيال الإقالة، مثلاً يريد، هل ستلجأ وزارة المالية إلى المحكمة وتطالب بإجباره على إنهاء فترة ولايته؟..

- "لن يتم تجديد عقد المحاسب العام الحالى تحت



بعد مرور شهرين على توليه وزارة المالية، تتباً بنيامين نتياهو بنبؤات ثورية. وبعد شهرين من تولي أفراهم هيرشيزون الوزارة ذاتها تتباً بنبؤات مطاردة وهمية. أما روني بار أون، فكان الأمر مختلف معه تماماً. فهو لم يأت لإنقاذ اقتصاد الدولة، سواء لأنه ليس من أصحاب النزعة الخلاصية أو لأنه لا يوجد ما يمكن إنقاذه الآن، نظراً لأن شمس الاقتصاد تشرق فى إسرائيل منذ سبع سنوات والوضع ممتاز.

لقد نجح حتى الآن فى تمرير ميزانية الحكومة للعام ٢٠٠٨، بما فيها من استقطاعات، دون أن يقدم سيناريوهات تهديد وتخويف من كارثة محتملة. ولكن محك الاختبار الحقيقى له لن يأتى إلا فى يوم عاصف، عندما يكون الاقتصاد أمام منعطف دراماتيكي وتحولات سريعة. ربما يحدث هذا قبل ما كان يتوقعه بار أون، حيث جاءه النبأ السار بشأن تطورات ملف قضيته.

بعد شهرين من تولي الوزارة، الوضع ليس سيئاً بالنسبة له فى هذا المنصب، ولكن من الواضح أن نفسه لازالت تتوق إلى وزارة الداخلية. عندما يتحدث عن شئون وزارة المالية، خلال الحوار الحصرى الأول الذى أجراه معه ملحق العيد بصحيفة "يديعوت أحرونوت"، توخى الوزير الحذر الشديد فى اختيار كلماته التى جاءت موزونة ومحسوبة.

♦♦ التوقعات الكبرى لزليخا:

فور توليه وزارة المالية، حرص بار أون على إبلاغ الدوائر المحيطة به بقراره بشأن إنهاء فترة ولاية المحاسب العام، الدكتور يارون زليخا. إنه لديه الكثير

أى ظرف. سوف ينتهى عقده فى الموعد المحدد، أى فى التاسع عشر من أكتوبر القادم، حتى لو بتت المحكمة فى الأمر. يجب تعيين محاسب عام جديد. إسرائيل لن تظل دون محاسب عام. وليس لدى استعداد لقول أكثر من ذلك".

♦ كيف دار الحديث بينك وبين زليخا عندما أبلغته بعدم تجديد عقده..؟

- "دار الحديث بيننا بلهجة حادة، مع مراعاة الاحترام والتقدير المتبادل. وإننى أشدد على كلمة المتبادل. كان الحديث موضوعياً جداً، يسوده جو من الاحترام. بالمناسبة، حتى أفراد أسرتي يقدرّون عمل المحاسب العام".

♦ هل جئت مزوداً بالرأى القانوني..؟

- "قرارى قائم على كل ما يجب أن يستند عليه قرار لوزير المالية قبل إقدامه على خطوة كهذه".

♦ أنت تبدو كمحامى.

- "إننى أحاول أن أظل مرتكزاً على مجال الحقائق وألا أنساق وراء العاطفة".

♦ حبي الصادق لعوفير عيناى:

يتمتع بار أون بروح الدعابة، بما فى ذلك القدرة على السخرية من نفسه، وهى صفة نادرة لدى وزراء المالية. هناك صفة أخرى لم يتسم بها كل من سبقوه فى المنصب، ألا وهى اعتناقه أيديولوجية اقتصادية منهجية. لقد وصل إلى الكنيسة وإلى الحكومة من مكتب الحمامة الشهير الذى يديره، والذى يحقق له أرباحاً كبيرة. وقبل كذلك، عمل على مدار سنوات كرئيس لنادى بيتار يروشاليم، وكان عضواً فى مجلس إدارة اتحاد كرة القدم. أكثر الموضوعات الشهيرة له خارج قسم الرياضة ونشرت رغماً عنه كانت "قضية بار أون - الخليل". حدث ذلك فى ١٩٩٧، وكانت التهمة أن هناك صفقة أبرمت بين رئيس الوزراء نتنياهو آنذاك وحزب شاس تحت رئاسة أرييه درعى لتعيين بار أون مستشاراً قانونياً للحكومة. وكان المقابل هو تأييد شاس لاتفاق الخليل بين نتنياهو وعرفات.. وفى أعقاب تفجر هذه القضية تنازل بار أون عن منصب المستشار القانونى واقتحم مجال السياسة عام ٢٠٠١.

♦ جهاز خدمات الدولة لازال يجتذب أناس أكفاء.. هل هناك من لديه استعداد لترك القطاع الخاص بالرواتب التى تدفعونها..؟

- "ليس سهلاً الحفاظ على قواعد وزارة المالية التى تتسم بوجود أصحاب المناصب المرموقة. سوف أسعى لتشكيل فريق عمل ممتاز، ذو خبرات متنوعة، يتمتع بنزاهة ورصيد من التأييد الجماهيري. أناس أكفاء وليست شخصيات تختلف حولها الآراء".

♦ من هو مرشحك لرئاسة شعبة الميزانيات، والتى تعد أحد أهم الوظائف ذات النفوذ فى الدولة..؟

- "كنت أود بشدة أن يظل رئيس الشعبة الحالي، كوبي هابر، حتى نهاية فترة ولايته فى بداية العام القادم. فهو يقوم بعمل رائع. إذا أقنعت به بعدم ترك المالية قبل ذلك، سأكون ممنوناً. إننى أؤيد تولى المناصب لفترة ولاية كاملة، وليس أكثر من ذلك".

♦ السياسة الذين يجلسون على مقعد وزير المالية يمرون بعملية تحول مدهشة، فقبل يوم من حلف اليمين يعلنون عن اعتزامهم الحد من النفوذ الكبير الذى تمتلكه وزارة المالية، وبعد يوم من تعيينهم، يتشبثون بشدة بهذه الصلاحيات. فهل أنت أيضاً كذلك..؟

- "عندما كنت وزيراً للداخلية، لم يكن هناك أحد مثلى يقوم بتوزيع الصلاحيات. لقد فعلت ذلك بمحض إرادتى الحرة، حيث منحت مزيد من الصلاحيات لرؤساء السلطات المحلية، مع خضوعهم للرقابة والإشراف المناسبين. ولكن الوضع فى وزارة المالية مختلف. فالمركزية هنا حتمية. ووزير المالية يرى نصب عينيه الصورة الشاملة للاقتصاد، واحتياجات كل دواوين الحكومة، وجدول أولوياته يجب أن يعكس السياسة القومية العامة. لذلك، ورغم رغبتى فى توزيع الصلاحيات، سأضطر لأن أكون حذراً جداً. سنبداً المسيرة بتوسيع الصلاحيات الخاصة بالميزانية لوزارة حكومية أخرى، على سبيل المثال، تختارها شعبة الميزانيات. ولنرى كيف سيجرى العمل هناك، وبعد ذلك ستقوم تدريجياً بتوسيع الدائرة".

♦ لقد توليت وزارة المالية منذ سبعة أسابيع فقط، ونجحت فى الوصول إلى اتفاق طويل الأجل حول رواتب العاملين بالحكومة دون انفجارات ودون اعتصامات ودون تصريحات دعائية. خلافاً لسلفك، يبدو وكأنك لا تعتبر الهستدروت عدواً للدولة.

- "أنا بالفعل لا أعتبر الهستدروت عدواً، ورئيس الهستدروت الحالى أيضاً لا يعتبر وزارة المالية عدواً، خلافاً لسلفه".

♦ رونى بار أون وعوفير عيناى - قصة حب.

- "بدأ التعارف بيننا خلال أزمة الرواتب فى السلطات المحلية، عندما كنت وزيراً للداخلية، ومنذ ذلك الحين نجحنا فى بناء علاقات ثقة. يقول عيناى ما يخطر على باله. ليس هناك نفاق بيننا. هو جريء ويقوم بعمله على أكمل وجه. التفاوض معه حول اتفاقات الأجور فى القطاع العام انتهى بالتوصل إلى حلول وسط معقولة فى كل نقاط الخلاف".

♦ لقد خاب ظن السياسة والمحللين الذين توقعوا إضرابات طويلة وأزمات تغطيتها وسائل الإعلام.

- "إننى أعرف نظرية العراك المتواصل التى اتبعتها

وزراء مالية سابقين، وإننى أقبلها. العراق المصاحب بتغطية إعلامية هو بالنسبة لى بمثابة الخيار الأخير فحسب، وليست مبدأ مقدساً".

♦♦ أهم ملاحظة على نتياهو:

يقطن بار أون، المتزوج من محامية ولدية ثلاثة أبناء، فى مستعمرة موتسا عيليت. هاجرت أمه إلى إسرائيل بصحبة "أطفال طهران"، هؤلاء الأطفال اليتامى الذين تم تهريبهم إبان الحرب العالمية من بولندا إلى الاتحاد السوفيتى سابقاً، ومن تم تهريبهم إلى البلاد عبر إيران. والده أحد الناجين من أحداث النازي. ويبتسم قائلاً: "والدتى لم تفكر لى سوى فى أشياء جيدة. ولكنها لم تقم بإعدادى منذ الطفولة لأصبح وزيراً للمالية".

♦ أى نموذج من وزراء المالية مقرب إلى قلبك؟

نتياهو أم بيجه شوحاط؟

- "النموذج الذى أمثله أنا. لا أريد تقليد وزير مالية سابق، ولن أكون مثل أى أحد آخر. كما أن الوزراء الذين اعتبرهم الجميع ممتازين ارتكبوا أخطاء جسيمة، ووزراء المالية الذين اعتبروا سيئين حققوا نجاحات".

♦ هل يشهد الاقتصاد ازدهاراً بفضل ييبي مثلاً

يزعم؟

- "لقد وجد نتياهو، بعد أشهر معدودة من توليه وزارة المالية، طريقة لمحو كل ما فعله سلفه، سيلفان شالوم، وزعم بأنه - وحده - مخلص الاقتصاد. وهذا ما يعتقد حتى اليوم. وإننى لا أريد التقليل من أهمية العديد من الإجراءات التى اتخذها نتياهو، والتى كانت مهمة ودراماتيكية فى الوقت ذاته، ولكن لا يمكن أيضاً تجاهل تأثير الانتعاش الاقتصادى العالمى على الازدهار الاقتصادى فى إسرائيل".

♦ رفع نتياهو راية الإصلاح وتباهى بها، فأين هى

اليوم؟ هل نكست الراية الآن؟

- "بالقطع لا، ولكنى أرى أن الإصلاح ليس هدفاً فى حد ذاته، وإنما مجرد وسيلة. لا يجب أن نبدأ إصلاحات فرص نجاحها غير مؤكدة".

♦ هل ترى أن هناك حاجة لتعديل إصلاحات

نتياهو؟

- "هناك حاجة لبحثها بشكل منهجى وبحث تداعياتها. على سبيل المثال، ترددت مزاعم خطيرة حول ما يحدث فى موانئ إسرائيل. قمنا ببحث الوضع، واتضح لنا ما يجب تعديله وما يجب إصلاحه".

♦ هل تعتزم أن تضع الإصلاحات العظيمة الأخرى

التي قام بها نتياهو، "إصلاحات بيخر"، على محك الاختبار فى سوق المال أيضاً؟

- "إننى أعتزم تشكيل لجنة عامة موسعة، بالاشتراك مع محافظ بنك إسرائيل، لبحث بنية وأداء سوق المال بعد إصلاحات بيخر. وسوف يتولى رئاسة اللجنة مدير عام

وزارة المالية، ياروم أريآف، كما سيشارك فى عضويتها رؤساء مؤسسات التنظيم، بدء من هيئة الأوراق المالية، وانتهاء بالمشرى العام على البنوك. ولن يقتصر الأمر على هؤلاء فحسب".

♦ هل يمكنك الإفصاح بالأسماء؟

- "حالياً لا.. لكن لا داعى للقلق، حيث إنهم أشخاص متميزين فى مجال تخصصهم".

♦ وهل ستبلور اللجنة إصلاحات بيخر ٢؟

- "كانت بعض التغييرات التى أحدثتها إصلاحات بيخر جيدة، وبعضها لم يكن جيداً، وبعضها الآخر لم يحدد موقفه بعد. واللجنة الجديدة ستبحث تأثير تلك التعديلات حتى الآن، وما إذا كانت هناك حاجة إلى إجراءات تكميلية، وستوصى بها. وسوف يكون خطاب تعيينها واسع، ولن يقتصر فقط على البنوك".

♦ لم يجف خبر التشريع بعد.

- "لقد نشأ فى سوق المال وضعاً يتيح استخلاص دروس حقيقية. هذا هو مبدئى فى الإدارة: رصد الخطأ ثم إصلاحه فوراً. لا تنتظر ولا تتورط. كما أن تشكيل لجنة جديدة أمر مطلوب، حسبما ورد فى تقرير اللجنة الأصلية. إن أية آلية تنظيم فى إسرائيل فى حاجة لتشيط حقيقي. فلم تطرح قط لدينا أسئلة مثل: ما مدى عمق التنظيم المطلوب؟ وما تكلفته مقابل فائدته؟ وهل يستطيع تشجيع التنافسية وتقليل المركزية؟ أم أنه فقط يوسع البيروقراطية ويزيد القيود؟".

♦ حسناً، هل ستشكل لجنة عامة أيضاً لدراسة آلية

التنظيم؟

- "قبل أى شيء سنطرح الأمر للمشورة داخل وزارة المالية. وإذا توصلنا لنتيجة مفادها أن هناك ضرورة لإحالة بحث هذا الموضوع إلى لجنة عامة، لن أتردد فى تشكيلها".

♦ هل سيتم التوقيع على اتفاق الأجور فى بنك

إسرائيل الذى أحبطته وزارة المالية لأكثر من سنة؟

- "هذا موضوع انتهى بالفعل. إننا على وشك الوصول إلى حل أكثر من أى وقت مضى. أنا والمحافظ ستانلى فيشر نتحدث بنفس اللغة. بعد انتهاء الأعياد، سنبدل نحن الثلاثة، رئيس الوزراء والمحافظ وأنا، جهداً مشتركاً لتمرير قانون بنك إسرائيل الجديد على الكنيست فى أسرع وقت ممكن".

♦ لقد أنهت إحدى اللجان بالفعل عملها، لجنة

شوحاط للتعليم العالى، والطلبة يهددون مرة أخرى بالإضراب، ورؤساء الجامعات يبحثون عدم بدء السنة الدراسية.

- "ستبدأ السنة الدراسية فى مؤسسات التعليم العالى فى موعدها، وسوف نتوصل إلى اتفاق مع الطلاب حول المصاريف الدراسية. ما من أحد يهمله مصير

الجامعات يمكن أن يخاطر باتخاذ إجراء قد يؤدي إلى إلغاء توصيات لجنة شوحاط. تلك التوصيات هي طوق النجاة ومحرك الإصلاح بالنسبة للتعليم العالي في إسرائيل. هذه فرصة قومية لا يجب إهدارها".

- "يجب تطبيق توصيات اللجنة بحذافيرها، وأخذها ككتلة واحدة، ولا يجب أن تختار كل جهة ما يروق لها من التوصيات وتجاهل الباقي. حيث أن كل الموضوعات متشابكة: تحويل المزيد من الأموال، وتحسين جودة التدريس، ومنح حوافز للباحثين الشباب الذين يهربون إلى الخارج، وما إلى ذلك. لدينا الوقت وسنتوصل إلى اتفاقات".

◆◆ نعدكم بأنكم ستحبوننا:

انتخب بار أون للمرة الأولى في الكنيست السابقة على قائمة الليكود، ولكنه تركه مع شارون، وخاض الانتخابات في الكنيست الحالية على قائمة كاديما. باستثناء ذلك، وفوق كل هذا، هو أحد الأصدقاء المقربين لرئيس الوزراء "يهود أولمرت". وهذا ما دفع به، على حد قول أولمرت، إلى حقيبة الداخلية عند تشكيل الحكومة، ثم إلى المالية بعد استقالة هيرشيزون.

قال بار أون: "إنني لا أبحث عن الشهرة، ولا يوجد غلاف من النفاق والمداينة. إنني مؤمن بالعمل الهادئ والمنظم".

◆ عشية رأس السنة نشر تقرير الفقر، ولا يحمل التقرير أخبار جديدة مقارنة بالتقرير السابق. بعد أربع سنوات من النمو، لازالت إسرائيل الدولة الأولى في الغرب في نسبة الفقراء.

- "إنني مطمئن بسبب توقف زيادة معدلات الفقر، ولكنني محبط تماماً لأن التراجع ليس كبيراً. أتمنى أن يكون لدينا القليل من الفقراء. لقد وضعت الحكومة لنفسها أهدافاً محددة لتقليل معدلات الفقر وزيادة فرص العمل، وسوف تحققها. هذه هي أجندتنا".

◆ هل هناك مليون جائع في إسرائيل؟

- "لا يوجد مثل هذا العدد من الجوعى في إسرائيل. ومن يزعم ذلك يبت رعب مصطنع. هناك مبالغة في بيانات الفقر: سواء من يستخدمونها لمهاجمة سياسة الحكومات أو من يحاولون الزعم بعدم وجود فقر. كلا الطرفين ينساق إلى طرق تفكير ديماغوجية. هناك تفاوت اجتماعي واقتصادي غير محتمل في إسرائيل. وهناك عدد كبير جداً من الفقراء، ولا يجب علينا كمجتمع متقدم التسليم أمام هذا الوضع".

◆ هل سنراك قريباً تزور مطاعم الفقراء؟

- "سأقوم قريباً بجولة لقاءات مع المواطنين في أنحاء إسرائيل، وسأذهب أيضاً إلى مطاعم الفقراء. ستراني في الشوارع، وليس في حفلات الاستقبال الرسمية فحسب".

◆ سماء الاقتصاد العالمي مليدة بالغيوم، وأسواق المال الدولية عاصفة، وهناك تأثير سلبي لكل ذلك علينا.. فهل لديك رسالة مهداة في هذا الصدد؟

- "البورصة ترتفع وتنخفض، ثم تعود لترتفع مرة أخرى وتنخفض، ولذلك لن أعرب عن رأي في ذلك. وفيما يتعلق بالاقتصاد الإسرائيلي، سوف استند إلى كلام محافظ بنك إسرائيل، البروفيسور فيشر، والتي فحواها أن وضعنا جيد، وليس هناك سبب يجعل مشاكل قطاع العقارات في الولايات المتحدة الأمريكية تؤثر إطلاقاً علينا، ولكن في عصر العولمة كل الأشياء مرتبطة ببعضها البعض. وإذا وجدت مؤشرات مقلقة بشأن استقرار الاقتصاد الإسرائيلي، لا شك أننا لن نتردد عن العمل حسبما يستلزم الأمر".

◆ هل يعبر التعبير المبتذل "المال والسلطة" عن الواقع الإسرائيلي؟

- "عندما توجد علاقات غير سليمة بين أصحاب رؤوس الأموال والسياسة، لزام علينا كشف ذلك. ولكن هذه الحالات قليلة، حيث إننا نعيش هنا في عالم كل من فيه يرى الآخر".

◆ ألا تخشى مقابلة المستثمرين حتى لا يقولون إنك تخدم مصالحهم؟

- "لا أخشى ذلك. بصفتي وزير مالية، يتعين على مقابلة المستثمرين والاهتمام بهم وإقناعهم بالاستثمار. هل أصبح ذلك فجأة علاقة بين المال والسلطة؟ عمل وزير المالية هو استغلال علاقاته الشخصية من أجل مصلحة الدولة.. في إسرائيل يتصيدون فضائح السياسة ويشهرون بهم ويوصمونهم، ويبحثون بكل قوة عن الرأس التي سيقطعونها في ميدان عام. بعض أصدقائي هم سياسة وهبوا أنفسهم لخدمة الجمهور، وضحووا بمستوى معيشتهم وحياتهم الأسرية من أجل ذلك، فماذا جنوا في المقابل؟ فضائح وسباب واتهامات".

◆ هل أصبحت إسرائيل أكثر فساداً الآن مقارنة بالماضي؟

- "إسرائيل ليست دولة فاسدة. ومعايير السلوك العام أفضل الآن من الماضي، ومعالجة التجاوزات أصبحت الآن أكثر شفافية وسرعة. ولكن الشفافية تزيد الوعي، وبالتالي يتناول الرأي العام مسألة الفساد بحماسة شديدة".

◆ رأيك في هذا الصدد غير مقبول لدى معظم الجمهور. أنت أحد أعضاء حكومة لا تحظى بشعبية على أقل تقدير.

- "صحيح أن الحكومة لا تحظى بشعبية الآن، ولكن المواطنين لديهم قدرة ممتازة على الشعور بالتغيير. وفقاً لكل الاستطلاعات، فإن الإسرائيليين سعداء جداً. وإذا استطاعت الحكومة العمل بشكل سليم، فسوف يتغير أيضاً شعور الجمهور تجاهها، وهكذا يمكن سد الفجوة".

أجرى الحوار: يوناتان جور
يديعوت أحرونوت ٢٦/٨/٢٠٠٧

حوار مع "عباس صوان" كابتن فريق "أبناء سخنين" سابقاً

"يمكن تأليف كتاب حول ما تردد في هذا الموضوع خلال الآونة الأخيرة.. صحيح أنني لم ألعب قبل ذلك ضد فريق أبناء سخنين، لذا لا أعرف ماذا سيكون رد الفعل، ولكنني سأعلم ذلك فور انتهاء المباراة".

♦♦ يجب أن تكون قائداً:

ولد صوان (٣١ عاماً) ونشأ وترى في سخنين. أول ظهور له كان مع فريق "هابوعيل سخنين" في



إحدى مباريات دوري الدرجة الأولى خلال موسم ١٩٩٥/١٩٩٤. ومن حينها توالى كثير من الانتصارات على منطقة الجليل السفلي، فقد صعد فريق أبناء سخنين للدوري ثلاث مرات خلال سبع سنين وكان على وشك الفوز بالدوري والتأهل للعب في دوري أبطال أوروبا، كما أصبح صوان نفسه أحد لاعبي منتخب إسرائيل وممثل بارز للوسط العربي في إسرائيل.

لم يعتذر صوان عن أي شيء أو لأي شخص، ولم يخش فعل أمور لا تروق للإسرائيليين. فعلى سبيل المثال، بعدما سجل هدفاً في مرمى فريق أيرلندا، خلال إحدى المباريات المؤهلة لكأس العالم، لم ينس السجود شكراً لله، حسبما يفعل بعد كل هدف يسجله في أي مباراة. وتمت إذاعة هذا الهدف والمشاعر التي صاحبتها بعد ذلك أكثر من مرة.

قبل موسمين، عندما هبط فريق سخنين لدوري الدرجة الثانية، اعتقد صوان أنه لن يلعب مرة أخرى في دوري الدرجة الأولى. ولم يكن تركه لمكانته في سخنين كنجم المدينة والقطاع العربي، والتحول إلى لاعب عادي ضمن صفوف فريق مكابي حيفا عملية سهلة. يقول صوان: "لقد لعبت معظم المباريات الهامة مع فريق مكابي حيفا خلال الموسم الماضي، ولكنني أردت أن ألعب أكثر وأكون اللاعب القيادي في الملعب".

♦♦ لقد اعتقد الجميع أنك ستعود للعب مع فريق سخنين حينما صعد للدوري الممتاز مرة أخرى..؟

- "لقد تفاجأ جمهوري الذي لم يتابع أخباري. ومن أراد أن ألعب لحسابه، كان يتعين عليه التحدث مع إدارة فريق مكابي حيفا، وهذا ما فعله فريق "كريات شمونة" فقط.. فقد أخبرني رئيس النادي ومدربه أنهما يريداني أن ألعب لحساب فريقهما. كما عرضا على توقيع عقد لمدة عامين، وكان هذا العرض هاماً لأي لاعب في سني.

يقف "عباس صوان" أمام إحدى محلات الشوارمة في كريات شمونة، كما لو أنه في منزله. صحيح أنه غير موجود هنا دائماً - حيث انتقل من فريق أبناء سخنين هذا الموسم إلى فريق كريات شمونة الذي صعد إلى الدوري الممتاز - إلا أن المشجعين أصبحوا يشعرون أنه واحد منهم. فحينما كان يطلب وجبته، أراد صاحب منزله التحدث

معه عن المباراة التي تنتظره يوم السبت. وقد أجاب عليه صوان قائلاً: "هناك أموراً داخلية لا أستطيع البوح بها، ولكنها بوجه عام، لن تكون أكثر من مباراة أخرى".

لقد لعب عباس صوان مباراة أمام فريق أبناء سخنين. وكل من يتابع الكرة المحلية في إسرائيل خلال الأعوام الماضية، سيقف فيما يبدو عدة دقائق لاستيعاب هذه الجملة. فلا يوجد في إسرائيل كثير من النجوم الكبار مثلما كان صوان لدى فريق "أبناء سخنين". وكذلك خلال الأعوام العصبية التي مرت على الفريق في دوري المظالم، كان صوان يقود فريق مدينة سخنين العربية، التي تقع في شمال إسرائيل، نحو الفوز.. وعندما بدأ الفريق يصعد إلى الدوري الممتاز، أصبح هو الذي يحقق الفوز للفريق.

كان صوان كابتن فريق "أبناء سخنين" عام ٢٠٠٤، وحمل كأس بطولة الدوري أمام جمهوره. لم يكن - وكذلك لن يكون - هناك معبود مثله في مدينة سخنين.

عندما هبط الفريق إلى دوري الدرجة الثانية في نهاية موسم ٢٠٠٦، انتقل صوان لفريق "مكابي حيفا". وقد اعتقد الجمهور أنه سينتقل موسماً واحداً فقط، وعندما يصعد الفريق مرة أخرى سيعود للعب ضمن صفوفه. ولكن بعدما ضمن فريق سخنين الصعود للعب في الدوري الممتاز، فعل صوان ما لم يكن منتظراً منه، حيث وقع للعب مع فريق كريات شمونة. وقد لعب بالأمس - لأول مرة في حياته - ضد فريقه الذي لعب معه طوال شبابه.

قبل إقامة المباراة، بذل صوان كل ما في وسعه، يوم الخميس الماضي، حتى يُظهر أنها ليست إلا مباراة عادية، حيث قال بدبلوماسية لاعب كرة "إنها مجرد مباراة يلعبها فريقان للفوز بثلاث نقاط". ولكننا يمكن أن نلاحظ أموراً أخرى بين السطور. يقول صوان:

وقد تمت الإجراءات بسرعة وانتهت في يوم واحد. والأمر الذي كان يهمني هو أنني حينما أترك فريق مكابي حيفا أو اصل اللعب في فريق بشمال إسرائيل، فقد كانت الخيارات المتاحة أمامي هي فريق أبناء سخنين وكريات شمونه. وقد أجرى فريق كريات شمونه مفاوضات مع فريق مكابي حيفا، في حين لم يُجرِ فريق أبناء سخنين أى اتصالات.

♦ هل فريق أبناء سخنين لم يكن يريدك؟

- "أراد فريق أبناء سخنين أن ألعب لحسابه، وتحديث معي المدرب إليشع ليفي، ولكن هناك أمور صعبة للغاية تفوقني أنا والفريق، منعتني من عدم الرجوع إليه".

يلتزم صوان بالتعهدات التي قطعها على نفسه، ويحرص على عدم البوح بأسماء، ولكن يبدو أنه يتحدث عن مازن غنايم، رئيس النادي. فقد كان يبدو الاثنان وجهان لعملة واحدة تسمى سخنين، غير أن العلاقة توترت بينهما في فترة معينة.

تجدر الإشارة إلى أن غنايم لديه أقوال أخرى تجاه ما حدث في الصيف الماضي، حيث يقول: "لقد جلست مع صوان وحاولت إقناعه بالعودة واللعب مع الفريق. وقد أخبرني عن المبلغ الذي يتقاضاه مع فريق مكابي حيفا، فقلت له إننا لا نستطيع الموافقة على هذه الشروط. وانتهى الأمر بسبب المال. وإنني لست غاضباً من عباس، بل أشجعه في كل المباريات ما عدا مباراة يوم السبت".

♦ كيف كانت العلاقة بينكما؟

- "أنا وعباس أصدقاء، نمارس كرة القدم، ولسنا في حرب. ومن الواضح أن اختياره للعب في فريق كريات شمونه هو أحد حقوقه الشرعية، فهو إنسان بالغ".

لقد شعر أهالي كريات شمونه بالسعادة لانضمام عباس صوان. فعندما يتجول في الحي الذي يقيم فيه حالياً بشكل مؤقت، يحيطونه الأطفال ويقولون له "هل ستأتى وتلعب غداً عندنا؟..؟" فيجيبهم "لا، فهناك مباراة ستقام بعد الغد، وسوف ألعب عندكم الأسبوع القادم، هل هذا جيد؟..؟". بعد موسم من اللعب مع نجوم مثل يانيف قاطان، جوستوبو بوكولي وروبرتو كولاتي، أصبح صوان قادراً على أن يكون لاعباً قيادياً، مثلاً كان في فريق سخنين. يعترف صوان قائلاً: "لقد تفاجأت من استقبال الأهالي لي في كريات شمونه. فعندما كنت أدرس، مررت بتجربة في كريات شمونه، حيث لم يكن يعرفني هناك أى شخص، وكان الأطفال في غاية الحماسة معي وشرعوا في مضايقتي لأنني عربي". هذا هو السبب الذي كان يخيفني قليلاً قبل مجيئي إلى هنا، ولكنهم على العكس استقبلوني بشكل رائع".

بوجه عام، الأندية التي تصعد إلى دوري الدرجة الأولى تأمل في أن تكمل الموسم، ولكنهم في كريات شمونه يريدون أكثر من ذلك. ونظراً لأن هذا هو أول موسم في التاريخ للنادي في الدوري، فإن أصحاب الفريق رصدوا له ميزانية كبيرة، وهي الميزانية الخامسة من حيث الحجم بعد أكبر أربعة أندية كرة قدم في إسرائيل. وقد شكل المدرب ران بن شمعون فريقاً أجنبياً ممتازاً، من لاعبي الدوري البارزين، كان في مقدمتهم عباس صوان وشافيط أليملخ.. يقول صوان: "إن اللاعب الذي انضم لفريق كريات شمونه سيأخذ ضعف ما كان يأخذه لاعب يلعب في نادي في وسط إسرائيل. كما أن الحرب وكذلك المسافة البعيدة يلعبان دوراً هاماً في اعتبارات اللاعبين الذي يأتون إلى هنا".

♦ ماذا ستشجع أسرة صوان يوم السبت؟

- "هذا يتوقف على رغبة كل شخص. ولذا، لن أسألهم. ولكن بوجه عام، الأسرة تميل إلى تشجيع ابنها، وإن كان هناك من يحبون سخنين أكثر. ومن ينظر إلى كرة القدم على أنها مهنته، يجب عليه إدراك ذلك".

♦ ألا تشعر بأى عاطفة تجاه فريق سخنين؟ ألم تشعر بالسعادة عندما فازوا على فريق مكابي حيفا خلال الأسبوع الماضي؟

- ضحك عباس صوان قائلاً: "لقد كان هذا لقاء دربي. والأمر لن يتغير في حالة تشجيع أى فريق، ولكن يجب أن يكون فريقك الثاني هو فريق أبناء سخنين. وقد شعرت بالسعادة، رغم أنني أحب الفريقين".

لكن عباس صوان يعلم أنه ليس كل من في سخنين يشاركونه سعادته. وعندما ترك فريق سخنين وانتقل للعب مع فريق مكابي حيفا، لم يغضب منه أى أحد. فقد كان واضحاً للجميع أن دوري الدرجة الثانية لا يليق بلاعب في مكانته. ولكن ثار غضب الجمهور عندما عاد فريق سخنين للعب في الدوري الممتاز، ولم يسرع صوان في العودة إليه.

قال أحد المشجعين قبل بداية المباراة: "عباس غير مناسب تماماً لفريق سخنين، فقد كان رمزاً، ولكنه خائن. وهناك لاعبون مثل يفوريان فضلوا المجيء إلى هنا واللعب بمبلغ أقل، من أجل هذا النادي وهذا الجمهور. ولكن عباس انتقل إلى فريق آخر.. صحيح أن فريق سخنين عرض عليه مبلغاً أقل مما عرضه فريق كريات شمونه، ولكنهم وافقوا على أن يمنحوه دوراً قيادياً في الفريق لمدة عشر سنوات. عندما صعدنا لأول مرة إلى الدوري الممتاز، لم يكن هناك مثل عباس صوان. فلم تكن نحضر المباريات سوى من أجله، وكان له دور هام في الإنجازات التي حققها فريق سخنين. ولن يحقق فريق كريات شمونه ما حققه له فريق أبناء سخنين حتى ولو بعد مائة عام.. ومن ثم، فإن الأمر عند عباس لا يعدو كونه مسألة مادية".

هناك أيضاً من يعتقدون أن ترك عباس صوان للفريق ليس خيانة للوسط العربي. يقول عباس: "لم أفكر في هذا مطلقاً، ولكن قد يكون هناك مشجعون يعتقدون ذلك، فهم دائماً يوجهون سباباً ويرددون هتافات" (يقصد أن هذه طبيعة جمهور الكرة).

♦ لقد كنت نجم فريق سخنين في أعين القطاع العربي، والآن تلعب ضدهم لتهمهم؟..

- "هناك أشياء تتغير بمرور الحياة، وهناك أشياء في القلب لا يمكن البوح بها، ربما أتحدث عنها بعدما أعتزل، ولكن لا أستطيع التحدث عنها في الوقت الحالي، حيث توجد أشياء في كرة القدم لا أحبها، سواء بين اللاعبين أو تصدر من الجمهور.. هذه الأشياء - إضافة إلى مشاعري - أمور أحتفظ بها لنفسى".

♦♦ "هنيئاً له":

لقد امتلأ إستاد سخنين بالجمهور، كالمعتاد، وهم يعلمون أن هذه ليست مجرد مباراة، فقد عاد صوان إلى المدينة.

يبدو واضحاً أن معظم المشجعين لا يشعرون بالغضب تجاه صوان. فقد قال أحد المشجعين: "إننا نحبه وسنحضر له أكاليل الزهور. وليأخذ المال من فريق كريات شمونه، ولكنهم سوف يهبطون من الدوري الممتاز، وحينها سيعود عباس إلينا. فقد تربى هنا، ولعب في أزقة سخنين، بين تلك الأشجار. هذا هو بيته.. ولكن إن كان يريد جمع المال، فهنيئاً له".

يقول مشجع آخر: "لا يجب على الجمهور التفوه بأى كلمة سيئة ضد صوان. فقد صعدنا معه إلى الدوري الممتاز، وفزنا بالكأس. إذن ماذا في أن يترك الفريق؟.. هذا هو مصدر رزقه. لقد خدم فريق سخنين طوال خمسة عشر عاماً. ويجب عليه التفكير في جمع المال وهو في سن الثلاثين. وأتمنى عدم توجيه سباب له أثناء

المباراة، فهو أولاً، وقبل كل شيء، أحد لاعبي فريق سخنين. وإذا أراد العودة سنرحب به".

وهناك من لا يخشى مهاجمة هذا الرمز، حيث يقول المشجع عزام حسن: "عباس صوان هو أكبر خائن، فقد ترك الفريق ليس من أجل أمور خاصة، ولكن بحثاً عن المال".

♦ وماذا إذا أراد العودة؟..

- "سنفكر في هذا الأمر حينها".

قبل بداية المباراة، نزل "مازن غنايم" إلى أرض الملعب ليتحدث إلى الجمهور. وقد هنا فريق كريات شمونه، وطلب من الجمهور أيضاً تشجيع عباس صوان، فامتثل الجمهور وبدأ يردد: "عباس صوان له مكان في القلب".

وعندما بدأت المباراة، بدا صوان كعادته، يلعب بقوة، ولا يخشى ارتكاب أى مخالفات، حتى وهو يلعب أمام أصدقائه القدامى. أما مشجعو فريق كريات شمونه فقد بدأوا يشجعون صوان، ويبدو أنه كان استفزازاً لمشجعي فريق سخنين. ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً عند صوان. وبعدما انتهت المباراة بالتعادل بدون أهداف، أدرك صوان على الأقل أن فريق سخنين مازال فريقه الأساسي".

يقول صوان: "إن كل ما أردته في حياتي هو تحقيق النجاح مع سخنين، ولكن هناك أشياء تحدث في الحياة تغير من تفكير الإنسان. وقد وصلت إلى قرار يلزمني بترك الفريق، وشعرت بالسعادة حينما فعلت ذلك. وربما أعود إلى فريق سخنين كمدرّب بعد عامين أو ثلاثة، فالمستقبل غير واضح. ولكن ما يهمنى الآن هو وجودي مع فريق كريات شمونه، الذي أصبح فريقاً خطيراً ومخيفاً.. كما أنني اعتدت طوال حياتي ألا أنظر إلى الوراء".

ترجمات عبرية

٧

استطلاعات

أجراه: إفرايم ياعر وتمار هيرمان
هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٠

مقياس السلام لشهر أغسطس ٢٠٠٧ (*)

سديروت والمنطقة المحيطة بها، نجد أن الاعتقاد السائد بين مختلف المعسكرات هو أن الجمهور يبرر تنفيذ عملية عسكرية واسعة النطاق لإسرائيل في قطاع غزة من أجل وقف إطلاق الصواريخ. فضلاً عن ذلك، توجد حالياً أغلبية تعارض إجراء إسرائيل لاتصالات مع أبو مازن، بهدف التوصل مع الحركة لاتفاق لوقف إطلاق الصواريخ.

وفيما يلي أهم نتائج مقياس السلام لشهر أغسطس الذي أجرى في الفترة من ٣ - ٥ سبتمبر:
♦ **رغبة عارمة في صدور التقرير:**

رغم الأنباء الكثيرة التي رددتها وسائل الإعلام عن حالة التوتر بين سوريا وإسرائيل، ورغم التصريحات في هذا الصدد من جانب مختلف صناع القرار، من القيادة المدنية والقيادة العسكرية، يبدو أن الجمهور الإسرائيلي - اليهودي غير مقتنع بأن إسرائيل وسوريا كانتا على وشك الدخول في مواجهة عسكرية. ويعتقد ٢٩٪ فقط أنه كانت هناك فرصة لاندلاع حرب، مقابل ٥٧٪ لا يعتقدون ذلك (١٤٪ لا يعرفون). وفيما يتعلق بالمستقبل القريب، يعتقد ٢٩٪ فقط أن هناك فرصة معقولة لاندلاع حرب بينهما، بينما يعتقد ٤٢,٥٪ أنهما ستجريان مفاوضات سياسية، ويعتقد ١٦٪ أن الوضع سيظل كما هو عليه (١٣٪ لا يعرفون).

من بين ناخبي كل الأحزاب في انتخابات الكنيست الأخيرة، هناك أغلبية بين ناخبي حزبي الليكود وشاس يعتقدون أن الحرب ستندلع بينهما، في حين ترى الأغلبية داخل باقي الأحزاب عكس ذلك.

وقد ظهرت شكوك الجمهور إزاء قراءة الوضع، التي أجراها صناع القرار، في التقديرات بشأن استئناف الاتصالات مع الجانب الفلسطيني. فعلى سبيل المثال،

يبدو أن هناك تغيراً في الميل التقليدي من جانب الجمهور الإسرائيلي اليهودي لتبنى - دون توجيه أي انتقادات - قراءة الوضع التي أعدها صناع القرار فيما يتعلق بالعلاقات مع الدول العربية. ورغم أن معظم الجمهور الإسرائيلي - اليهودي لا يتوقع التوصل لسلام في المستقبل القريب مع سوريا، إلا أن هناك أغلبية تعتقد، رغم الأنباء المتكررة في وسائل الإعلام والتصريحات من قبل الساسة بشأن التوتر بين إسرائيل وسوريا، أن البلدين غير قريبين في الآونة الأخيرة من اندلاع حرب بينهما. وهناك أغلبية أكبر تؤمن بفرص بدء الدولتين، في المستقبل المنظور، في مفاوضات سلام أو بقاء العلاقات بينهما كما هي، ولا تؤمن بفرص اندلاع حرب بينهما.

كما ظهرت هذه الشكوك أيضاً فيما يتعلق بالعلاقات مع الفلسطينيين، حيث تعتقد الأغلبية أن أولمرت استأنف المفاوضات السياسية مع أبو مازن من أجل دعم مكانته قبل صدور التقرير الكامل للجنة فينوجراد (المعنية بالتحقيق في مجريات حرب لبنان الثانية)، وليس بسبب توافر ظروف تزيد من فرص التوصل لاتفاق سلام. فضلاً عن ذلك، تعتقد الأغلبية أن الحكومتين - الإسرائيلية والفلسطينية - لا يتمتعان بالقوة الكافية للتوقيع على اتفاق سلام ينطوي على تنازلات كبيرة متبادلة. في حين تعتقد أقلية، لا تذكر، أن هذه الاتصالات فرصة جيدة للتوصل لاتفاق سلام.

وفيما يتعلق بضعف حكومة أولمرت، هناك إجماع كبير بأنها حكومة سيئة إلى حد ما أو سيئة للغاية، الأمر الذي يوضح رغبة معظم الجمهور اليهودي في صدور تقرير فينوجراد الكامل قريباً.

وفيما يتعلق باستمرار سقوط صواريخ القسام على

هناك ٤٩,٥% يعتقدون أن أولمرت استأنف الاتصالات مع أبو مازن من أجل دعم مكانته التي تضررت بسبب صدور التقرير المرحلي للجنة فينوجراد، وقبل صدور التقرير الكامل للجنة، بينما يعتقد ٢٧% أن أولمرت استأنف الاتصالات مع أبو مازن لأن الظروف التي نشأت مؤخراً تتيح بصورة أكبر من الماضي إدارة مفاوضات مع الفلسطينيين (٦١% يوافقون مع الرأي بنفس القدر والباقيون لا رأي واضح لهم في هذا الشأن).. وكما هو متوقع، فإن حزب كاديما هو الوحيد الذي يعتقد معظم ناخبيه أن استئناف الاتصالات جاء نتيجة لتغير الظروف، حيث أرجع ٥٠% استئناف الاتصالات لذلك، مقابل ٣٥% أرجعوه لرغبة أولمرت في تدعيم مكانته.

والاعتقاد السائد هو أن حكومة أبو مازن (٨٤%) وكذلك حكومة أولمرت (٧٣%) لا تتمتعان بالقوة الكافية للتوقيع على اتفاق سلام باسم الشعبين (الإسرائيلي والفلسطيني)، على افتراض أن مثل هذا الاتفاق سيتضمن تنازلات كبيرة. ولهذا السبب، لا عجب في أن ٦٠% من الجمهور يعتقدون أن الفرص ضئيلة لأن تؤدي الاتصالات الدائرة مؤخراً إلى التوصل لاتفاق سلام (٣٠% يعتقدون أن الفرص متوسطة و٤,٥% يعتقدون أن الفرص كبيرة). تجدر الإشارة إلى أن ناخبي كل الأحزاب يجمعون في الرأي على أن الفرص ضئيلة.

وفيما يتعلق بضعف حكومة إسرائيل - الذي يقل عن ضعف حكومة أبو مازن - هناك إجماع كبير بين الجمهور (٧٨,٥%) بأنها حكومة سيئة إلى حد ما أو سيئة للغاية. وتجدر الإشارة إلى أن ٦٠% من ناخبي حزب كاديما يعتقدون أن ذلك هو حال الحكومة بقيادة أولمرت. على هذه الخلفية ربما يمكن تفسير حقيقة أن معظم المشاركين بالاستطلاع (٥٢%) يعتقدون أن من الأفضل للدولة أن تصدر لجنة فينوجراد تقريرها الكامل في المستقبل القريب، بينما يعتقد ٣٠% أن صدوره في غير صالح إسرائيل.

◆ فرص ضئيلة:

فضلاً عن ضعف الأطراف المتحاور، يرى ٥٥% أن العنصر الرئيسي لعدم التقدم المتوقع في المباحثات هو التعارض التام بين المصالح القومية للطرفين، في حين أن ١١% يرجعون ذلك لإصرار الطرفين على عدم تقديم التنازلات المطلوبة.. ورغم ذلك، توجد أقلية ضئيلة تعتقد أن فرص المفاوضات كبيرة.

لكن بينما تعتقد الأغلبية بين الفريق الأول أن

الاحتمال ضئيل، فإن الأغلبية بين الفريق الآخر تعتقد أن الفرصة متوسطة.. والسبب في ذلك واضح، ومفاده أن رفض تقديم تنازلات قد يتغير في ظروف معينة ويؤدي للتوصل لاتفاق، ولكن إذا كان العائق هو التعارض التام في المصالح، فإن الفرص ضئيلة حقاً لأن تؤدي المفاوضات في نهاية المطاف لاتفاق.

وفيما يتعلق باستمرار سقوط صواريخ القسام على سديروت والمنطقة المحيطة، هناك أغلبية ملحوظة (٦٩%) - كما كان الحال في الماضي - تبرر شن عملية برية واسعة النطاق في غزة. ونحن بصدد أغلبية من مختلف المعسكرات، بما في ذلك ناخبي حزب العمل (٦٤%) وكذلك ناخبي حزب ميريتس (٦٧%).

وعلى عكس ما كان سائداً في الماضي، يبدو أن بداية الاتصالات - مهما تكن أهميتها - مع حكومة أبو مازن، أدت إلى وجود أغلبية (٥٢%) الآن تعارض إجراء مفاوضات مع حماس بشأن وقف إطلاق النار (٤٢% لازالوا يؤيدون إجراء هذه الاتصالات والباقيون لا رأي لهم). وهنا، تظهر بوضوح الاختلافات بين اليسار واليمين، حيث إن أغلبية ناخبي حزب العمل (٦٢%) وناخبي حزب ميريتس (٦٦%) هي التي تؤيد إجراء هذه المفاوضات، بينما تميل كفة المعارضة نحو ناخبي سائر الأحزاب.

◆ مؤشرات السلام لهذا الشهر:

بلغ مؤشر أوسلو في إجمالي العينة: ٣١,٥، وبلغ في العينة اليهودية: ٢٧,٧.

بلغ مؤشر المفاوضات في إجمالي العينة: ٤٦,٩، وبلغ في العينة اليهودية: ٤٣,٦.

بلغ مؤشر سوريا في إجمالي العينة: ٣٢,٥، وبلغ في العينة اليهودية: ٢٧,٤.

يجري مشروع مقياس السلام في مركز تامي شتاينميتس لأبحاث السلام وبرنامج إيفنس Evens في جامعة تل أبيب لبحوث النزاعات وتسويتها، برئاسة البروفيسور إفرايم ياعر والبروفيسور تمار هيرمان. أجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب.ي. كوهين في جامعة تل أبيب في الفترة من ٣ - ٥ سبتمبر ٢٠٠٧، وشملت ٥٨٩ مشاركاً يمثلون السكان الراشدين من اليهود والعرب في إسرائيل (بما في ذلك يهودا والسامرة "الضفة الغربية" وقطاع غزة والمستعمرات التعاونية "الكيبوتس"). وتبلغ نسبة الخطأ في العينة نحو ٤,٥%.

مقياس التهديدات الأمنية على إسرائيل لشهر سبتمبر ٢٠٠٧ (*)

◆ عام:

الشرق الأوسط يعج بالأنشطة الأمنية، وكافة الجهات المشاركة في هذا المقياس نشطة للغاية، حتى وإن كانت هناك إجراءات دولية تعوقهم حسبما يبدو. وبوجه عام، فإن أنشطة الجهات المعادية لنا تتسم بالإيجابية، في الوقت الذي تتسم فيه الأنشطة الإسرائيلية بالسلبية، حيث تسعى تلك الجهات لتغيير الوضع الراهن، بينما تحاول إسرائيل الإبقاء عليه. فهم يحاولون دفع المسيرة، وإسرائيل تعوقها. كما أن المسيرة السياسية التي تقودها الحكومة الإسرائيلية هي نوع من كبح الجماع. وبناء على ذلك، يجب القول إن معظم الجهات المؤيدة للغرب في الشرق الأوسط هم زعماء طاعنون في السن، منهكون أو منشغلون بالرغبة في البقاء. وفي المقابل، فإن الجهات المعادية للغرب أكثر شباباً، وأكثر استعداداً للمخاطرة، ولديهم الجرأة على تغيير الوضع الراهن.

لماذا كان شارون ظاهرة خاصة؟.. ما الذي جعله مميزاً منذ قيادته الوحدة ١٠١، مروراً بأحداث بيروت وحتى نشوب الانتفاضة الأخيرة؟.. إنه عنصر المبادرة الإيجابية.

ومع ذلك، فإن تعيين وزير دفاع جديد ورئيس هيئة أركان جديد يدل على وجود تغيير: فقد عادت إسرائيل مرة أخرى للأخذ بزمام المبادرة والمخاطرة، وأصبحت تهتم بالأنشطة الإيجابية على أعلى المستويات. وهذا أمر جيد. ولو حدث غير ذلك، فإن وضعنا كان سيتدهور مثلما حدث في عام ٢٠٠٠.

◆ الخطر الفلسطيني، والإرهاب التقليدي، والانتفاضة (نسبة ٧ مقابل ٨,٦) خلال الشهر الماضي:

حسبما نعرف مما نشر على موقعنا، فإنه في اللحظة التي يعود فيها الحراك السياسي المؤثر، ستعود مرة أخرى العمليات الإرهابية، وبالطبع الرغبة في تنفيذ عمليات. وبالفعل، شهدنا الشهر الماضي ارتفاعاً في كل المستويات الإرهابية ضد إسرائيل. وأصبح الصراع الداخلي الفلسطيني خلال الأشهر الماضية في طي النسيان، والتفتت الأنظار مرة أخرى نحو إسرائيل. للمرة الأولى يمكن ملاحظة وجود رغبة حقيقية لاستئناف العمليات الانتحارية داخل إسرائيل. لم أكتب مثل هذه الجملة منذ أن بدأنا إجراء مقياس التهديدات الأمنية قبل نحو ستة أشهر، ولكن هذه الرغبة قائمة.

وقد تم إحباط عمليتين على الأقل خلال هذا الشهر، عندما تسلل مخرباً انتحارياً عبر الحدود المصرية لتفجير نفسه في بئر سبع. وفي التاسع من شهر سبتمبر تم إحباط عملية إرهابية كهذه في نابلس. هناك رغبة قوية لتنفيذ عمليات إرهابية قوية لدى كل العناصر الفلسطينية، ولكن لحسن الحظ تعمل اليوم عدة جهات رادعة:

١- الجدار العازل يزيد من صعوبة أي تسلل إرهابي لإسرائيل. وبدأت الفكرة التي حاربت من أجلها في عام ٢٠٠٠، وخلافاً لرأي كل الجهات، بدأت المبادرة تجني ثمارها. وللأسف أن محكمة العدل العليا تواصل التدخل فيما ليس من اختصاصها، وتأمّر بإزالة الجدار الذي تمت إقامته في مناطق مختلفة.

٢- عمليات إحباط ناجحة للجيش الإسرائيلي. ففي كل مساء وليلة، تنفذ حملات اعتقال، ومطاردة وإجهاض عمليات في عمق يهودا والسامرة (الضفة الغربية). ويجب مواصلة ذلك دون كلل. ويقوم الجيش الإسرائيلي بتنفيذ المئات من تلك الأنشطة شهرياً، مثلما فعل هذا الشهر في قلقيلية.

٣- تجدر الإشارة إلى أن إسرائيل يقيم فيها آلاف الفلسطينيين بشكل غير قانوني، الأمر الذي يسهل القيام بعمليات إرهابية داخل إسرائيل. وتحت ضغط منظمات "حقوق الإنسان" تم تحجيم اليد الباطشة لمكتب الإشراف على الهجرة، وربما تكون النتيجة المترتبة على ذلك خطيرة من وجهة نظر المواطنين الإسرائيليين. ففي منطقة "هاشارون" وحدها يوجد الآلاف من المقيمين غير القانونيين.

٤- خرج المئات من نشطاء فتح والمطلوبين من مخابئهم هذا الشهر، معظمهم تقاضوا أموالاً مقابل ذلك، أو تم تجنيدهم في الأجهزة الأمنية التابعة لأبو مازن، والتي أثبتت أنها لا تمتلك أي قدرة على الصمود عندما لاذت بالفرار من غزة. وهناك أشخاص آخرون يستأنفون الأنشطة الإرهابية سراً. هذا، وبتزايد معدل إطلاق صواريخ القسام على مدينة سديروت ومحيطها، خاصة الصواريخ التي يطلقها المعارضون لحماس، الذين كانوا يريدون مشاهدة إسرائيل تحرر غزة من أجلهم، ولكن إسرائيل تتوخى الحذر من ذلك. من المتوقع أن يستمر إطلاق صواريخ القسام ويتعاضد، في ظل غياب خطوات إيجابية إسرائيلية داخل قطاع غزة ضد الإرهاب.

❖ حزب الله والقاعدة (٦,٠ مثل الشهر الماضي):

في مقابل الحراك النشط على الصعيد الفلسطيني، لا يمكن هنا مشاهدة أي تغييرات جذرية، حيث إن منظمة حزب الله منشغلة تماماً بمعركة الانتخابات الرئاسية، وسياسة المكائد الداخلية في لبنان، ولم تتجح بعد في التغلب على هذا العائق الصعب من وجهة نظرها.

الحقيقة أنه لا توجد لديها حدود مشتركة مع إسرائيل. واليوم يفصل بينها وبين إسرائيل الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل، وكلاهما جهتان مؤثرتان، وسوف تتجنب الاحتكاك بهما بسبب عدم وجود شرعية لخطوة كهذه في لبنان والعالم.

من ناحية أخرى، يتم ملاحقة أعضاء القاعدة، ويثبت ذلك تسجيل بن لادن الأخير، الذي أذيع بمناسبة الذكرى السنوية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. وكان الهدف هو إظهار أن زعيم القاعدة مازال حياً، بعد اختفائه ثلاث سنوات. وكان تنظيم القاعدة يريد تنفيذ عملية إرهابية كبيرة في الولايات المتحدة، ولكن جهاز المخابرات والردع الفعال يجعل القاعدة ترتدع عن ذلك. وفي قطاع غزة توجد خلايا تابعة للقاعدة، ولكنها مازالت في مراحل الإعداد، وتدخل في احتكاكات مع حماس التي لا تولي أهمية بهم.

❖ سوريا وإيران (٥,٨ في مقابل ٦,١ خلال الشهر

الماضي):

لماذا شهد المقياسان تراجعاً؟.. وفقاً لما نشرناه على الموقع، فإن قدرة الردع الإسرائيلية لسوريا ازدادت بشدة بعد عملية الاختراق التي نسبت لها داخل العمق السوري. وإذا كانت إسرائيل قد فعلت ذلك، فإنها أثبتت تفوقها الجوي التام والقدرة الاستخباراتية العالية، ويحتمل أنه تم القضاء على أسلحة حساسة وهذه ضربة قوية لسوريا.

وقد قمنا بتحليل الوضع، ورأينا أن سوريا ليست لديها أي قدرة على الرد، لأن يديها مقيدتان وراء ظهرها. وإذا كانت لدى الأسد أفكار لمهاجمة إسرائيل، فإن الحادث الأخير قد أوضح له أن الضرر من وجهة نظره يمكن أن يكون قوياً. وهذا يعد تطوراً هاماً للغاية في العلاقات الأمنية بين الدولتين. ومع ذلك، نشأت حرب باردة بين سوريا وإسرائيل، لاسيما في هضبة الجولان. وهذا أيضاً ليس أمراً سيئاً، لأنه أوجد نوعاً من الردع، وتراجع خطر نشوب حرب.

نموذج للفخ السوري؟.. لم تسألوا أنفسكم لماذا لم

تطلب سوريا عقد جلسة في مجلس الأمن أو على الأقل استتكار الأمم المتحدة؟.. لقد فعلت في الماضي مثل ذلك على الأقل. وبهذا الشكل، يبدو أن سوريا في مشكلة مع الأمم المتحدة، بسبب قضية رفيق الحريري، وانتهاك القرار رقم ١٧٠١ الذي يحظر إدخال سلاح من سوريا إلى لبنان، وبسبب تأييدها لحزب الله، ولأنها تخشى التوجه تماماً للأمم المتحدة، فإنها تعلم أنها ستورط هناك.

كما أدركت إيران هذا الشهر أنها واقعة في مصيدة، وأنها إذا قامت بإنتاج سلاح نووي، فإن العالم سيضيق عليها الخناق في ظل وضع كهذا، مثلما حدث مع كوريا الشمالية. وتسعى إيران لدراسة الخيارات المطروحة للخروج من هذا المأزق، ولكن بشكل لائق. وبسبب الطابع البدائي لنظام الحكم في طهران، فإن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً ومجهوداً مالياً. وقد تراجعت حالياً مخاطر شن هجوم أمريكي على إيران أو مهاجمة إيران لنا. ولا يجب الانسياق وراء الأنباء التي تتردد حول إمكانية شن هجوم أمريكي على إيران قريباً، لأن الهدف منها هو الضغط على طهران وعقد اتفاقية معها.

وفي الوقت الذي يزداد فيه معدل التهديدات الفلسطينية، والأمريكية يحدث بسببنا تحديداً، حيث تضغط إسرائيل على المسيرة السياسية، فإن التهديدات على الجبهات الأخرى متجمدة أو تشهد تراجعاً، وتحديدًا بسبب الضغوط الدولية على حزب الله وسوريا وإيران.

وبناءً على ذلك، فإن مقياس التهديدات الأمنية لشهر سبتمبر ٢٠٠٧ شهد تراجعاً هذا الشهر، خاصة بسبب تراجع التهديدات التي يعطيها المقياس أهمية كبيرة جداً، فيما يتعلق بسوريا وإيران. وبمنظرة للوراء، يمكن مشاهدة كيفية ارتفاع التهديدات الأمنية من جانب سوريا وإيران خلال شهر يونيو، وكيف تراجعت الآن بشكل كبير.

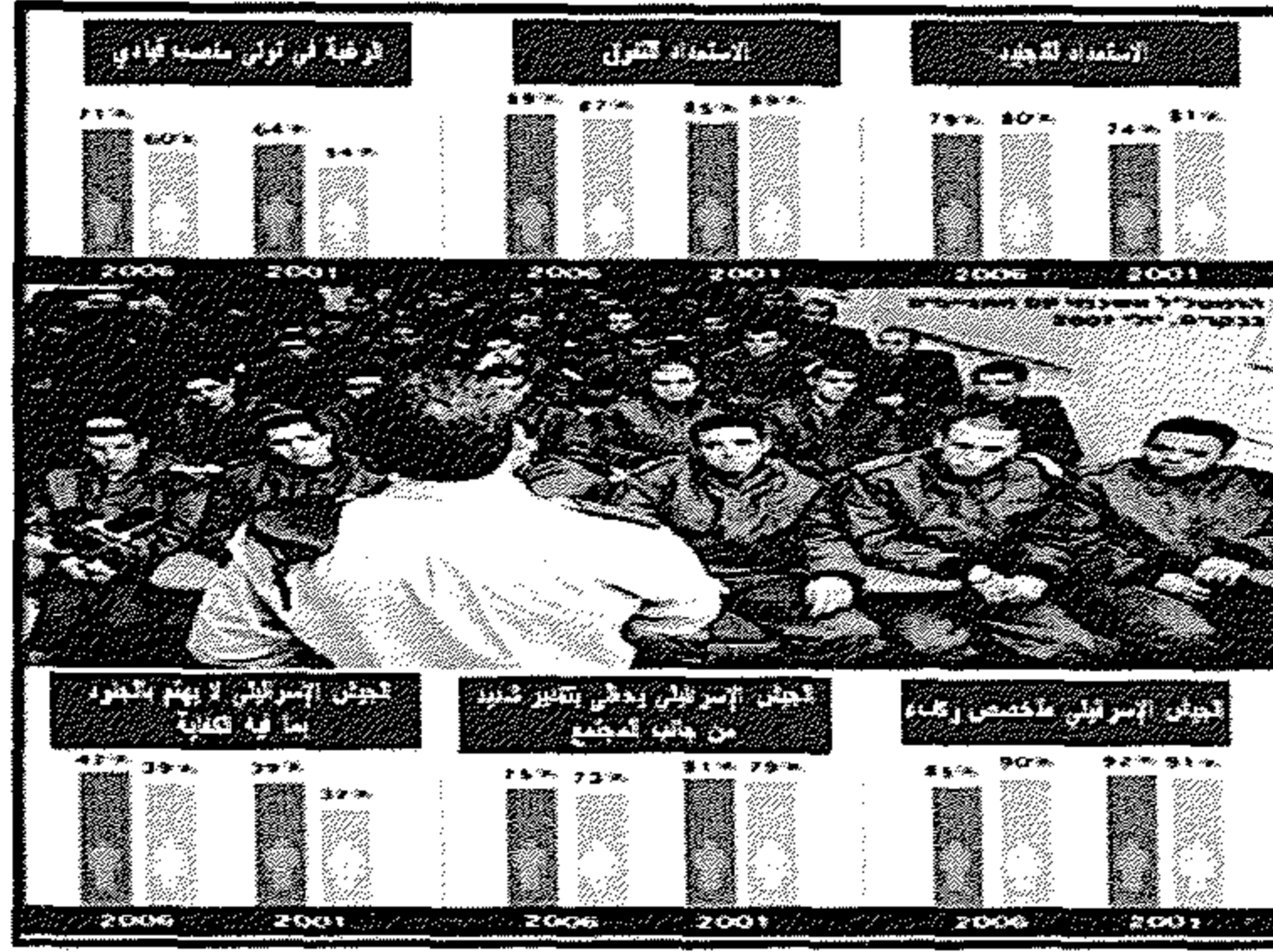
ويصل التقدير النهائي العام لهذا المقياس إلى ٦ درجات.

(❖) مفتاح المقياس من ١ وحتى ١٠، بحيث يكون أدنى حد للتهديد (١)، وأعلى حد (١٠)، وفقاً للتدرج العام التالي: تهديد منخفض (١-٤)، تهديد متوسط (٤-٧)، تهديد مرتفع (٧-١٠).

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١٢
بقلم: يوفال أزولاي وأور كشتي

تزايد الحافز للتجنيد وتراجع الثقة في الجيش الإسرائيلي

ونظرة متباعدة في بيانات الاستطلاع، تظهر أن الجيش الإسرائيلي لديه أسباب أخرى تدعو للقلق، منها على سبيل المثال: الارتفاع الحاد في معدل انعدام الثقة التي يشعر بها المتقدمون للخدمة العسكرية في الجيش، حيث أفاد ٨٥٪ من المجندين والمجنّدات المتقدمين للخدمة بأن الجيش الإسرائيلي جيش كفاء ومحترف. وقبل عام من ذلك، كان



٩٥٪ من المتقدمين للخدمة العسكرية يعتقدون ذلك. كانت دفعة نوفمبر ٢٠٠٦ هي الدفعة الأكبر عدداً، وشهد معدل الاستعداد للخدمة في الوحدات الميدانية ارتفاعاً ملحوظاً. وقد اعتقدوا في الجيش الإسرائيلي أن حرب لبنان الثانية، التي دارت رحاها خلال العام نفسه، كان لها تأثير مباشر في هذا الصدد.

يصف البروفيسور ستيوارت كوهين، وهو باحث كبير في مركز بيجين - السادات للدراسات الاستراتيجية بجامعة بار إيلان، أزمة التهرب من أداء الخدمة العسكرية بأنها أزمة كاذبة ومختلفة قائلاً: "هذه حملة وهمية.. فعندما أفحص الأرقام الصادرة عن الجيش الإسرائيلي لا أرى ما يدعو للفرح، بل إنها تدعو للدهشة. فمن بين ٢٥٪ من الرجال الذين لا يتجنّدون، هناك ١١٪ حريديم. كما أن هناك ٤٪ من أصحاب السوابق الجنائية، و٣٪ أو ٤٪ يقيمون في الخارج، وآخرون لا يستطيعون الخدمة لدواعي صحية".

وأضاف كوهين: "عموماً هناك ٥٪ لا يتجنّدون بسبب صعوبات في التأقلم، ورغم ذلك نعتهم بالمتهربين من أداء الخدمة العسكرية، ولكن على أية حال، هذه نسبة ضئيلة وغير مؤثرة. فهناك إذن العديد من الأسباب للتهرب من الخدمة العسكرية، إذن فليشكروا الرب في الجيش الإسرائيلي أن نسبة المتهربين من أداء الخدمة العسكرية لم تصل إلى ٥٠٪. وعموماً، فإن الجيش الإسرائيلي هو الذي يقوم بتسريحهم، وعليه فهم ليسوا متهربين من الخدمة العسكرية".

وأردف كوهين، أنهم "في الولايات المتحدة - خلال حرب فيتنام - كانوا على استعداد لتقبل مثل هذه

أظهر استطلاع داخلي للرأي، أجراه الجيش الإسرائيلي، للوقوف على مواقف الشباب والشابات المتقدمين للتجنيد، ارتفاع نسبة الاستعداد للخدمة في الجيش بين الشباب بنحو أكثر من ٥٪ عن شهر نوفمبر ٢٠٠١. كما يشير الاستطلاع إلى ارتفاع نسبة استعداد المتقدمين للخدمة العسكرية للتفوق في حياتهم العسكرية والتدرج وصولاً إلى مناصب قيادية عالية.

أجرى الاستطلاع قسم العلوم السلوكية في الجيش الإسرائيلي، في شهر نوفمبر ٢٠٠٦، بين عينة شملت نحو ٥٠٠ شاب و٥٠٠ شابة. وبمقارنة نتائج الاستطلاع من خلال الإجابات على جزء كبير من الأسئلة، يتبين أن هناك تحسناً ملحوظاً في مستوى الحافز للتجنيد مقارنة بسنوات سابقة.

هذه البيانات لم تمنع كبار قادة الجيش الإسرائيلي من قيادة حملة منذ نحو شهرين لإدانة الشباب الذين لا يؤدون الخدمة العسكرية: فمنذ أن أعلن رئيس إدارة التجنيد في الجيش الإسرائيلي، العقيد عمير روجوفسكي، إن ٢٥٪ من الشباب لا يتم تجنيدهم، تزايدت النداءات المطالبة بإدانة المتهربين من الخدمة العسكرية.

استقصى الاستطلاع مواقف المجندين والمجنّدات المستجدين بشأن قضايا هامة متعلقة بالجيش، وكانت البشري السارة بالنسبة لقادة الجيش هي أن الوضع قد تحسّن بشكل جيد، وفي بعض الحالات بشكل جيد جداً، مقارنة باستطلاعات الرأي التي أجريت خلال شهرى نوفمبر ٢٠٠٥ ونوفمبر ٢٠٠١.

فيما تشير البيانات الصادرة عن إدارة التجنيد حول حجم ظاهرة التهرب من أداء الخدمة العسكرية، إلى أن الحريديم الذين يرفضون الخدمة في الجيش الإسرائيلي من أجل العقيدة، يشكلون أكبر مجموعة لا تخدم في الجيش الإسرائيلي. أما البقية فقد سافروا للخارج، والبعض الآخر لديهم سوابق جنائية، بينما تقوم مجموعة أخرى باستصدار إعفاء بناءً على تقرير ضابط الصحة النفسية في الجيش أو لأسباب أخرى.. إلخ.

البيانات بحفاوة شديدة، أما شبابنا فمفعمون بالحافز بصورة تدعو للدهشة".

إلا أن المسؤولين في جهاز الدفاع ما يزالون يمشون قدماً في حملتهم - محل الخلاف - والخطوة القادمة فيها هي لجنة خاصة تم تعيينها بالتنسيق مع وزير الدفاع إيهود باراك، برئاسة عضو الكنيست إيتان كابل. وستحاول هذه اللجنة بلورة مجموعة من القرارات من شأنها أن تجعل التهريب من أداء الخدمة العسكرية غير ذي جدوى، حتى وإن بات من الواضح أمام عضو الكنيست كابل نفسه أن هذه المسألة من الممكن أن تصطدم بصعوبات تضعها المحكمة بسبب القانون الأساسي الخاص بكرامة الإنسان وحرية.

يستكمل كوهين: "إن هذا الأمر يصيبني بالجنون. فهناك أشخاص يعودون داخل صناديق وبعضهم يعود من المعارك معاقاً ليظل هكذا طيلة حياته، وهناك هؤلاء الذين يعتقدون أن هناك من سيقوم بهذا العمل من أجلهم. إنني لست مستعداً لقبول وضع يقوم فيه شاب تم تسريحه من الجيش لسبب نفسي، بناءً على تقرير ضابط الصحة النفسية، بالالتحاق بدراسة الطب في سن الثامنة عشرة، وقد يصبح بعدها طبيب نفسي. والمفارقة الكبيرة هي أن هناك أشخاصاً يستحيل تجنيدهم بسبب مشكلات طبية حقيقية، ورغم ذلك يقاتلون من أجل التطوع لخدمة الدولة".

لا تزول بالغسيل

هاآرتس ٢٠٠٧/٩/١١
بقلم: يوثيل ماركوس

باعتباره عضو في الكنيست، منذ أن كان في السابعة والعشرين من عمره، فقد قضى ٢٥ عاماً في حقل السياسة، ولديه خبرة هائلة في كافة المجالات على أقل تقدير. فهو شخص حكيم، ذكي، وشديد الحرص أكثر مما يعتقدون. ورغم التوتر مع سوريا، فقد أعلن مراراً وتكراراً خلال مؤتمر حزب كاديما مقولة "إنني مطمئن"، وكأنه يخشى أن يُجر إلى الرد على مزاعم الرئيس الأسد حول اختراق الطيران السوري لمجال بلاده الجوي.

بينما كان أحد شباب حركة بيتار (❖)، وابن أحد قادة الحركة، وأحد أنصار أرض إسرائيل الكاملة، وفي وقت لاحق من معارضي اتفاق السلام مع مصر، كان أولمرت أول من حمل بشارة فك الارتباط، عندما أعلن عنها خلال مراسم تأبين دافيد بن جوريون. ومنذ إخفاقه في حرب لبنان الثانية، يحاول أولمرت، الذي يصفه المحللون السياسيون بالـ "شجاع"، فعل كل ما هو صواب في أدائه كرئيس للوزراء. إلا أن معظم الجمهور لم يتخلص حتى الآن من الصدمة التي تسبب فيها قراره بشن الحرب بالحجم الذي خرجت عليه دون أن يكون الجيش الإسرائيلي مستعداً لذلك.

إن أولمرت يذكرنا بليفي إشكول، فكلاهما تولى المنصب دون أن يكون مؤهلاً لأن يصبح في مصاف عظماء الدولة، حيث حل إشكول محل بن جوريون، رئيس الوزراء ووزير الدفاع، بينما حل أولمرت محل آريئيل شارون، الذي دخل وهو في أوج نضجه كزعيم قومي وفي ذروة الانقلاب السياسي الذي أحدثه في إسرائيل، في غيبوبة عميقة.

صدق أو لا تصدق، فبعد كل ما قاسيناه خلال حرب لبنان الأخيرة، ما تزال غالبية الجمهور تعتقد أن إسرائيل هي دولة يطيب العيش فيها.. فقد أظهر استطلاع للرأي أجرته الدكتور مينا تسييمح لحساب صحيفة "يديعوت أحرونوت"، نهاية الأسبوع الماضي، ونشرت نتائجه بالأمس، أن الأغلبية الساحقة من المشاركين في الاستطلاع يشعرون بالرضا الشديد عن الدولة.

في الإجابة على السؤال القائل كيف تصف حالتك المعنوية؟ أجاب ٨٦٪ من المشاركين في الاستطلاع بأن حالتهم المعنوية جيدة. وفي الإجابة على السؤال كيف تصف وضعك الاقتصادي؟ أجاب ٦٧٪ من المشاركين في الاستطلاع بأنه جيد. هل تعتقد أن دولة إسرائيل الكبرى ستقام في المستقبل البعيد؟ أجاب ٧٤٪ بنعم. هل فكرت هذا العام في النزوح من إسرائيل؟ أجاب ٧٦٪ من المستطلعة آراؤهم بـ "لا". هل أنت فخور لكونك إسرائيلي؟ أجاب ٨٤٪ بـ "نعم".

ومن بين هذه البيانات التي تظهر الانتماء الشديد للوطن، يبرز إيهود أولمرت بحصوله على تقدير متواضع باعتباره زعيم الدولة. فمقولته الشهيرة "أنا رئيس وزراء بلا شعبية"، تظهر في هذا الاستطلاع على أنها معلومة لا تزال غير قابلة للتغيير. فقد مضى أولمرت في كلمته قائلاً "ولكن هذا عملي". ومعنى الكلام، هو أنه على الرغم من الأشياء الصحيحة التي يفعلها منذ إخفاقه في حرب لبنان الأخيرة، مروراً بالمصادقة على الميزانية وصولاً إلى الحفاظ على استقرار الائتلاف الحكومي، لا تزال شعبيته آخذة في التراجع.

فاشكول الذي ظل لفترة طويلة وزيراً للمالية، تعرض لضغط خلال توليه منصب وزير الدفاع عندما دخلت مصر إلى سيناء وأغلقت المضائق في تحد عسكري واضح لإسرائيل. والحقيقة هي أن الجيش الإسرائيلي كان في أفضل حالاته، وكان يمتلك خططاً حربية محكمة، إلا أن إشكول قد تردد، واستنزف الاحتياط على مدى أسابيع كاملة من الانتظار. ولحسن حظه، أنه تعرض لضغوط من القيادة السياسية وقيادات الجيش حتى يترك منصب وزير الدفاع لموشيه ديان، وقد حدث. ولكن ما أن مرت خمسة أيام حتى اندلعت حرب الأيام الستة (١٩٦٧)، ونسب هذا الانتصار الكبير إلى ديان، حيث عمل على رفع معنويات الجنود وأدخل العديد من الإصلاحات على الجيش، الذي بات تحت قيادته مستعداً ومؤهباً لجلب المجد.

لقد خرج أولمرت للحرب ومعه رئيس هيئة أركان واهم، كان يعتقد أنه من الممكن القضاء على حزب الله بضرية جوية، ومعه وزير دفاع لم تكن لديه أية فكرة عن شئون الدفاع ولا يعلم الحالة السيئة التي كان عليها الجيش، فقد كان الجيش غير مؤهل ولا يمتلك سوى تجهيزات برية عفا عليها الزمن، سيما وأنه لم تكن لديه في الأساس خطط مناسبة لتحقيق النصر على أرض العدو. هذه الثلاثية القيادية كبدت شعب إسرائيل ١٥٧ قتيلاً، علاوة على سقوط ٣٩٧٠ صاروخاً وقذيفة على الجبهة الداخلية الإسرائيلية. فلو أن شارون كان موجوداً، لما حدث ذلك، لأنه كان يعلم جيداً إمكانيات الجيش الذي قاده كل من شاؤول موفاز وبوجي يعلون (وقت أن كان شارون رئيساً للوزراء قبل دخوله في

الغيوبة). إن تعيين حالوتس رئيساً لهيئة الأركان العامة للجيش كان بالفعل مرهوناً بهدف واحد ووحيد، ألا وهو إخلاء مستعمرات جوش قطيف.

باعتباره ناشطاً سياسياً موهوباً، يدخل أولمرت المرحلة الثانية المتوقعة على درب شارون نحو التوصل لتسوية مع الفلسطينيين. وعلى طريقة بيع السمك في المياه، يمكن القول بأنه لن يحصل على تقييم عشرة على عشرة، ولكن سبعة من عشرة أيضاً لا تعد درجة سيئة. وبالنظر إلى تراجع نسبة العداء ضده في وسائل الإعلام، إضافة إلى الائتلاف القوي الذي أقامه مع إيهود باراك، والقائم في الأساس على ردع معظم أعضاء الكنيست بدلاً من المخاطرة بإجراء انتخابات مبكرة، وبالنظر إلى حقيقة أن لجنة فينوجراد قد فقدت هيبتها، فإن أولمرت سيكون رجل العام. أو لتحري الدقة، أكثر الشخصيات ذات القدرة على البقاء هذا العام. إلا أن أولمرت، رغم ذلك، ستبقى في ثيابه بقعة لن تزول مع الغسيل (المقصود هنا بالبقعة إخفاقه في حرب لبنان الأخيرة).

♦ تنظيم شبابي صهيوني تصحيحي أسسه يوسف ترومبلدور في بولندا عام ١٩٢٣، وكان هدفه إعداد أعضائه للحياة في فلسطين بتدريبهم على العمل الزراعي وتعليمهم مع التركيز على العبرية والتدريب العسكري. وكان أعضاؤه يتلقون أيديولوجية واضحة التأثير بالأيديولوجيات الفاشية التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك، مثل تعليم اليهودي أن أمامه خيارين فقط: الغزو أو الموت.

تضاعف نسبة تعاطي المخدرات بين شباب مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً

الماضي، بينما أفاد ٤٩٪ من إجمالي الطلاب الشباب بتناولهم للخمور. وقد ذكر نحو ٢٥٪ من الطلاب المهاجرين أنهم تعاطوا المخدرات، في مقابل ١٠٪ من إجمالي الطلاب الشباب. وقد كانت الفروق واضحة بين الطلاب من مهاجري الاتحاد السوفيتي الذين تسربوا من الدراسة، وبين إجمالي الطلاب المتسربين بشكل عام.

وقد أظهر تحليل السمات المميزة للمهاجرين الذين يتعاطون المخدرات، أن ٤٩٪ لا يدرسون ولا يعملون، في حين أن نحو نصف هؤلاء المهاجرين الذين لم يتسربوا من الدراسة يدرسون في مدارس داخلية، بينما يدرس ٤٢٪ منهم في مدرسة تعليم مهني، في حين أن نسبة ٣١٪ فقط منهم تتربى في كنف أحد الوالدين فقط، كما أفاد ٤٢٪ بأن رب الأسرة عاطل، وذكر ٤٦٪ أنه ليس لديهم أصدقاء إسرائيليين، وقال ٤٦٪ إنهم يشعرون بنبذ المجتمع الإسرائيلي لهم. كما أفاد نحو ٥٠٪ بأن دخل الأسرة انخفض مقارنة بالدخول في دول الاتحاد السوفيتي سابقاً.

كما أظهرت الدراسة، أن ٤٣٪، من هؤلاء الذين أفادوا بأن أمهم غير يهودية، يتعاطون المخدرات، في حين بلغت النسبة بين الشباب لأم يهودية ٣٣٪. فيما ينظر ثلث متعاطي المخدرات إلى أنفسهم على أنهم إسرائيليين، بينما قدم ٤٣٪ أنفسهم على أنهم من مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً. وقد أفاد خمس المشاركين في الاستطلاع بارتكاب جرائم سرقة تحت تأثير المخدرات، في حين ذكرت نسبة الثلث أنها ارتكبت جرائم عنف.

وأردف مسينج: "إن الدراسة تثبت للمرة الأولى أن عدداً كبيراً من مرتكبي جرائم العنف في المجتمع هم من مدمني المخدرات والخمور، في حين أن الاهتمام بهذه الظاهرة يكاد يكون معدوماً، وذلك لأن جل الاهتمام عادة ما ينصب على النتائج الناجمة عن العنف وليس على الأسباب التي تؤدي إلى حدوثه".

أفاد ٨٤٪ من شباب مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً بأنهم تناولوا الخمر خلال السنة الأخيرة، بينما وصل ١٧٪ منهم إلى حالة الثمالة ست مرات على الأقل. في حين أفاد ٣٥٪ بأنهم تعاطوا المخدرات، وارتكبت نسبة بلغت الثلث تقريباً جرائم عنيف تحت تأثير المخدر.. وقد ذكر ثلث متعاطي المخدرات فقط إنهم يعتبرون أنفسهم إسرائيليين.

وقد صرح حاييم مسينج، مدير عام هيئة مكافحة المخدرات والخمور، خلال مؤتمر صحفي عقده بالأمس، لعرض بيانات دراسة تعد الأولى من نوعها حول أشكال تعاطي المخدرات والخمور بين الشباب المهاجرين من الاتحاد السوفيتي سابقاً: "إن معظم الشباب من أبناء عائلات مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً لا يعتبرون أنفسهم إسرائيليين، بل ويشعرون بالنبذ من جانب رفاقهم ممن ولدوا في إسرائيل".

تستند الدراسة التي أعدها كل من د. أرنون أدلشتاين، من قسم علم الإجرام بالجامعة العبرية، والدكتورة راحيل همبورجر، كبيرة علماء هيئة مكافحة المخدرات، إلى استطلاع للرأي واسع النطاق أجرى بين عينة شملت ٧٥٠ شخصاً في الفئة العمرية من ١٢ حتى ١٨ عاماً، من مهاجري الاتحاد السوفيتي سابقاً أو من مواليد إسرائيل لآباء هاجروا إلى إسرائيل منذ عام ١٩٩٠. وقد رصد الباحثون عدة عوامل خطيرة لتعاطي المواد المنشطة بين هؤلاء الشباب ومنها: التسرب من الدراسة أو الدراسة في مدارس داخلية، والنشأة لدى أحد الأبوين، أم غير يهودية (وتحديداً بين مدمني المخدرات)، ووضع اقتصادي صعب، وغياب التوعية بالمخاطر المترتبة على تعاطي المخدرات والخمور.

وقد كشفت الدراسة أن نسبة تعاطي المخدرات والخمور بين شباب المهاجرين تفوق النسبة بين إجمالي السكان الشباب في إسرائيل إلى حد كبير. فعلى سبيل المثال، هناك ٨٠٪ من المهاجرين الذين يدرسون في مؤسسات التعليم أفادوا بأنهم شربوا الخمر في العام

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٧/٩/٧
بقلم: إيلي سينور

ساريد أم حولدائي.. معركة شرسة على رئاسة بلدية تل أبيب

سيؤيدون حولدائي - إذا ما أُجريت الانتخابات على رئاسة البلدية اليوم - في حين ذكر ٢٥٪ أنهم سيؤيدون ساريد، بينما حصل كل من المحامي دان لاهط، نجل رئيس بلدية تل أبيب الأسبق شلومو لاهط، وعضوة الكنيست رونيت تيروش (عن حزب كاديما) على نسبة ٦٪ من إجمالي الأصوات لكل واحد منهما، في حين حصل كل من عضو الكنيست جدعون ساعر (عن حزب الليكود) وأفيشاي بروفمان (عن حزب العمل) على نسبة أصوات بلغت ٥٪ لكل واحد منهما. وبالمناصفة، فإنه في حالة ما إذا أصبحت المنافسة في الانتخابات قاصرة على حولدائي وبروفمان وساريد، فإن الفارق بين ساريد وحولدائي سيتضاءل ليصل إلى ٢٪ فقط.

وفي الإجابة على الأسئلة بشأن نسبة رضا سكان تل أبيب عن أداء حولدائي كرئيس للمدينة، تبين أن: ٦٢٪ من المشاركين في الاستطلاع يعتقدون أن حالة ساحات الانتظار في المدينة رديئة إلى حد كبير، بينما يعتقد ٤٥٪ أن أداء حولدائي في كل ما يتعلق بموضوع الحفاظ على البيئة أقل من جيد، في حين يرى ٥٨٪ من المشاركين في الاستطلاع أن تعاطي حولدائي مع مشكلة إسكان الشباب ليس جيداً أو سيئ جداً. أما التقدير الأعلى فقد حصل عليه حولدائي في موضوع الثقافة، حيث يعتقد ٦٠٪ من المشاركين في الاستطلاع أن أدائه فيما يتعلق بتوفير الخدمات الثقافية جيد إلى جيد جداً.

ثمة مفاجأة أخرى ظهرت في كل ما يتعلق بالنضال الذي حظي بتغطية إعلامية واسعة النطاق والخاص بشأن قاعة أوسيشكين التي قامت بلدية تل أبيب بهدمها. وعلى هذا السؤال، أجاب ٣٦٪ بأنهم يعتقدون أن حولدائي كان محقاً عندما قرر هدم القاعة، بينما يعتقد ٢٦٪ أن الصواب قد جانب حولدائي في هذا القرار، في حين لم يعرب باقي المشاركين في الاستطلاع عن رأيهم في هذا الشأن.

أظهر استطلاع للرأي، أُجرى لحساب صحيفة "يديعوت أحرونوت" الصادرة في تل أبيب، أنه في حالة ما إذا خاض رئيس المدينة الحالي "رون حولدائي" والوزير السابق "يوسي ساريد" المنافسة على رئاسة البلدية، فإن حولدائي سيفوز بفارق يصل إلى ٦٪. هذا في الوقت الذي لم يعلن فيه ساريد عن ترشحه بعد. معركة شرسة: رئيس بلدية تل أبيب، رون حولدائي، يتصدر بفارق ٦٪ على حساب الوزير الأسبق يوسي ساريد في المنافسة على رئاسة بلدية تل أبيب التي من المقرر إجراؤها في شهر نوفمبر العام القادم. هذا ما يظهره استطلاع للرأي أجرته الدكتوراه مينا تسييمح لحساب صحيفة "يديعوت أحرونوت"، ونشرت نتائجه اليوم.

وبحسب بيانات الاستطلاع، فإنه إذا ما أُجريت الانتخابات اليوم (يقصد انتخابات على رئاسة بلدية تل أبيب)، وتنافس كل من حولدائي وساريد، فإن رئيس بلدية تل أبيب الحالي، والذي يتولى هذا المنصب منذ تسع سنوات، سيحصل على ٤٦٪ من الأصوات، بينما يحصل ساريد على ٤٠٪، في حين أفاد ١٤٪ من المشاركين في الاستطلاع بأنهم لم يقرروا حتى الآن لصالح من سيصوتون.

يكاد الفارق الطفيف بين الاثنين يقض مضجع حولدائي على وجه الخصوص، نظراً لأن ساريد لم يعلن حتى الآن عن ترشحه لخوض الانتخابات. فمثل هذا الإعلان، لو حدث، نعتقد أنه سيزيد تلقائياً من نسبة التأييد له، ومن المؤكد أن الحملة الانتخابية سيكون لها تأثير كبير أيضاً على هذه المسألة.

كما أظهرت بيانات الاستطلاع أن نصف مؤيدي حولدائي فقط، الذين صوتوا لصالحه في الانتخابات الماضية، أفادوا بأنهم سيؤيدونه هذه المرة أيضاً.

وفي الإجابة على سؤال شمل عدد كبير من المرشحين: أفاد ٣١٪ من المستطلعة آراؤهم بأنهم

شخصية العدد



الممثل الإسرائيلي "يجال ناؤور"

ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعي

بدأ ناؤور يشارك في الأعمال الدرامية والمسلسلات التلفزيونية، وكان من أهمها المسلسل التلفزيوني (جنود احتياط) الذي حظى بشعبية ونسبة مشاهدة كبيرة في إسرائيل، ثم اتجه للمجال السينمائي عام ١٩٨٧، وبدأ يحتل مكانة كبيرة في هوليوود، حيث شارك في فيلمين أمريكيين عام ١٩٩٣ هما فيلم "المومياء"، و"العملة السابعة".

وبعد ظهوره الذي لم يتجاوز ثلاث دقائق في فيلم "ميونيخ" عام ٢٠٠٥ والنجاح الذي حققه في هذا الدور، انهالت عليه العروض من المخرجين العالميين. فقد أعجب به المخرج العالمي الحائز على جائزة أوسكار "جافين هود" وأسند له أحد الأدوار الهامة في الفيلم الأمريكي الجديد (Rendition) الذي أتم تصوير مشاهدته. ويحكى هذا الفيلم قصة حياة شخص من أصل عربي يقيم في الولايات المتحدة الأمريكية ومتزوج من مواطنة أمريكية. وعند دخوله في إحدى المرات للولايات المتحدة، اشتبه الـ C.I.A في أنه إرهابي وألقى القبض عليه وتم إحالته للتحقيق.

يعتبر يجال ناؤور قصة كفاح بدأت من المحلية وصولاً إلى العالمية، حيث احتل مكانة مرموقة في هوليوود وحقق نجاحاً باهراً بمشاركته في عديد من الأفلام الأمريكية، التي كان الظهور فيها حلماً لكثير من الممثلين. كما أدى أدواراً هامة مع أهم كبار الممثلين في السينما العالمية، أمثال ميريل ستريب وريس ويذرسون.

يجال ناؤور، هو الممثل الإسرائيلي الذي سيجسد شخصية الرئيس العراقي الراحل صدام حسين ورحلته طوال فترة حكمه على مدى أربعة وعشرين عاماً، بدءاً من عام ١٩٧٩ وحتى إلقاء القوات الأمريكية القبض عليه في ديسمبر ٢٠٠٣.

يحمل هذا الفيلم الذي يتكون من عدة أجزاء اسم "بين النهرين"، ويقوم بإخراجه المخرج البريطاني "أليكس هولمز"، وبإنتاج مشترك بين القناة الثانية لشبكة الـ BBC البريطانية، وشبكة الـ HBO الأمريكية. ومن المقرر أن يشارك في هذا العمل الممثلة الأمريكية، الإيرانية الأصل، الحاصلة على جائزة الأوسكار "شهرة أغداسلو"، حيث ستلعب دور زوجته ساجدة. كما سيشارك في هذا الفيلم ممثلين إسرائيليين آخرين، هما أورى جفريثيل وساسون جفاي، وكذلك الممثل المصري عمرو واكد، الذي أثارت بشأن مشاركته في الفيلم، مع ممثلين إسرائيليين، ضجة كبيرة في مصر، حيث اتهم بالتطبيع مع إسرائيل.

ولد يجال ناؤور، البالغ من العمر (٤٨ عاماً) في بلدة جفعاتيم، درس المسرح في جامعة تل أبيب، وخدم الفن على مدى ٢٥ عاماً. شارك في البداية في عدة مسرحيات، وحصل على عدة جوائز منها: جائزة أفضل ممثل عن دوره في مسرحية "الخيمة السوداء" عام ١٩٨٣، وجائزة بلدية تل أبيب عن دوره في مسرحية "موت العميل" التي عرضت على خشبة مسرح "هيما".

خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية تركز على قواتها البرية

لواء أ.ح متقاعد / حسام سويلم

فى العقد المقبل وتوفير الموارد الملائمة، ووصف ورشة العمل هذه بأنها "أحدى أهم المداولات التى تجريها قيادة الجيش منذ سنوات طويلة".

وفى هذا الإطار أعلن وزير الدفاع الإسرائيلى إيهود باراك أن إسرائيل ستتزود بأنظمة فعالة مضادة للصواريخ فى غضون ٤ - ٥ سنوات، وشدد على أهمية هذه الأنظمة فى مواجهة الصواريخ أرض/ أرض والصواريخ المضادة للدبابات على حد سواء فى إطار الاستراتيجية الإسرائيلية الشاملة. وأضاف باراك "فى حالة نشوب نزاع فعلى إسرائيل نقل الحرب إلى معسكر العدو والانتصار بشكل واضح مع أقل ما يمكن من الخسائر فى الصفوف الخلفية"، كما شدد باراك على ضرورة تشكيل فرقتين مدرعتين إضافيتين لدعم القوات البرية، وإجراء تدريبات للجيش عبر مناورات كبرى.

وذكرت الإذاعة الإسرائيلية أن "هيئة قيادة الأركان ستناقش حاجات الأفرع المختلفة للقوات المسلحة من عتاد حديث يشمل طائرات وسفن وقاذفات وصواريخ وغيرها فى ظل توافر موازنات مالية كبيرة أقرتها الحكومة أخيراً، وفى أعقاب الاتفاق الأمريكى - الإسرائيلى الأخير القاضى بزيادة المساعدات الأمريكية العسكرية للدولة العبرية فى السنوات العشر المقبلة من ٢٤ مليار دولار إلى أكثر من ٣٠ بليون دولار "لضمان التفوق النوعى لإسرائيل فى المنطقة". وقالت المراسلة العسكرية للإذاعة العامة كارميلا منش "إن حرب لبنان

فى إطار الدروس التى أسفرت عنها الحرب على لبنان فى يوليو ٢٠٠٦، وانعكست فى تقرير لجنة فينوجراد عن أوجه التقصير التى كشفت عنها هذه الحرب، خاصة فى مجال عمل القوات البرية، وأيضاً فى ضوء الدروس والخبرات المكتسبة من الحروب الإقليمية الدائرة فى العراق وأفغانستان ومع المقاومة الفلسطينية، وما حدث من تطورات تقنية متسارعة فى أنظمة التسليح والمعدات الحربية على الصعيد العالمى - خاصة فى الولايات المتحدة وروسيا خلال السنوات القليلة الماضية.

وفى ضوء كل هذه الاعتبارات شرعت قيادة الأركان العامة برئاسة نائب رئيس الأركان الجنرال موشيه كابلينسكى منذ منتصف أغسطس الماضى فى مناقشة خطة تحمل اسم (كلع) لتطوير القوات المسلحة الإسرائيلية أطلق عليها "أسس البرنامج المتعدد السنوات" الذى يتناول أساساً حاجات الأفرع المختلفة للسنوات العشر المقبلة، وما ينبغى أن تدخل من تعديلات على "العقيدة الأمنية" الواجب اتباعها فى ضوء الاعتبارات السابقة، خصوصاً بعد أن انهارت العقيدة السابقة التى اعتمدت مبدأ الحسم الجوى، ولم تصمد فى اختبار الحرب الأخيرة على لبنان. وبحسب ما نقلته الإذاعة العبرية العامة عن ضابط كبير فى هيئة الأركان أن ورشة عمل تم تشكيلها فى هيئة الأركان استمر انعقادها يومين بحثت المقاربات والاتجاهات المختلفة، والتهديدات المترتبة بإسرائيل

الثانية ودروسها تضع أمام المؤسسة العسكرية تحديات جديدة مختلفة تستوجب عقيدة أمنية مغايرة" وهو ما يعنى أن الأولوية ستمنح فى السنوات المقبلة للقوات البرية التى قلصت موازنتها فى السنوات الماضية لمصلحة القوات الجوية الإسرائيلية فى أعقاب الإجماع على أنه فى وسع الطيران حسم أى حرب فى المستقبل، وهو ما لم يتحقق فى الحرب على لبنان، الأمر الذى أضطر معه رئيس الأركان السابق الجنرال دان حالوتس إلى الاستقالة.

وتابعت الإذاعة الإسرائيلية فى تقريرها أن تغير سلم الأولويات يعنى بوضوح تمكين القوات البرية من اقتناء ما تحتاج إليه من عتاد عسكري وإعادة تعبئة المخازن التى فرغت بعد الحرب الأخيرة، وتكثيف تدريب قوات الاحتياط وتأهيلها بشكل أفضل مما بدت عليه فى لبنان، ولم تستبعد الإذاعة إرجاء شراء عشرات الطائرات الأمريكية المقاتلة من "الجيل الثالث" من طراز F-35 وتفضيل تزويد القوات البرية بمدركات حديثة ومنظومات متعددة الطبقات مضادة للصواريخ (أى اعتراضها على الارتفاعات المختلفة).

وفى تعليقه على ذلك أفاد قائد سلاح المشاة السابق الجنرال (يفتاح رون طال) أنه يتوجب على قيادة الجيش الحالية تغيير عقيدتها السابقة بشأن قدرة الطيران الحربى على حسم الحرب، وأضاف: "أن المطلوب من ورشة العمل أعداد برنامج يقوم على وجوب الانتصار فى الحرب، وأن ترسخ فى ذهن العدو عدم جدوى شن حرب على إسرائيل. وهذا ما افتقدناه خلال الحرب على لبنان".

وفى المقابل يثير تغيير سلم الأولويات لمصلحة القوات البرية انتقادات فى أوساط المتمسكين بالرأى القائل بوجوب الحفاظ على قدرات مميزة لسلاح الجو "لمواجهة التهديد الإيراني، وهو التهديد الأكثر جدية على إسرائيل". ورأى القائد السابق لسلاح الجو (إيتان بن إياهو) أن المعادلة الصحيحة هى تلك التى تحقق التوازن الصحيح بين حاجات السلاح الجوى والسلاح البري، وأضاف "أن للطيران الحربى دورا حاسما فى أى حرب فى المستقبل لكنه لن يكون قادرا وحده على حسمها بل المطلوب منه استغلال قدراته الهائلة فى ضرب مواقع العدو بدقة، والتسبب فى انهيارها ثم تتقدم القوات البرية لتكمل المهمة، من دون أن تتعرض إلى خسائر فادحة فى الأرواح كانت ستتكبدها لو تحركت بمفردها دون دعم جوى مسبق".

وفى ضوء ما قدمته ورشة العمل المشار إليها من

توصيات إلى رئيس الأركان الجنرال (جابى أشكنازي) أقر الأخير خطة التسليح الخمسية (للأعوام ٢٠٠٨ - ٢٠١٢) ليؤكد إيلاء القيادة العسكرية القوات البرية أهمية قصوى من خلال تخصيص موازنات هائلة لمشترياتها، أعلى من تلك المخصصة لسلاح الجو الذى حظى فى السنوات الأخيرة بحصة الأسد من الموازنة. كما أوصت الخطة بوقف تهميش القوات البرية ووجوب العودة إلى التركيز على أسلحته من المشاة والمدركات، وكان رئيسا الأركان السابقين (موشيه يعلون) و(دان حالوتس) وضعوا مخططا لخفض عدد ألوية المدرعات فى الاحتياط. كما تقضى الخطة الخمسية بزيادة القوات المدرعة بحجم فرقتين وتحسين "تدريب" - زيادة سمك الدروع - الدبابات (ميركافا) وفقا لتوصيات وزير الدفاع باراك، رغم أن القيادة الحالية للقوات البرية تفضل توسيع قوات المشاة وليس المدرعات.

وطبقا لم نقل عن الجنرال أشكنازي أن الخطة الجديدة التى أطلق عليها "تيفن" وصدق عليها وزير الدفاع وينتظر أن تعرض على الحكومة الأمنية المصغرة، لا تقلل من حق سلاحى الجو والبحرية اللذين سيتزودان بمشتريات جديدة ستوفرها أموال الدعم العسكرى الأمريكى فى السنوات العشر المقبلة، والتى قررت واشنطن رفعها من ٢,٤ مليار دولار إلى أكثر من ٣ مليار دولار سنويا. كما أوضح أشكنازي أن الخطة الخمسية الجديدة "تعزز قوة الجيش الإسرائيلى وتحسن ملاءمته للتحديات التى تتربص بإسرائيل. كما تشكل رافعة التجدد والبناء وتحسين التفوق النوعي، ولكنها تستوجب فى الوقت ذاته تحسين عمل المؤسسة الأمنية كلها".

وأوضحت تقارير صحفية إسرائيلية أن الخطة الجديدة "تعكس فعلا تفضيلا فى الموازنات للقوات البرية منذ سنوات" متوقعة أن يتسبب هذا التفضيل فى أرجاء تحويل موازنات خاصة طلبها سلاح الجو. وأضافت أن الجيش سيتزود فى السنوات المقبلة بعدة مئات من المدرعات الثقيلة، على أن يتواصل إنتاج دبابات من نوع (ميركافا - ٤) مع إدخال منظومات دفاعية ناجحة لاعتراض الصواريخ من كافة الأنواع أرض / أرض ذات المديات المختلفة، والصواريخ المضادة للدبابات"، كما سيتم تحسين أنواع أخرى من الدبابات.

ووفقا لبيان صادر عن رئاسة الأركان العامة، فإن سلاح الجو سيتم تزويده ابتداء من عام ٢٠١٤ بـ ٥٠ مقاتلة أمريكية جديدة F-35 التى تطورها شركة

"الوكهيد مارتن" وثمان كل منها ٥٠ مليون دولار، والمعروفة باسم المقاتلة المشتركة والقادرة على الإفلات من الرادارات، هذا إلى جانب تطوير وتحسين الطائرات من دون طيار، وأفادت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن سلاح الجو سيواصل تحسين قدراته في كل ما يتعلق بكونه الذراع الطولى للجيش.

كما تشمل الخطة الخمسية تزويد سلاح البحرية بسفن متعددة الأهداف "أفضل من المتوافرة اليوم لدى القوات البحرية" ولتكون ذات قدرات مناورة كبيرة وقادرة على تنفيذ مهام محددة فى البحر، كما أقر الجنرال أشكنازى زيادة الموارد فى مجال الاستخبارات والاتصالات.

وكان الجنرال أشكنازى قد سبق له أن أقر فى جلسة الحكومة المصغرة للشؤون الأمنية والسياسية فى ٢١ مارس الماضى، والتي كرسست لإطلاع الوزراء على تلخيصات ٢٠ تحقيقا داخليا أجراها الجيش عن الإخفاقات والعيوب التي ظهرت فى حرب لبنان الأخيرة. ونقلت صحيفة يديعوت أحرونوت أن الوزراء ذهلبوا من الصراحة التي تميز بها أشكنازى ونائبه الجنرال (موشى كابلينسكي) ورئيس وحدة الإرشاد الجنرال "داني بيطون" لدى تقديم التقارير للوزراء، وأشادوا بالقادة العسكريين على جرأتهم وإقرارهم "من دون خجل بالأخطاء التي وقعت" طبقا لتصريح اولمرت، فى حين قال أحد الوزراء أن قيادة الجيش فحصت جديا وكشفت العيوب من دون تردد، ولم تعمل على تدوير الزوايا وتغطية العيوب، إنما حققت فى الوقائع ووضعت النقاط على الحروف، وقال أشكنازى للوزراء أن استخلاص العبر من الحرب لن ينتهى فى غضون شهرين، وهناك وحدات كاملة لم تتدرب بشكل كاف، وثمة حاجة إلى مزيد من الوقت لإعادتها إلى قدرتها السابقة. وأضاف "إن إعادة تأهيل الجيش تتطلب عملا طويلا ووضع خطة بعيدة المدى. أى أننا لن ننهى مهمتنا بين ليلة وضحاها" وقد عقب أحد الوزراء مع ذلك قائلا: "أن الجيش فى تحقيقه الداخلى لم يتردد فى جلد الذات إنما أبدى انفتاحا رائعا".

ولا تقتصر المشاكل التي يواجهها الجيش الإسرائيلى على النقص فى أنظمة التسليح والمعدات التي يحتاج إليها لمواجهة التهديدات الخارجية، سواء من جانب إيران أو سوريا أو حزب الله أو الفلسطينيين أو هؤلاء جميعا معا، بل أن الأخطر من ذلك يتمثل فى حالة التدهور النفسى والمعنوى التي أصابت الجنود الإسرائيليين وانخفاض مستوى الانضباط العسكرى

بينهم فمن أبرز وأخطر المظاهر التي باتت تميز الجيش الإسرائيلى ولا تولد فقط غضب واستفزاز المسؤولين فى الجيش، وإنما أصبحت مصدر قلق فى قيادة الجيش التي تبحث هذه الأيام فى ضرورة القضاء عليها أو التخفيف منها، زيادة حالات الانتحار بين الجنود، والتهرب من الخدمة العسكرية لأسباب لم تكن واردة من قبل مثل ادعاء الاعتقاد فى العقيدة النازية المعادية لليهود، ورفع شعاراتها على المنازل والأبنية المختلفة بما فيها مقار الهيئات الرسمية للدولة. وادعاء الأمراض النفسية بالحصول على تقارير طبية تفيد بذلك، حيث اتسعت هذه الظاهرة الأخيرة وبلغت نسبة التهرب من الخدمة العسكرية بسبب سوء الحالة النفسية هذه السنة واحد من كل ثمانية شبان إسرائيليون وتشير الإحصاءات فى الجيش إلى ارتفاع هذه النسبة إلى ٣٠٪ مقارنة مع عام ٢٠٠٢. ولا تقتصر هذه الظاهرة على من يلتحق بالجيش للمرة الأولى، بل تشمل أيضا العاملين فى الخدمة منذ سنوات ويسعون إلى تركها وطلب التقاعد، كما تفاقمت جرائم أخرى بين العسكريين مثل سرقة وبيع الأسلحة والذخائر، والاغتصاب وتناول المخدرات والمتاجرة فيها. مما دفع برئاسة الأركان العامة إلى تشكيل لجنة خاصة لوضع خطة لمعالجة كل هذه المشاكل التي تؤثر سلبا على الكفاءة القتالية للقوات المسلحة الإسرائيلية.

❖ خطة التسليح الخمسية الجديدة:

وجدت قيادة هيئة الأركان العامة صعوبة فى تطبيق الخطة العشرية (كلع) بسبب نقص الموازنة. لذلك اهتمت بالتركيز على مطالب التطوير فى الخمس سنوات القادمة، وقد كشفت صحيفة معاريف بعضا من أبعاد هذه الخطة. منها زيادة موازنة القوات البرية بما لا يقتل عن ٢٠ مليار شيكل، وإلغاء جميع الخطط التي كانت معدة لحل كتائب وألوية، كما سيتم بموجب الخطة الخمسية الجديدة (تفن) التركيز على سلاح المدرعات أكثر من الماضى. وأشارت معاريف إلى أن الجيش سيواصل إنتاج الدبابة (الميركافا - ٤) فى السنوات الخمس المقبلة بعد تقوية تدريبها لتكون قادرة على تحمل هجمات الصواريخ المضادة للدبابات الحديثة ذات الشحنتين المتفجرتين، وسيتم التزود بوسائل التدريب الفاعلة بواسطة شركة (روفائيل) - هيئة تطوير وسائل القتال كما يتم التركيز الآن على تطوير منظومات متطورة قادرة على مهاجمة صواريخ العدو وتدميرها قبل أن تضرب الآليات المدرعة للجيش. أما فيما يختص بسلاح الجو فقد أشارت

معاريف إلى أن زيادة موازنة القوات البرية لن تكون على حسابه، بل ستقطع من الزيادات المخصصة لموازنة الدفاع.

وتتضمن الخطة الخمسية للأعوام من ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٢ تزويد سلاح الجو بـ ٥٠ مقاتلة F-35 بكلفة ٣ مليار دولار، إضافة إلى الحصول على الطائرة F-22 المحظور تصديرها أمريكيا إلى الآن هذا إلى جانب شراء كمية كبيرة من القنابل الذكية وطائرات النقل (هركوليز) أما فيما يتعلق بالسلاح البحري فقد تقرر شراء، فرقاطة L C S من إنتاج شركة لوكهيد مارتن الأمريكية، و٢ مروحية طراز بلاك هوك، ووسائل قتالية فعالة لعناصر الكوماندوز البحري، وتقدر تكلفة هذه الصفقات لصالح سلاح البحرية بنحو ٦٠٠ مليون دولار، إضافة إلى شراء غواصة دولفين إضافية بكلفة إجمالية نحو مليار يورو على أن تدخل الخدمة الفعلية بعد سبع سنوات، وبذلك يصبح إجمالي عدد الغواصات من هذا النوع خمسة في البحرية الإسرائيلية.

أما بالنسبة لقوات الاحتياط، فقد ذكرت الصحيفة عن مصادر عسكرية قولها أن قيادة هيئة الأركان تخطط لإجراء ثورة حقيقية في هذه القوات، تستثمر فيها نحو ٤٢٠ مليون دولار لشراء معدات عسكرية لوحدات الاحتياط بهدف مساواتها بقوات الخدمة العسكرية النظامية.

وعن مواجهة مشكلة التصدي للصواريخ أرض / أرض التي عانت منها إسرائيل كثيرا في الحرب الأخيرة، فقد أفادت صحيفة هاآرتس أن إسرائيل تجرى اتصالات مع شركة لوكهيد مارتن الأمريكية لشراء منظومة (ثاد THAAD) المضادة للصواريخ بدلا من مواصلة تطوير جيل جديد من صواريخ (حيثس) الإسرائيلية، هذا رغم أن المنظومة ثاد فشلت في التجارب الأولى قبل عشر سنوات ولكنها حققت نجاحا في عام ٢٠٠٦ وفي عدد من التجارب أسقطت صواريخ معادية، كما أن هذه المنظومة تتضمن عناصر تكنولوجية ليست جزءا من الجيل الحالي لصواريخ حيثس. وتقدر واشنطن بأن تتمكن الولايات المتحدة من تزويد إسرائيل بمنظومة صواريخ ثاد عام ٢٠٠٩ بعد استكمال تطويرها وأجراء تجارب إضافية تسمح بنشرها عمليا، وتضمنها تكنولوجيا أكثر تطورا من الطراز الحالي الذي تستخدمه القوات الأمريكية. ولكن بالنظر لتمسك إسرائيل بسياساتها التي تستهدف الاستقلال التكنولوجي العسكري عن أمريكا لذلك

ستستمر في تطوير منظومة (حيثس / أور) المضادة للصواريخ.

وفي إطار ربط أنظمة الدفاع الإسرائيلية والأمريكية، ذكرت صحيفة هاآرتس أن إسرائيل ترغب في تعزيز احتمال قيام الولايات المتحدة بنشر أنظمة دفاع صاروخية على أراضيها في حالات الطوارئ. وبذلك يتحقق نوع من "الربط العملياتي" بين أنظمة الدفاع الإسرائيلية والأمريكية في إطار مشروع قائم منذ سنوات بين الدولتين يشمل أساسا توحيد الإنذار القادم من أقمار التجسس الأمريكية بإطلاق صواريخ معادية على إسرائيل، بحيث يصل إلى مراكز القيادة والسيطرة والإنذار الأمريكية والإسرائيلية في وقت واحد، هذا إلى جانب نشر بطاريات صواريخ أمريكية (باتريوت باك - ٣) المضادة للصواريخ والطائرات على الأراضي الإسرائيلية، وربطها بأنظمة الدفاع الجوي والصاروخية الإسرائيلية. وقد تم التدريب على ذلك في مناورات مشتركة، كما طالب الجيش بربط الرادارات في السفن التي تحمل صواريخ (ايجيس) بمنظومة الدفاع الإسرائيلية في حالات الطوارئ.

◆ الاستعداد لحرب شاملة:

وفي إطار الاستعداد الإسرائيلي لمواجهة حرب شاملة، قال اللواء احتياط (إيل بن راؤوفين) الذي كان قائدا للجبهة الشمالية في الجيش الإسرائيلي خلال حرب لبنان الثانية في يوليو الماضي أن جيش بلاده يستعد لاحتمال نشوب حرب شاملة في المنطقة ونقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية عنه قوله خلال ندوة حول "جوانب مختلفة للحرب" أقيمت في معهد أبحاث الأمن القومي بجامعة تل أبيب يوم ١٦ يوليو ٢٠٠٧ إن الجيش الإسرائيلي يجهز نفسه اليوم لحرب شاملة، وهذا تغير مهم في نهج الجيش بعد حرب لبنان الثانية. وأضاف بن راؤوفين أنه "بواسطة الاستعداد لحرب شاملة" يمكن مواجهة الإرهاب الفلسطيني وليس العكس كما جرت الأمور حتى الآن حيث كانوا يواجهونه ويعتقدون أن الجيش سيكون مستعدا بهذه الطريقة لتوفير رد في حال نشوب حرب شاملة". وقال أنه في حال اندلعت حرب مع سوريا فإن إسرائيل ستواجه تحديا مركبا لأن السوريين يدركون أنهم سيكونون في موقع ضعيف في المعارك مقابل الجيش الإسرائيلي "وسيكونون مستعدين لتلقى ضربة عسكرية ومدنية، لكنهم سيتطلعون إلى ضرب الجبهة الداخلية الإسرائيلية، ومن هنا فإن مهمة الجيش الإسرائيلي ستكون مركزة للغاية، وسيضطر إلى أن يكون سريعا مع

تحييد ما أمكن من المجالات الاستراتيجية التي تهدد البطن الرخو في إسرائيل، وبها يمكن عمليا منع الإنجاز الذي يتطلع السوريون إلى تحقيقه" وأضاف أنه "لو كان قد تم تنفيذ عملية عسكرية برية واسعة من هذا النوع في لبنان خلال الحرب الأخيرة لكانت نتائجها مختلفة".

ويبذل الجيش الإسرائيلي جهود كبيرة للتدريب على مثل هذه العمليات القتالية البرية الواسعة، كان آخرها ما جرى في أغسطس الماضي بقرية الفريديس الواقعة في الجنوب من مدينة حيفا، حيث أجرت وحدات مدرعة ومشاة وقوات خاصة ووحدات لوجيستية ضمت عناصر إسعاف ونجدة طوارئ تدريبات ليلية في المناطق الجبلية بهذه القرية وحولها، حيث تتشابه طبيعة الأرض فيها مع المناطق الجبلية بجنوب لبنان، وتحديدًا في منطقة الظهراء المتواجدة في سفوح جبال الكرمل، حيث استمرت التدريبات لوحدات الجيش المختلفة المشتركة في المناورة على عمليات تسلق الجبال واختراق عمق الأراضي بعد تطويقها، وكان ذلك على مدار الساعة وبالذخيرة الحية.

وعن الدور الأمريكي في استعداد إسرائيل للحرب الشاملة، فإنه بموجب بروتوكول اتفاق وقع بين البلدين في ١٦ أغسطس الماضي، أصبح في إمكان إسرائيل الاعتماد على مساعدة عسكرية أمريكية قيمتها ثلاثة مليارات دولار سنوياً، وتسهم ثلاثة أرباع قيمة المساعدة في تمويل عمليات شراء أسلحة من شركات أمريكية والرابع المتبقى لشراء معدات عسكرية من شركات إسرائيلية. إلا أن المحللين الاستراتيجيين في البلدين يرون أن العلاقات الاستراتيجية القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ نحو ٤٠ عاماً معرضة للانتهاء بسبب تغير الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، وعدم قدرة الولايات المتحدة على تحقيق النصر في العراق، أو اتخاذ قرار حاسم بشأن البرنامج النووي الإيراني في الوقت الذي تبرز فيه إيران كقوة إقليمية كبرى بشكل من الممكن أن يقلب موازين القوى في المنطقة، هذا بالإضافة لتورط الولايات المتحدة في عدد من القضايا السياسية والحروب في كثير من الدول الأخرى مثل أفغانستان وسوريا ولبنان وروسيا وفلسطين، وهي حقائق لا بد أن تعيد معها الولايات المتحدة ترتيب أولويتها في الشرق الأوسط مع بداية عام ٢٠٠٩، ومع تولى إدارة جديدة للبيت الأبيض وبما لا يتعارض مع المصالح الأمريكية - الإسرائيلية المشتركة.

♦ رؤية تحليلية:

مما لا شك فيه أن إقرار رئاسة هيئة الأركان العامة لإسرائيلية للخطة الخمسية الجديدة، بموازنة تبلغ ٦٠ مليار دولار - طبقاً لما نشرته مجلة - Defines News ستغطي المساعدات الأمريكية (١, ٢ مليار دولار) ثلثها تقريباً، إنما يعكس مدى تداعيات حرب لبنان يوليو ٢٠٠٦ على المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - فطبقاً لتصريح نائب وزير الدفاع السابق وعضو الكنيست (إفرايم سينييه) أن الحرب الأخيرة أيقظت إسرائيل من سبات عميق، لذلك فهي تسعى اليوم لاستعادة مكانتها العسكرية وهيبة الردع التي تحطمت على أيدي المقاومة اللبنانية، واضعة في اعتبارها عدة أولويات حول أماكن نشوب حرب جديدة قد تشمل سوريا وإيران ولبنان معاً.

من هنا جاء تركيز الخطة الخمسية الجديدة على الدور البارز الذي ستلعبه القوات البرية - خاصة المدرعة والمشاة والقوات الخاصة - في الحرب القادمة، ورغم أنه لن يكون للقوات البرية دور في العمليات العسكرية المتوقعة ضد إيران، حيث ستلعب القوات الجوية الإسرائيلية الدور الرئيسي فيها، إلا أن القوات البرية مستفيدة من دروس حرب لبنان الأخيرة ستلعب دوراً بارزاً ورئيسياً في أي عمليات عسكرية مقبلة ضد سوريا وحزب الله في لبنان، سيعتمد بشكل أساسي على نقل المعركة إلى أراضي الخصم من خلال العودة لأساليب الاحتراق العميق وعمليات الالتفاف والتطويق. والعمل التي تقوم بها أساساً القوات المدرعة بالاشتراك مع قوات الأبرار الجوي في إطار ما يسمى بـ "الحرب الجو برية" والتي يتم فيها التعامل مع جميع أهداف الخصم في المواجهة أو العمق والأجناب في وقت واحد. لذلك جاء تركيز الخطة الخمسية الجديدة على إنشاء فرقتين مدرعتين ولواء مشاة احتياطي جديد ابتداء من السنة المقبلة عام ٢٠٠٨، بعدما كانت تخطط قبل حرب لبنان الأخيرة لتقليص حجم القوات البرية بنحو ١١ ألف جندي ووقف إنتاج الدبابات (الميركافا) وفي إطار نفس دروس تلك الحرب من المتوقع أن تقلل إسرائيل بشكل كبير من اعتمادها المفرط على التكنولوجيا في التدريب والقتال، وتعود إلى المبادئ الأساسية لخوض الحروب التقليدية التي تعتمد على هجوم القوات المدرعة تحت ستر الدعم الجوي (المساندة النيرانية القريبة) ضمن عقيدة الحرب الخاطفة التي طبقتها القوات الإسرائيلية بنجاح في حروبها السابقة ضد الجيوش العربية. إذ أن الجديد

فى هذا الأمر هو أهمية التدريب العملى الحى - وليس بواسطة أجهزة المحاكاة - على كيفية التعامل مع قوات شبه عسكرية معادية - مثل حزب الله وحماس - تحترف أساليب حرب العصابات ومن الصعب تمييز مواقعها على الأرض لقصفها مسبقا قبل الهجوم عليها، ومن هنا ستبرز الحاجة لتطوير وتكثيف وسائل الاستطلاع البرى والجوى والالكترونى والفضائى لتحديد مواقع هذه القوات المعادية ورصد وتتبع تحركاتها. أما ما نشر عن تزويد التشكيلات المدرعة والميكانيكية بدبابات (ميركافا - ٤) مطورة وكذلك ناقلات جند مدرعة طراز (نمر) بأجهزة استشعار الكترونية طراز (Trophy) للحماية الفعالة ضد الصواريخ المضادة للدبابات والتشويش عليها وتجنبها، كما تعطى إنذارا باقتراب الصاروخ المضاد للدبابات المعادية، وذلك بوقت كاف يسمح بإطلاق ستارة دخان حول موقع المركبة المدرعة ليبطل مفعول شعاع الليزر الذى يوجه الصاروخ المعادي، وأيضا بما يمكن الطاقم من سرعة تغيير موقع الدبابة أو العربة المدرعة. هذا إلى جانب تزويد هذه المركبات القتالية بدروع مقواه (شوبهام أو ارتجاعية Re - active) فهو فى إطار تحييد الصواريخ المضادة للدبابات المتطورة (خاصة كورينت الروسية) وتأمين استمرار فاعلية قوة الصدمة التى تتمتع بها القوات المدرعة الإسرائيلية فى عملياتها الهجومية.

أما فيما يتعلق بالقوات الجوية والتى يعتبرها بعض القادة فى إسرائيل أكبر ضحايا هذه الخطة الخمسية الجديدة وهو ما تمثل فى تخفيض عدد الطائرات F-35 الهجومية المتطورة إلى ٢٥ طائرة فقط، وإلغاء طائرات مروحية حديثة طراز (أباتشى لونج بو) ومقاتلات F-15 إلا أن ذلك لا يعنى إغفال أهمية تطوير القوات الجوية لتتناسب المهام القتالية الجديدة التى ستواجهها سواء فى مجال قصف أهداف بعيدة مثل المتواجدة فى إيران، وما يتطلبه ذلك من توافر طائرات إعادة تموين بالوقود فى الجو، أو استخدام ذخائر خاصة قادرة على تدمير أهداف متواجدة فى تحصينات قوية على عمق تحت الأرض كتلك التى

كانت تتحصن فيها قوات حزب الله فى جنوب لبنان أو المنشآت النووية الإيرانية.

وبالنسبة للقوات البحرية الإسرائيلية فأن تعزيزها بفرقاطتين طراز (سعرره) مجهزتين بأنظمة نيران هجومية ودفاعية متطورة بالإضافة لغواصتين دولفين، سيعطى القوات البحرية قدرة على العمل فى المياه العميقة Blue water Navy وتوجيه ضربات صاروخية بواسطة صواريخ كروز نووية تكتيكية ضد أهداف إيرانية من خليج عمان، إضافة إلى إحكام الحصار على السواحل السورية وقطع خطوط سوريا البحرية فى حالة نشوب حرب، ومنع وصول إمدادات بحرية إلى حزب الله فى لبنان.

يتضح من دراسة إبعاد الخطة الخمسية الجديدة أن أهدافها تتمحور حول الآتي:

أ- تعزيز القوات البرية كما ونوعا حتى تكون قادرة فى الحروب القادمة على تحقيق السيطرة السريعة على أرض المعركة وذلك عبر المناورة ببعديها الأفقى والرأسى وسرعة الحركة.

ب- تقوية الذراع الطويلة للقوات الجوية وأعمال التجسس الفضائى لتأمين السيطرة الجوية المطلقة على كل أبعاد منطقة الشرق الأوسط الجديد (طبقا للمفهوم الأمريكى).

ج- تحسين التفوق النوعى للقوات البحرية وتعزيز سيطرة إسرائيل على مياهها الإقليمية، والقدرة على قطع خطوط المواصلات البحرية للدول العربية التى لها سواحل البحرين الأحمر والمتوسط.

كما تعكس الخطة الإسرائيلية أيضا استعداد إسرائيل لمواجهة أربعة سيناريوهات حرب محتملة هي:

أ- حرب شاملة برية وجوية ضد سوريا.

ب- مواجهة عسكرية مع إيران أدواتها القوات الجوية والصاروخية مع احتمال استخدام صواريخ كروز ذات رؤوس نووية تكتيكية من الغواصات أو منصات أرضية.

ج- حروب منخفضة الوتيرة ضد قوى وميليشيات مسلحة مثل حزب الله وحماس والجهاد.

د- تدهور الأوضاع الأمنية فى المنطقة نتيجة ظهور أنظمة جديدة معادية لإسرائيل.

مصطلحات عبرية

إعداد: وحدة الترجمة

١- دورى يعقوب (دوستروفسكي):

رئيس قيادة الهاجاناه، وأول رئيس أركان للجيش الإسرائيلي، ولد في روسيا عام ١٨٩٩، وهاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٠٦ اشترك في أول دورة عقدت في مدرسة هرتزلي في حيفا، وتطوع في الكتيبة العبرية في فلسطين، وفي أحداث عام ١٩٢١ ساعد في الدفاع عن تل أبيب، وعن أحياء اليهود في يافا التي تعرضت لاعتداءات العرب في يافا الذين حاولوا اقتحام الأحياء اليهودية بعد حل الكتائب العبرية فسافر إلى الخارج ودروس الهندسة، وبعد عودته تفرغ لشئون الأمن وتنظيم الهاجاناه في حيفا وقد نقل إلى منصب نائب قائد وبعد ذلك أصبح قائدا للمدينة، وانكب على تطوير أساليب التدريب والدورات للقادة والجنود. وادخل التدريب الرياضي الموسع للأعداد العسكرية للشباب المتعلم في مدرسة هرتزلي في المدينة وبعد ذلك في جميع فلسطين، وعين رئيسا لقسم التدريب القطري في الهاجاناه، ورئيسا للقيادة العامة في ١٩٣١، وفي ١٤ مايو ١٩٤٨ تحولت منظمة الهاجاناه إلى جيش أطلق عليه اسم جيش الدفاع الإسرائيلي وعين يعقوب دورى أول رئيس أركان للجيش الإسرائيلي وشغل هذا المنصب، حتى تشرين ثان ١٩٤٩، وبين عامي ١٩٥١ - ١٩٦٥ عمل رئيسا للتخنيون في حيفا. كان يسمى في الحركة السرية "دان" وقد توفي عام ١٩٦٥.

٢- هاياكارهاتسجير - "الفلاح الشاب":

مجموعة من العمال في عهد الهجرة الثانية أخذوا على عاتقهم لوقت ما إدارة وفلاحة مزرعة طبريا، وكان أفراد هذه المجموعة الذين تزعمهم اليعيزر يافه واليمليخ لفين ينوون إقامة قرية تعتمد على التعاون الشامل وكان اليعيزر وزملاؤه فيما بعد من المشاركين في إقامة المستوطنة العمالية الأولى "نهلال".

٣- هجيراي يهوديت - "هجرة يهودية":

ظاهرة في حياة الشعب اليهودي منذ أن فقد للمرة

الأولى استقلاله السياسي بعد خراب الهيكل الأول، في القرن السادس قبل الميلاد، في عهد نبوخذ نصر ملك بابل، وقد هاجر بعض اليهود إلى مصر حتى قبل هجرة بابل، وكان هناك مستوطنات يهودية في أنحاء العالم في الفترة الهيلينية، وفي الإمبراطوريات الرومانية وفي عدد من المناطق الأوروبية وفي أعقاب انتشار المسيحيين ومطاردة اليهود تزايدت هجرة اليهود في الشرق إلى بلدان أخرى في أوروبا وأفريقيا والبلدان العربية وأصبحت بابل مركزا وروحيا كبيرا لجميع الجاليات الإسرائيلية ومنذ القرن السابع للميلاد وحتى القرن الثاني عشر أقيمت مراكز للمهاجرين اليهود في أسبانيا وأشكناز، وبجزء من فرنسا وإيطاليا وفي إنجلترا ومنذ القرن الثالث عشر وحتى أواسط القرن السابع عشر برزت تجمعات يهودية في بولندا وإيطاليا وتركيا. وبعد الأحداث الدامية التي وقعت ضد اليهود في أواسط القرن السابع عشر توجه تيار المهاجرين من اليهود مرة أخرى إلى دول الغرب وإنجلترا وهولندا وفرنسا، وفي مطلع القرن التاسع عشر تزايدت هجرة اليهود إلى أمريكا، وهاجر قسم ضئيل فقط من اليهود إلى أرض إسرائيل حتى نهاية القرن التاسع عشر، وابتداء من مطلع القرن العشرين ازداد تيار المهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية وخاصة بعد الأحداث، والانقلابات والحروب في روسيا القيصرية فهاجر أكثر من مليوني يهودي من روسيا فقط، وفي أعقاب تسلم النازيين الحكم في ألمانيا والكارثة التي أصابت يهود أوروبا تصاعدت موجة هجرة اليهود إلى الدول الأمريكية والفرنسية والإنجليزية وتدفق مئات الآلاف إلى فلسطين التي احتلت المكان الأول في استقبال المهاجرين واللاجئين اليهود. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية هاجر إلى فلسطين أكثر من مليون ونصف المليون من اليهود، أي ٨٠٪ من مجموع المهاجرين اليهود في العالم في تلك الفترة.

الصحف الرئيسية في إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناها باللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت (يومية)	آخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً في إسرائيل إذ يقرأها حوالي ثلثي قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٣٠٠ ألف نسخة يومياً و٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعي (الجمعة)
٢	هاآرتس (يومية)	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هي كتلة الإعلام "شوكين"	العدد اليومي (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعي (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف (يومية)	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودي الإعلامية	العدد اليومي (١٦٠ ألف نسخة) لعدد الأسبوعي (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه (يومية)	المراقب	١٩٣٨	المفدال (الحزب الديني القومي)	العدد اليومي (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيروزاليم بوست (يومية)	بريد القدس	١٩٣٢	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجررون	العدد اليومي (٣٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعي (٥٠ ألف نسخة) (توزع يومياً طبعة دولية في أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية في أوروبا)
٦	جلوبس (يومية اقتصادية)	-	١٩٨٣	شركة "جلوبس" لتونوت للنشر التي تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هاموديع (يومية)	المخبر-	-	حزب أجودات إسرائيل	العدد اليومي (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٢٠٠٣ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي 6 - 229 - 227 - 977 I.S.B.N.

مطابع  التجارية - قليوب - مصر



مخنارات الاسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

